

تاريخ الفلسفة

من أقدم عصورها إلى الآن

الكاتب

تأليف

جنايس ندمي

الحائز دبلوم الليسانس في الحقوق
من جامعة باريس



طبع بالمطبعة اليوسفية بجوار بوستة باب الخلق بمصر

الطبعة الاولى

١٩٢١

عني بنشرها

توما السباني

مكتبة مصر

ويطلب منه

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

ماخذ الكتاب :

- ١ - الموجز في تاريخ الفلسفة تأليف بنجون عضو المجمع العلمي ومدرس الفلسفة بكلية الآداب بمدينة ليل (فرنسا)
- ٢ - تاريخ الفلسفة تأليف جستون سورتيس مدرس الفلسفة بكلية باريس
- ٣ - نبذة مختصرة في تاريخ الفلسفة تأليف أميل بووارك رئيس أكاديمية دييجون ومدرس الفلسفة بكلية كوندروسيه (فرنسا)
- ٤ - قاموس دائرة المعارف الكبرى الفرنسية ٣٣ جزءاً
- ٥ - تاريخ الفلسفة تأليف فوييه

استسمحنا صديقنا الأستاذ مؤلف هذا الكتاب في طبع
رسمه اظهارةً لنبوغته فأجاب طلبنا بعد الحاح شديد ولذلك تقدم
هذا الرسم لقراء العربية وعريدي الفلسفة



كلمة للمؤلف

عند ما بدأنا بطبع هذا الكتاب اطلع عليه بعض العلماء
فطلبنا اليهم تقده نقداً صريحاً خالياً من كل مجاملة فوردت لنا
مقدمة طلية من حضرة صاحب العزة محمد بك فريد وجسدى
صاحب التأليف الفلسفية والعلمية الكثيرة فاثبتنا مقدمته في بدء
الكتاب . ووردت لنا أيضاً رسالة من الاستاذ الحكيم الشيخ
طنطاوي جوهرى أثبتناها لحضرتة في آخر الكتاب مع الشكر

مقدمة وجدى بك

الانسان بما غرز في طبيعته من قوى النظر والاستقراء
والاستنتاج كلف منذ وجوده على هذه الارض بفهم سر الوجود
الذى يعيش فيه . وادراك حقيقة ذاته المفكرة ومصيرها . فهو
الكائن الارضى الوحيد الذى شغلت باله هذه المسائل الضخمة .
واستهوته حلوها المختلفة فاتخذها اديانا خضع لها آماداً طويلة
أو مذاهب وقتب للتأمل فيها معظم قواد العقلية
فتاريخ الفلسفة في الواقع هو تاريخ العقل الانسانى في أشرف
محاولاته . واكم اندفاعاته . ولا غرو ان عدت دراسته هذا
التاريخ اجل ما يصرف الانسان فيه وقتاً من اوقات فراغه
لا تنحصر فائدة دراسته "تاريخ الفلسفة" في كونها لذة عقلية
كفائدة دراسة الادب او فن من الفنون الجميلة الاخرى . ولكنها
تتعدى هذه الدائرة فتبلغ حد الحاجة الفكرية ، فان كل انسان
مهما كان شأنه وعمله في الهيئة الاجتماعية لا يخلو من ان تكون
له ساعات يسأم فيها نفسه بوضاء الهموم المادية ، فيرجع الى صميم
ذاته فينظر الى الوجود نظر المنقب عن حقيقته ، والى نفسه نظر
المتوله بمعرفة ماهيتها ومن أين أتت والى أي حال تؤول . وفي
هذه الحالة لا بد له من الرجوع الى ما حصله أئمة المفكرين من

نبغاء الأمم في جميع أدوار الرقي البشري لينتفع بما مهدته العقول
الكبيرة من طرق التفكير ، وما نصبتته من أعلام الهدى في
مناهات النظر والاستقراء ، وما وفقت الى حله من عويصات
المجاهيل ، والا بقي محصوراً في دائرة جهوده الذاتية فلا ينال
حظاً مما يتوق اليه . أويتأدى الى مدركات أولية جازها المفكرون
منذ قرون عديدة الى باحات لا يتخيلها تخيلاً

فدراسة تاريخ الفلسفة والحال على ما ترى هو من الضروريات
العقلية التي يجب ان يكون لها مكان جدير بها من برامج التعليم
في المعاهد العلمية كما هو حالها في البلاد الغربية . فان دراسة
الفلسفة وتاريخها هنالك من مقررات المواد الدراسية في
المدارس الثانوية

اما وقد دللنا على ضرورة الاطلاع على تاريخ الفلسفة فقد
وجب علينا ان نأتي مزاولها بكلمة في الاسلوين المتبعين في
تأليفها تفيد في تقدير قدر الكتب الموضوعه لها
أول ذينك الاسلوين عدم التعرض من الفلسفة الا الى المذاهب
التي أوجدتها وثانيها مواجهة الفكر الانساني باعتبار انه قوة
غير متجزئة وسلسلة مثنوية ذات حلقات متصلة ووحدة كلية
موزعة في المذاهب يمكن ادراك شخصيتها من خلال اختلاف
الاشكال المذهبية وتنوع صورها

من هذين الاسلوبين نشأ مذهبان في تألف تاريخ الفلسفة :
 أولهما يأتيك بتاريخ كل مذهب منها على حدة . وثانيهما يعطيك
 صورة من ترقى الفكر الانساني غير متجزئة دالة على تسلسل
 ثمرات العقل وتولدها بعضها من بعض وعلى حركة نموها في خلال
 ادوار التاريخ

هذا الاسلوب الاخير اكل الاسلوبين ولكن للثاني عليه ميزة
 لا يستهان بها وهي انه لتصديده لسكل مذهب على حدة يبلغ
 الغاية في بيانه واظهار خفاياه وان كان لا يحسن ربطه بما تقدم عليه
 او تأخر عنه

على هذا الاسلوب الاخير جرى فلاسفة الفرنسيين والانجليز
 الى عهد غير بعيد . ولكن فلاسفة الالمان اختاروا الاسلوب الاول
 منذ نحو قرن من الزمان فسار عليه (بروكر) و (تيدمن) و (تينمن)
 وقد بذم جميعاً (هنريخ ريتز) فقد استعان في وضع تاريخه الفلسفي
 بجميع وسائل الاطلاع الواسع . وكل ثمرات التحليلات البعيدة
 الغور وغاية ما يصل اليه العلم القويم من الادراك . فجاء عمله اثرآ
 خالداً من آثار الفكر الانساني يبقى مدى الدهر عالماً يهتدى به
 من كان بسبيل هذا الموضوع الخطير

هذه كلمة رأيت ان اقدمها ما بين يدي ما انا بصدده الساعة
من كتابة مقدمة لمؤلف ممتع في تاريخ الفلسفة وضعه صديقي
الاصولي النابغة حنا افندي أسعد فهمي واره قد جمع بين
الاسلوبين المتقدمين فجاء كتابه خلاصة عينة لتاريخ المذاهب الفلسفية
على نفس أسلوب المصادر القيمة التي بين في فاتحته اعتماده عليها .
وقد اجاد كل الاجادة في سلوك سبيل السهولة في سرد الاصول
المختلفة وبيان الفروق بينها . وهو مطلب صعب المرام على من
يترجم امثال هذه الموضوعات ولكن مؤلفنا الفاضل قد استطاع
أن يخرج من هذه المضائق التعبيرية على اكمل الوجوه واحسنها حتى
يخيل لمن يقرأ كتابه انه بصدد قصة شيقة لا ازاء موضوع
من أعضل الموضوعات وادعها لاعمال الروية وكبد الذهن
في التفهم

واني باطلاعي على ما طبعه حضرة المؤلف الي صفحة (١٧٢)
لم أجد رغباً على تشديده علي في نقد الكتاب ما يضح ان اتخذه
مسوغاً للملاحظة الجديدة فان ما قرأته حسن في جملته . جميل في
مجموعه أعجز عن توفية صاحبه الثناء الذي يستحقه عليه . الا اني
رأيت فيما نقله في باب فلاسفة العرب عن دائرة معارف القرن
العشرين الفرنسية عبارة لا يصح لمثلي ان يخليها من النقد وهي

قول تلك الدائرة : « ان من يعرف الاسلام حق المعرفة يستبعد وجود الفلسفة بجانب الدين الاسلامي لان العلماء الذين اعتنقوا الفلسفة كانوا مضطهدين من رجال الدين والفقهاء ومامة المسلمين لذلك يمكننا القول ان الفلسفة لم تظهر في حيات العرب الا كحادث عرضي سريع الزوال » انتهى

ونحن نقول ان من يعرف الاسلام حق المعرفة لا يستبعد ان تقوم الفلسفة بجانبه بل يراها من ملازماته لانه يدعو الى النظر في الوجود والتأمل في موجوداته والاعتماد على حكم العقل حتى في الاصول الاعتقادية . ويطلب كل آخذ به بمعرفة الدليل على صحة ما هو عليه . فلا يعتمد بالايمان التقليدي المبني على التسليم المحض . فدين هذه اصوله الاولية يناسب الفلسفة وخصوصاً الطبيعية منها كل المناسبة . لذلك يمكن المسلمون الاوان يعرفون وجودها حتى اكبروا على ترجمتها الى لغتهم وفي مقدمتهم خلفائهم بذلوا في ذلك جهداً جهيداً . ومالا جها . والاسلام لا يزال في فجره . افلا يدل هذا الحدث وحده على تناسب الاسلام والفلسفة . وهل سمع مثله في تاريخ دين من الاديان المعروفة ؟ نعم ان بعض الفقهاء تصدى لدحض الفلسفة واثار يمنع تعلمها واضطهاد اهلها . وهذا امر طبيعي خيال كل جديد . وحدث دور

عرضي من ادوار القسوة ولكنه زال بزوال الافراد الذين قاموا به ، وعاشت التعاليم الفلسفية في كنف الاسلام ووجدت من أهله صدوراً رحبة ، وكان يستحيل ذلك اذا لم يتسع لها صدر الدين ، وللمسلمين أئمة نافذوا الكلمة في كل بلد كانوا يستطيعون خنقها وليدة ، كإفعل غيرهم ، فلم يفعلوا ، وما زالوا محتفظين بالعلم والفلسفة بجانب الدين حتى اعتبروا وورثتها بمداليونانيين واعترف الغرييون بأن لولا حفظهم لها لما بقي أثر يذكر ، وشهدوا بأن المسلمين هم الذين لقنواهم اسرارها وحلوا لهم طلاسمها ، فهل يصح ان يقال عن مثل هذا الحادث الجلل الذي قامت عليه مدنيته " من اكبر المدنيات لا تزال آثارها باقية " في القارات الثلاث انه كان حادثاً عرضياً سريع الزوال ؟

لا ننكر انه كان بين الاسلام والفلسفة اليونانية جهات خلاف ، ولكنه لم يكن خلافاً سلبياً كما يكون بين العلم والجهل ولكنه كان خلافاً أصولياً كما يكون بين المذاهب المختلفة فان للاسلام نفسه فلسفة خاصة به عمادها النظر في الوجود والموجودات (قل انظروا ما في السموات والارض) وتسخير قواه لمصلحة الانسان (سخر لكم ما في السموات وما في الارض) وهي بعينها وجهة الفلسفة الطبيعية المصرية التي لا تأبه بالظنون والخيالات

ح

ولا تمتد الا بالمحسوسات ، ودليلنا على ذلك ان المسلمين الاولين
تهافتوا على الاخذ بكل ثمرات المدنية التي احتكوا بها بهم
لم تعهد لامة من أم قبلهم ، ودهروا في العلوم الطبيعية المحسوسة
مهارة فاقوا بها جميع من تقدمهم حتى عد لهم مؤرخو الغربيين
عشرة آلاف عالم طبيعي (راجع دائرة معارف لا روس في مادة
عرب) وهذا عدا من حفظت سجلات العلوم اسماءهم ، فاذا
كان عدد من لم يصلوا الى درجة خلود الذكر من تلاميذهم
واشياعهم

فتنكر المسلمون الاولين للفلسفة القديمة يشبه تنكر
المذهب العلمي العصري لها ، اليس يعدها في درجة لا تليق
بجلاله ؟ فيقال لهذا السبب ان العلم العصري عدو للفلسفة على
الاطلاق ؟

هذا بحث بعيد الغور ربما اودعناه رسالة خاصة وانما اشرنا
اليه هنا لتقابل به غمز دائرة المعارف
ولا يسعنا في هذا المقام أيضاً اغفال الشكر لصديقنا مؤلف
هذا الكتاب على ما اتاحه لنا من الفرصة لبدء هذه الكلمة في
الفلسفة الاسلامية

واننا تقدم عمله الجليل هذا الى القراء كشمرة يانعة من ثمرات
جهود متائلة في موضوع تحتاج اليه الشبيبة المصرية في هذه النهضة
العلمية ، كافأه الله عليها بما يكفيء به المخلصين في عملهم والعاملين
في اخلاصهم

محمد فريد وجدي

تهيد

١ تاريخ الفلسفة

هو تاريخ أولئك المفكرين الذين نبغوا في العالم وأحسنوا الى
الانسانية بأبحاثهم الفلسفية ، وبيان العقائد والنظم التي قرروها .
وليس الفيلسوف رئيساً دينياً يرعى شعباً ، ولا عالماً يكرس
وقته لنوع خاص من العلوم البشرية كالحامي والطبيب والمهندس
الخ ، بل هو انسان يفكر بجرية في القضايا والمسائل العامة التي
تقع تحت حسه وإدراكه

وليست الفلسفة محصورة في شاب دون غيره أو فئة من الناس
دون أخرى ، بل كل انسان فيلسوف في وقته اذ تلفت نظره في
بعض الاحيان تغيرات هذا الكون وظواهره المختلفة المتعددة
فيتولاه «الدهش» الذي كان أول باعث لافلاطون وأرسطو على
التفلسف فيتساءل ما حقيقة الاشياء وما مصدرها وكيف وجدت
وما هو مصيرها ؟ وأخص ما يشغل فكره ماهيته هو وغايته
من الحياة !

يشعر في أعماق قلبه ان هذه المسائل الغامضة لا بد وأن تحل
حلاً صحيحاً فيعمل فيها فكره

٢ فوائده

لهذا التاريخ (فوائد عظيمة) فهو الذي يطلعنا على تاريخ حياة اعظم الرجال الذين كشفوا لنا معانيات هذا الوجود بقوة التأمل الفكري ، وطرق استدلالهم ، ومع ان آراءهم اختلفت في المسائل التي تناولوها بابحاثهم تبعاً لآرائهم الخاصة والظروف التي كانت تحوط البيئة التي وجدوا فيها ، كانوا مع ذلك مدفوعين بعامل واحد هو معرفة الحقيقة ومع انهم لم يستكشفوها بتامها فانهم مهدوا السبيل لمن يأتي بعدهم ليجمع بعض تلك الحقائق المتفرقة ويوفق بينها وينظم منها حقيقة واحدة تامة كاملة .
فلا ولئك المفكرين ذوي الشخصية الفضل الاكبر فيما وصلنا اليه من الرقي المنطقي والخلقي وستبقى أسماؤهم مخلدة على كرام الاجيال والمصور .

ثم يلخص لنا هذا التاريخ معارف المتقدمين ومذاهبهم وكيف ترقى والادواز التي تعاقبت عليها والاساليب التي اتبعوها والقضايا التي صار حلها وما لم يصر .

٣ المدارس الفلسفية

يراد بها مجموع أشخاص ينتمون لمعلم واحد يعتنقون مذهبه ولو اختلف نظر كل منهم في نتائج تفكيره .

٤ المذهب الفلسفي

ويعرف (المذهب الفلسفي) بأنه مجموع عقائد و آراء خاصة
تبدأ أو ببعض مبادئ تفسر ظواهر الوجود

٥ أقسام المذاهب الفلسفية

المذاهب الفلسفية متعددة بعضها يتعلق بعلم النفس وبعضها
يرتبط بعلم الاخلاق وغيرها خاص بالمنطق أو بما وراء المادة .

بيد أنها كلها ترجع الى بضعة مذاهب كبرى رتبها فكتور
كوزين ، باعتبار ان المعرفة اساس الاشياء ، كما يأتي

١ — المذهب التجريبي أو الحسي وهو القائل بأن الحواس
مصدر المعرفة

٢ — المذهب التصوري أو المثالي ويزعم ان الاشياء لاحقيقة
ها في الظاهر إنما هي من عمل الفكر

٣ — مذهب اللادرية الذي يشك في كل شيء ولا يسلم بأي
حقيقة وشعاره « لا ادري »

٤ — المذهب الصوفي ويعتمد على الالهام او الوحي لمعرفة
حقيقة الاشياء .

غير ان هذا التقسيم ناقص من جهة : لانه لم يتضمن مذهب

الحلول ، ومتبسط من جهة أخرى : إذ جعل التصوف مذهباً قائماً بذاته مع انه ميل عقلي يقول به بعض الفلاسفة المثاليين كـلبرانش ، والحلوليين كـسبينوزا واللاذريين كـسكال .

كما انه من الخطأ القول بأن جميع الفلاسفة اعتبروا المعرفة اساس الاشياء . فيجدر بنا اذن تقسيم المذاهب الفلسفية الى خمسة مؤسسة على نظرية مصدر الاشياء وطبائعها . وهي :

١ — المذهب الارتياحي — فيشك في امكان الوصول الى

الحقيقة وقدرة الانسان على معرفتها ، ويمسك عن ابداء رأيه فلا يسلم بهذا ولا بذلك

٢ — المذهب المادي — ويزعم ان المادة اساس كل شيء

وينكر وجود روح قائمة بذاتها قد تتصل بالمادة وقد تنفصل عنها

٣ — مذهب الحلول — وهو يرى ان هذا الكون والله شيء

واحد فالله في كل شيء وكل شيء في الله .

٤ — مذهب المثال — وينكر حقيقة العالم الخارجي

٥ — المذهب الروحاني — فيعترف بوجود الله والنفس

الروحانية والمادة المكونة للجسم

ويحيل الينا ان هذا التقسيم يشتمل على جميع المذاهب الفلسفية

بيد ان المفكرين ينقسمون الى جزئين (احدهما) يشمل الفلاسفة

التجريبيين القائلين بأن التجربة اساس المعرفة فيكفي ملاحظة

ظواهر الوجود حسباً ترشدنا اليه الحواس والغريزة .
 (وثانيهما) يشمل العقليين فيزعمون ان الحوادث بمفردها لا
 تكفي لتفهم النظام الذي تسير بمقتضاه بل يجب التسليم بوجود
 بعض قواعد او قوانين تهيمن عليها وتسبق كل اختيار ويرشدنا
 اليها العقل وحده .

٦ طريقة واقسام تاريخ الفلسفة

لتقسيم هذا التاريخ طريقتان (الاولى) يصير تتبع الحوادث
 بحسب ترتيب وقوعها مع ذكر اسماء الفلاسفة ومجهوداتهم
 الفكرية سنة فسنة

ولكن هذه الطريقة ليست بمستحسنة لانها تلاشي الوحدة
 المذهبية فلا تمكن الانسان من الاطلاع الاجمالي على كل مذهب
 وكيفية نشأته ورقبه ونتائجه

فأذن يجدر بنا اتباع (الطريقة الثانية) المنطقية وهي تقسيم هذا
 التاريخ الى ثلاثة عصور او اقسام كبرى :

١ - العصر القديم

٢ - العصور الوسطى

٣ - العصر الحديث

وتقسيم كل عصر الى مدد تضم كل مدة المدارس التي ظهرت
 فيها والفلاسفة المنتمين الى كل مدرسة والمذاهب التي ابتكروها

ودافعوا عنها

أما الأول فيبتديء من أواخر الجيل السابع قبل المسيح،
وينتهي سنة ٥٢٩ ميلادية حيث أغلقت مدارس أتيننا بأمر
الإمبراطور يوستنيانوس الروماني

ويشمل العصر الثاني القرون الوسطى من الجيل الثامن على عهد
الإمبراطور شرلمان لغاية سقوط الإمبراطورية الشرقية وفتح
القسطنطينية سنة ١٤٥٣ ميلادية

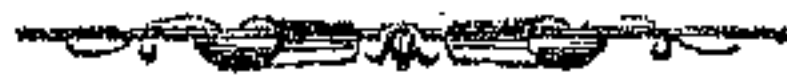
أما العصر الحديث فيبتديء مع النهضة العلمية في الجيل السادس
عشر حتى الآن

وفي كل زمن من هذه الأزمنة اشتهر عظماء دونوا لهم مذاهب
وخلدوا ذكرا حميدا

فسقراط وأفلاطون وأرسطو وأيقور وزينون الرواقى ملا
ذكرهم العصور القديمة

وأباء الكنيسة والقديس توماس كانوا نوابغ العصور الوسطى
ثم جاء بعدهم ديكارت وليبنز « وكانت » وريد . وأوجست كونت
وستوارت ميل . وهربرت سبنسر . فحوّل كل منهم أفكار
العالم الى مجرى خاص

ان جميع هذه الآراء المتناثرة والمذاهب المتفرقة هو عرضنا
من وضع هذا التاريخ ليستفيد منه من رام الاستفادة



القسم الاول

فلسفة العصور القديمة

—*—

للفلسفة في العصور القديمة مركزان :

أولها وهو الاقدم وجد في اسيا ودعيت حركته بالفلسفة الشرقية وسنوجز الكلام عنها .

والثاني اتخذ حركته في المستعمرات اليونانية في اسيا الصغرى وايطاليا في نحو عام ٦٠٠ قبل المسيح ثم استمرت في اثينا حتى بدء الميلاد المسيحي ثم في الاسكندرية لغاية سقوط الامبراطورية الفرية سنة ٤٧٦ ودعيت هذه الحركة بالفلسفة اليونانية

الفلسفة الشرقية

قبل ان تظهر فلسفة الاغريق في الوجود وترسل اشعتها على الكون . شاهدت اسياتكون كثير من المبادي الفلسفية ونموها واتخذت مرسعا لها في ارض الفراعنة وبلاد فارس والهند والصين .

الفلسفة المصرية

لم تقف على فلسفة مصرية بالمعنى الصحيح في أيام الفراعنة لان الكهنة كانوا يتكتمون عقيدتهم وغاية ما امكنا معرفته ان هرمس مؤسس العقيدة المقدسة وأن في البدء وجد الكائن الذي لا يدرك كنهه وانبثق منه قنيف خالق العالم وهو الذي أوجد جميع الكائنات من عنصرين احدهما مضيء ويرمز اليه بالشمس أو اوزيريس والآخر مظلم يدعي اريس ويرمز اليه بالقمر والنفس خالدة وخصيتها التقمص في الاجسام المختلفة والتجول في العالم بأشكال متعددة وهي عرضة للمجازاة في العالم الثاني حسب ما قدمته من الافعال

الفلسفة الهندية

ترجع الفلسفة الهندية المتشعبة الى اصلين اساسيين وهما:
البرهمي ، والبوذي

الفلسفة البرهمية - يعتقد البراهمة بتعدد الآلهة ولكن الآلهة كانت كلها خاضعة لثلاثة منها عظمى وهذه الثلاثة يهيمن عليها الروح النعام

كان « الموجود » قبل الوجود في سباته الالهي واذ استيقظ وجد نفسه وحيداً لا ثاني له . ولم يكن بعد شيء مما هو كائن

لا عالم ولا هواء ولا ماء ولا طير ولا وحش ولا انسان . لم يكن
 خلود ولا فناء . ولا شمس ولا ضياء . كانت الظلمة تكتنف الظلمة
 وكان «الكائن قبل الوجود» في فضاء لا نهائي فصاح بشوق ورغبة
 لو كنت كثيراً . فبقوة ارادته وشوقه خلق العالم وحفظ لنفسه اسم
 برهمة الخالق . ثم وجد الاله «سيوه» المخرب فيه تجف الاوراق .
 وتحل الشيخوخة محل الشباب وابتلع البحر مياه النهر . وتفى ايام
 السنة وتنقضي فلو ترك هذا الاله يعمل باداة التخريب لكان
 انقضى اجل العالم ، غير ان قوة مجددة تظل حافظة لكيان العالم
 فهذه القوة هي الاله المخلص المدعو « فشنو »

فبراهم وسيوه وفشنو هم الثالوث الهندي المقدس ولكن
 لا يوجد فرق بينهم بل هم الاله واحد ذو ثلاثة اقانيم وثلاث قوى :—
 خالقة ومخربة ومجددة

كذلك يعتقد الهنود بتنقل النفوس . فكل ذات في الوجود
 شكل وحيزاً تتخذها بحسب درجة اخلاقيتها وبفضائلها او باثامها
 كل عمل يعمل الفكر أو القول او الجسد يثمر ثمراً من جنسه خيراً
 كان او شراً

وهكذا تتفاوت درجات الناس بتفاوت افعالهم وجميع
 الاضرار البشرية التي تحيق بالانسانية ماهي الا النتيجة الضرورية
 للضرر الادبي الذي ارتكب في حياة ماضية . والفضل والنقص
 المعنوي هما سنة هذا الوجود الوحيدة

أما الاخلاق العملية البرهمية ففي ممارستها جميع الفضائل الدينية التي يقصد بها اندماج الانسان في الله كالعبادة بالصلاة والصوم والتواضع والصبر على الآلام والتجاوز عن الالهانة . ومحبة الضعفاء واحترامهم . ومحبة المرأة واحترامها . وقد جاء في شريعة مانو ما يأتي

« في احترام المرأة رضى الالهة .

ليس في حراسة الرجل للمرأة صيانة لها . انما هي التي تصون نفسها بنفسها اذا ارادت . لا يجب ضرب المرأة حتى ولا بزهرة . زواج الشاب بالشابة بايجاب وقبول منها كزواج الملائكة لا يشوبه كدر .

احترام الوالد اجل من احترام مائة معلم . واحترام الوالدة اعظم من احترام الف والد فمن أهمل احترامها ذهبت جميع اعماله الصالحة سدى فاحترام الوالدين اول الواجبات «

وغاية النفس الوصول الى الاتحاد ببرهمة بتجردها من الهوى فالنفوس الطاهرة تنال هذا القصد . اما الشريرة فتسقط في « نار اكا » لتعذب مائة سنة من سني برهمة . مع ملاحظة ان اليوم البرهمي يوازي ثمانية مليارات وستماية وخمسين مليون سنة شمسية ! والنفوس التي كانت وسطا بين الخير والشر فيصير تطهيرها بتقمصها في جسم حيوان او انسان .

ويلعب على اخلاقية البراهمة انهم لا يساؤون بين بني جنسهم

بيل جعلوهم عشائر وطوائف متفاوتة الدرجات فالكهنة في المرتبة
الاولى لانهم خلقوا من قم برهمة . ثم خلق قطريس رأس المحارين
من ذراعه الايمن . وخلق من فخذه بايس اب المزارعين . ومن
قدمه خرج سودير أب العبيد .

وقد نشأ من هذا الترتيب استبداد الكهنة وتوليهم الشؤون
الدينية والسياسية .

فرجع بعض نفر عن كاهلهم هذا التشيع واعلنوا استقلالهم
المذهبي .

فنادى « كيبلا » بالمذهب الحسي . رامية الى انكار وجود
الله .

واهتم جوتاما بالمنطق وتجديد القوانين الفكرية .
واسس « پتنجالى » مذهب الصوفي الذي فصله قصائد
« مهابهراتا »

(البوذية -) - ولد سقياموني الملقب ببوذا اي العالم . في
نحو عام ٦٠٠ قبل الميلاد المسيحي . وكان ابن احد ملوك الهند
الوسطى فلما بلغ التاسعة والعشرين من عمره هجر بلاد ابيه وتنسك
وبشر « بالحقائق الاربعة السامية » وهي :

(١) الوجود الحسي ضلال وغرور

(٢) الرغبة الناشئة من هذا الوجود . تنتج الالم

(٣) غرور و الم الوجود المادي يمكن ملامستها « برفانا » اي

بإعدام الوجود المتحرك في قلب الوجود الثابت
 (٤) للوصول إلى «الترفانا» أي إلى هذا الانعدام الحسي .
 يجب إنكار الذات وملاشاة كل رغبة . وعن هذه الحقائق
 الأربعة بنيت اخلاقية بوذا وتنحصر في المساواة بين جميع
 البشر وتبعية الآداب بالكهنوت وأولوية الواجبات الدينية
 على الواجبات الأدبية — الأخاء العام وواجبات المحبة والرأفة
 والتسامح والتواضع والمسألمة . الخ .

٩ الفلسفة الفارسية

كان الفرس يعبدون مبدأ النور والحرارة . مصدر الفكر
 والحياة . الشمس صورته . والنار رمزاً له
 أخذ زوراً ستر هذه العقيدة وجعلها مذهباً فلسفياً
 اختلف المؤرخون في تاريخ ميلاده وربما عاش بين الجيل
 السابع والجيل الثامن قبل المسيح وبعضهم يزعم أنه مات في بلخ
 والبعض الآخر يقول بوفاة على جبل الترج . وينسبون إليه كتب
 زند — أفستا المقدسة .

أما فلسفته فتدور حول اثنيثية الوجود

ما هو هذا الوجود ؟

هو مزيج من عنصرين : الخير والشر — الفكر والمادة —

الصواب والخطأ — النور والظلام .

هذان المبدأان المتناقضان موجودان منذ الازل احدهما
صالح ويدعى ارموزد ، والآخر طالح ويدعى اهريمان
في البدء كان ارموزد مع المعرفة السامية والطهارة . كان
مشرقاً بنوره ومن كلمته الالهية خلق العالم بما فيه
«والطاهر القدوس ، الابن الحكيم ، كان موجوداً قبل السما
قبل اليابسة والهواء . قبل القطعان والاشجار . وقبل النور والنار»
يتقاسم القوة والقدرة كل من ارموزد واهريمان غير ان
الاول يعلم كل ما سيحصل قبل وقوعه فيعلم بنتائج ما سيفعل .
اما الثاني فلا يعلم بنتائج عمله الا وقت حصوله — وهذا وجه
افضلية ارموزد على اهريمان وتغلب الخير على الشر ولو بعد
الاف السنين

فالحياة اذن اشبه بمعركة وغايتها انتصار الخير على الشر .
ولذلك كان اساس الاخلاق عند الفرس ان يكون الانسان
طاهراً كارموزد

وطهارة الفكر تجعل النفس نيرة مضيئة وادامها صدق القول
والامتناع عن الكذب
والنفس بعد الموت تحاكم وتنال جزاء ما قدمت في الحياة فاما
ثواب واما عقاب

١٠ الفلسفة الصينية

تمتاز الشعوب الصينية عن الشعوب الهندية الاوروبية بروح عملية اكثر مما هي نظرية

فالاخلاق والسياسة عندهم خالية من كل صبغة دينية . بل هي تعاليم بشرية معقولة فلسفية بدون مزيج بالنظريات اللاهوتية واعظم فيلسوف ظهر في الصين هو بلا جدال كونفوشيوس او كنج فوتسو

ولد في سنة ٥٥١ قبل المسيح ومات في سنة ٤٧٩ كان ابن أحد حكام الاقاليم . تزوج في التاسعة والعشرين من عمره وتعين مراقباً عاماً على الحقول والزراعة ولما توفيت والدته اعتزل العالم حداداً عليها ثلاث سنوات وفي اثناء عزله كان يفكر بالقوانين الادبية ويدرس شرائع الحكماء . ثم طاف في أنحاء الامبراطورية الصينية وتلمذ له في ظرف عشر سنوات ثلاثة الاف تلميذا معظمهم من الحكام والمتعلمين والضباط . فنشروا مذهبه على الملأ الصيني واذ تولى منصب القاضي العام بدأ عمله بالقضاء على شخص لم تكن تناله يد العقاب لمركزه وغناه .

وتقلب عليه خصومه فعزل عن منصبه ونفي فكان محبوب البلاد واذ بلغ الثامنة والستين من عمره عاد الى موطنه ونشر مؤلفه «شوكنج» وهو يبحث في الاخلاق والسياسة وبين فيه

علاقة الحاكم بمتبوعيه والوالد بأولاده والزوج بزوجته ثم الف
كتب «تاهيو» او المعرفة الكبرى . وتشنع - ينح او الوسط
الغير متغير .

اما فلسفته فتتلخص فيما يأتي :

«المعرفة الحقيقية هي ان يعرف الانسان انه يعلم ما يعلمه وانه
يجهل ما يجبه . وان اهم شيء يجب معرفته هو الواجب لان الشريعة
الانسانية الواجب العمل بها كحيط بغير شاطئ هي المنتجة
الكائنات ومبقيه عليها . تلامس السماء بارتفاعها . هذه الشريعة
هي شريعة العقل فيجب تطبيق عملنا على مبادئها لانها ملزمة لنا
وغير متغيرة ولا يمكن ان نعيد عنها قيد شعرة . هي مطلقة ومقدسة
وغاية الشريعة الادبية كمال الذات البشرية . فالكمال هو القوة
المنتجة للسماء والارض . وهو مبدأ وغاية كل موجود . وبغير
الكمال ما كان للكائنات وجود .

اما اهم الفضائل الخاصة التي يوصي بها الفيلسوف فهي قوة
النفس . والاعتدال . والعدالة والانسانية

وقد سئل الفيلسوف مرة في معنى فضيلة الانسانية فاجاب بانها
محبة الناس بكل ما في الوسع . واعتبار كل الناس اخوة
وحذا « منسيوس » حذو ذلك الفيلسوف بعد مئتي سنة
وكانت فلسفته السياسية تنحصر في ان الحكام الظالمين كقطاع
الطرق ويجب معاملتهم كما تعامل اللصوص . ومن حكمه قوله : من

يسرق من الانسان شيئاً يدعى لصاً ومن يسرق من العدالة شيئاً يدعى ظالماً ، الشعب اشرف شيء في العالم . كل الناس اخوة فبعضهم يشتغل بفكره والبعض يشتغل بذراعه فالذين يشتغلون بعقولهم يحكمون الناس . والذين يشتغلون باذرعهم محكومون بالناس والذين هم محكومون بالناس هم الذين يطعمون الناس الخ . -
ويوجد في الصين مدرستان آخرتان احدهما حاولية مادية وتدعى مدرسة النابيين وتتبع عقيدة بوذا - والاخرى لامادية وتدعى مدرسة لاوتسووتقول بالثالث العددى : ومنه تكونت جميع الاشياء .

الفلسفة اليونانية

الفلسفة بمعناها الحقيقي - البحث الحز - تبتدىء من اواخر القرن السابع أو بدء الجيل السادس قبل الميلاد + وليس المقصد من ذلك انه لم يسبق هذا التاريخ اراء دينية وادبية للشعوب التي تتألف منها البشرية ، بل كانت تلك الآراء اجماعية ليست من عمل فرد خاص كما هي الحال في الافكار الفلسفية ولقد رأينا فيما تقدم اثار تلك الآراء في الوثنيات القديمة المصرية والفارسية والهندية والصينية والتي لم تزل بعض طقوسها ظاهرة الى اليوم وقد كان لها تأثير أيضاً في أفكار الفلاسفة بما اشتملت

عليه من الرموز والاسرار . بيد ان ذلك التأثير كان سلبياً مما
دعى هيرودوت المؤرخ ان يقول « لقد وجد الناس منذ زمن
ما هو جميل ومنه ينبغي ان يتعلموا »

حكماء اليونان : وأول من دوّن الآراء والافكار الادبية

مطبوعة بطابع شخصي هم بضعة أشخاص ذوو عقول مدركة
وبصائر نيرة ادهشوا مواطنيهم بمهارتهم في تلخيص مظاهر الحياة
بجمل قصيرة شعرية أو نثرية دعيت « حكمة أو مثلاً » ولقبوا
انفسهم حكماء

ولما كان الابتكار الاغريقي يزخر ف كل شيء كان هؤلاء
الحكماء موضوع قصص وروايات مختلفة اهمها الرواية التي ذكرت
على لسان ديوجينيس الكلبي وهي

اجتمع نفر من شبان مدينة « مليطة » على شاطئ البحر
وطلبوا من أحد الصيادين ان يلقي شبكته في البحر فيشتركون
منه أول صيده معها كان . ففعل ولما اخرج الشبكة وجد بها أثنية
« موقدة ذات ثلاث قوائم » فتنازع الشبان عليها فيما بينهم واستقر
رأيهم على استشارة وحي الاله دلفيس فاجابهم الوحي بان هذه
تعطى لاكثرهم حكمة من الباقين

فاعطوها لطاليس المليطي ، وهذا تواضعاً منه اعطاها لآخر فناولها
لغيره وهكذا حتى وصلت « الي صولون الحكيم » فارسلها الي
هيكل دلفيس قائلاً ان الآلهة أعظم الكل حكمة ! «

وظل لقب الحكيم يطلق على كل نابغة حتى جاء فيثاغورس
وقال ما حكيم الا الله وحده وما أنا الا فيلسوف أي محب
الحكمة ومؤثرها .

واختلف الرواة في أسماء أولئك الحكماء الاقدمين مع اجماعهم
على ان عددهم سبعة . وهذه هي أسماءهم بحسب ما ذكرها
افلاطون في كتابه « پروتغوراس »

طاليس المليطي

يتا كوس من مدينة مثلينا بجزيرة لسبوس
يياس من مدينة پرينا بين افسس ومليطه
صبولون من مدينة اثينا

كليوبول من مدينة لنده بجزيرة رودس
ميسون من الشين بلا كونيا

شيلون من لكاديمونا وهو أول من قال الجملة المشهورة
« اعرف نفسك بنفسك » هذه منسوبة لسقراط

ومما لا شك فيه ان طاليس أول فيلسوف جدير بهذا الاسم
وهو مؤسس المدرسة الايونيه

١٢ أقسام العصر الاول

تشتمل الفلسفة اليونانية على قسمين (الاول) يتضمن الفلاسفة اليونانية ويحتوي على اربعة مدد :

المدة الاولى (قبل سقراط) وتبتديء من طاليس المليطي في الجيل السابع الى سنة ٤٧٠ قبل الميلاد . وكان عالم الطبيعة وظواهره مدار الابحاث الفاسفية .

المدة الثانية (العصر السقراطي) من سنة ٤٠٠ الى ٣٢٢ ق م بحثت الفاسفة فيها في المنطق وفيما بعد الطبيعة .

المدة الثالثة (بعد ارسطو) وتبتديء من تاريخ وفاة هذا الفيلسوف سنة ٣٢٢ ق م وتنتهي بالمدرسة الافلاطونية الحديثة في الجيل الثالث للميلاد ومباحث الفاسفة علم الاخلاق والخير الاعظم المدة الرابعة (الافلاطونية الحديثة) من الجيل الثالث الى سنة ٥٢٩ ميلادية حيث أغلقت المدارس الفاسفية بأمر الامبراطور يوستنيانوس . وكانت صبغة الفاسفة دينية وتصوفية .

(والقسم الثاني) يتضمن فلسفة اباء الكنيسة المسيحية وسندكر مميزات كل مدة في بدء كلامنا عنها

المدة الاولى

١٣ - قبل سقراط

بدأ الفكر الفلسفي ينبثق في بلاد الاغريق حيث نأفس الفن والشعر الى ان بلغ شأواً بعيداً ،
فجميع النظريات التي أوحى بها ظواهر هذا الكون الى افهام متعظشة لمعرفتها ، تتابعت وتزاحمت على عقول المفكرين القدماء فأخذ كل واحد يفسر معنى الوجود حسبما يرشده اليه عقله ، متأثراً بالمعتقدات الدينية أو بأراء السلف أو مجرداً ذاته من كل تأثير .

ولقد توصل اليونان الى وضع جميع الفروض الممكنة طرحها فأوجدوا بذلك سبيلاً لمن أتى ويأتي بعدهم ليصحح خطأ وقعوا فيه أو ليؤيد مذهباً ابتكروه فيصل الانسان منه الى معرفة حقيقة الوجود طفرة واحدة .

ونشأت في هذه المدة التي استغرقت نحو قرنين من الزمان

خمس مدارس فلسفية وهي :

١ - المدرسة الايونية

٢ - المدرسة الايليائية

٣ - المدرسة الفيثاغورية

٤ - مدرسة الذرات أو الجواهر الفردية

٥ - مدرسة السفسطائيين

فهذه المدارس ما عدا الأخيرة ، كانت تنظر الى العالم كما يظهر لنا ، أي كمجموع موجودات قد تكون من عمل الفكر ليس لها حقيقة واقعية

الا ان جميع الفلاسفة القدماء كانوا يشعرون ان هذه الاشياء المتعددة الدائمة التغير ليست هي كما تقع تحت حسنا وادراكنا ، ولا وجود لها بذاتها وينبغي البحث في عالمها .

فذهبت المدرسة الايونية الى ان مصدر تلك الاشياء شيء آخر يخالف ما نألفه والتجربة دليلنا لاستكشاف ذلك المصدر والفيثاغورسيون استرعت بصائرهم النسبة الموجودة فقالوا ان الاعداد التي توضح تلك النسبات هي الحقيقة الواقعية دون غيرها .

اما الايليائيون فذهبوا الى ابعدهم من ذلك : قالوا ان كل متغير لا وجود له الا في الظاهر ، وان الواحد الذي لا يتعدد ولا يتغير هو الموجود فعلا دون سائر الموجودات وارباب الجواهر الفرد زعموا ان الذرات مصدر الوجود ، وان كانت ابصارنا لا تتناولها ، فافهمنا تدركها .

والجميع بدون استثناء كانوا يرون رأيا واحداً وان اختلفت تعابيرهم وتباينت الفاظهم ففلسفتهم طبيعية وغرضهم اكتشاف

العنصر الذي تصدر عنه كل الاشياء • وما كانوا يفرقون بين
موضوع الفلسفة وموضوع العلوم الاخرى التي لم تتميز عنها
الا في العصور الحديثة

اما السفسطائيون فلما رأوا تضارب تلك المدارس في مذاهبها
وتناقضها لبعضها البعض • ارتابوا في امكان معرفة الحقيقة •
بيد ان شكهم ادى بهم الى التأمل في ماهية المعرفة وشروطها
وكان ذلك سبباً لتطور عظيم في تاريخ الفلسفة كما سيأتي .

١٤ المدرسة الايونية

نشأت هذه المدرسة في أيونيا Ionia وهي الجزء الاوسط
من شواطئ آسيا الصغرى الغربية وتم تكوينها في مدينة مليطة
Milet أسسها طاليس ، وتولى رئاستها هرقليطس في افسس
وانكسفوراس في أثينا ، وأمهيدوكلس (امبدقليس) في
اجريجننتا .

وقد اثرت في هذه المدرسة علي عهد أولئك الزعماء تعاليم
المدرسة الفيثاغورية والمدرسة الايليائية اللتان كانتا معاصرتين لها
وكان مدار بحثها حل معميات الاشياء المحسوسة وارجاعها
الى عنصر واحد أو بضعة عناصر زعم الفلاسفة استكشافها لان
تعدد الاشكال في نظر أولئك الطبيعيين • واختلاف الاشياء

التي لا حصر لها ودلنا عليها الاختبار . نشأت عن صورة واحدة
أو عن عمّا اختلطت فيه كل الأشياء بدون تمييز .

Thalés de Milet طاليس المليطي

هو مؤسس المدرسة الايونية . ولد بين سنة ٦٣٩ وسنة
٦٣٦ ق م أي في الاولبيا الخامسة أو السادسة والثلاثين وتوفي
سنة ٥٤٦ ق م فعاش نحو قرن من الزمان ويقال انه فنيقي الاصل
اقام رديحاً من الزمن في القطر المصري على عهد أمازيس ثم
رحل الى آسيا وعاد أخيراً الى مليطه . كان ميالاً الى التجارة مع
وفرة غناه . بيد انه صرف أمواله في نفع بلاده

تنبأ بكسوف الشمس الذي وقع في ٢٨ مايو سنة ٥٨٥ وروى
انه سقط في بئر بينما كان يرصد الكواكب .

لم يكتب طاليس بما تعلمه من علم الفلك كما كانت عادة ابناء
الاعنياء في ذلك العصر . بل زعم انه اكتشف المادة التي تبقى
بالرغم مما ينتابها من التغيرات فقال ان «الماء» مصدر الاشياء كلها
منه تكونت الموجودات واليه تعود .

والاسباب التي دعت الى هذا الزعم دينية وطبيعية ذلك ان
قدماء اليونان كانوا يمتقدون ان الالهة تيثيس (Théthys) آلهة
البحر هي مغذية الكائنات ومانحة الحياة . وان الآلهة كانت تقسم
بئر الستكس (Styx) كمالو كان أجل الاشياء واكثرها احتراماً

أما من الوجهة الطبيعية فقال ان ماء البحر لو تبخر ارتفع
 بخاره نحو الشمس والسكرأكب فتتغذى به . ثم يتخلف بعد
 التبخر راسب يكون اليابسة . كذلك جميع النباتات تحوي في
 ذاتها على الماء . وهو يتخذ جميع الاشكال ويستحيل الي كل شيء
 فلو تكاثف صار ارضاً يابسة واذا تمدد تحول الى نار أو هواء
 ولم تقتصر فلسفة طاليس على القول بأن الماء هو العنصر
 الوحيد الذي تصدر عنه جميع الاشياء بل زعم أيضاً ان التغير
 الذي يحصل لهذه المادة يحدث بتأثير جواهر روحانية مماثلة لروح
 المغنطيس الذي من خواصه قوة الجذب .
 فكان بذلك يؤله تلك الارواح ويجعلها مائة الوجود
 وحالة فيه .

هذه الآراء وان كانت في عصرنا الحاضر تعد صيدانية الا انها
 تدلنا على ان طاليس كان في زمنه طالماً سعى في تعميم الاشياء ،
 وفيلسوفاً متشعباً بانحرافات الوثنية وهو أول من حاول تفسير
 الظواهر الطبيعية تفسيراً عملياً وارجاعها الى عنصر واحد ولو انه
 أخطأ في حدسه .

انكسيمندر (٦١١ - ٥٣٦ ق م) Anaximandre

صديق طاليس وأصغر منه سناً أول من ألف الكتب ورسم
 الخرائط الجغرافية . استحضر من بابل الى اليونان «الغنومون»

أي المزولة أو الساعة الشمسية ولقد حاول مقاس النجوم فكان القمر على زعمه أكبر من الأرض تسعة عشر مرة ، والشمس أكبر منه سبعة وعشرين مرة . والأرض اسطوانية الشكل كالعامود وهو واضع المبدأ الشهير أن لا يمكن خلق شيء من لا شيء »
 خالف رأي طاليس في عنصر الأشياء فزعم ان المادة التي تكونت منها الموجودات هي العما (chaos) أعني شيء غامض غير محدود ولا معين تختلط فيه جميع الأشياء فلا هو هذا ولا ذلك : عنه تصدر واليه تعود بمقتضى حركة أبدية تدفعها يد القدرة فالسماوات والعالم نشأت من هذا الشيء اللامحدود تبعاً لبعض قوانين ثابتة

ولما كانت الكواكب آلهة سماوية (على زعمه) فيظن بأنه جعلها أيضاً خاضعة لتلك القوانين .

والذي يدهشنا كثيراً ان هذا الفيلسوف قال بنظرية التطور (مذهب النشو والارتقاء) حيث ذهب الى ان الحيوانات كانت كلها مائية فلما تركت فيما بعد في الجفاف تطبعت بمحالتها الجديدة ثم أخذت في التطور حتى تشكلت نهائياً بأشكالها الحالية .
 والإنسان على رأيه تسلسل من سمكة !

فمن هذه النظريات يمكن القول ان ما من رأي جديد في العالم الا ان من يرى مثلاً ضفدعة تعوم على سطح الماء فيفترض لها

افتراضات تخمينية شيء ، وتأسيس نظريات جديدة بأن تعد مذهباً
صحيحاً (كما فعل دارون) شيء آخر

ومع ذلك فانكسيمندر كان ذا فكر ممتاز وعقل راجح :
استعار انكسوراس وأمبيدوكس بعض آرائه . ويخيل الينا أيضاً
ان التمييز الذي جعله ارسطو بين القوة والفعل . أو الممكن
والواقع ما هو الا تكرار هذا الشيء اللانهائي الذي انبثت
منه جميع الاشياء .

انكسيمندر (٥٤٨ - ٤٨٠) ق م Anaximenes

ولد في مليطه وتنامذ لانكسيمندر فدرس علم الفلك على
مثال من تقدمه . وهو أول من رأى ان حرارة الشمس ناشئة
عن سرعة الحركة مما يدل على انه كان ملماً بعلم الميكانيكة
اما فيما يختص بالاساس الذي تكونت منه الاشياء فليس
الماء كما ادعى طاليس ولا العما كما زعم انكسيمندر بل هو
(الهواء) لانه ضروري للحياة

وحذا أيضاً حذو انكسيمندر فقال بحركة ازلية يحصل بها
تحول تلك المادة الى الموجودات المختلفة . واذا صدقنا ما يروى
عنه — لان كتبه لم تتصل الينا — فزعم ان الهواء هو الله اذ به
اتخذت الاشياء وجودها واشكالها بالتكاثف تارة وبالتمدد طوراً

تحتاج منه الماء فالارض فالنار ثم تكونت جميع الاشياء من هذه
العناصر الاربعة

وذهب ديوجانس الابولوني (Diogene d'Apollonie) تلميذه مذهب به في ان الهواء مادة الاشياء كلها فهو روحها .
ومادتها وهو الامتداد والفكر وبذلك كان واضع مبدأ المتناقضات
وتوحيدها ذلك المبدأ الذي سيأخذ به هيغل في أوائل الجيل
التاسع عشر

هرقليطس Héraclite

ولد في افستس (Ephese) ولم يعرف تاريخ ميلاده والمحقق انه
اشتهر في الجيل الخامس قم وقيل انه اول متشائم يسيء الظن
بالحوادث فلم يكن يرى الا با كياً !
كانت فلسفته غامضة حتى ان سقراط قال انه لم يفهم منها
الا نصفها .

اما العنصر الذي تكونت منه الاشياء فهو على زعمه (النار)
اذ انها رمز للحركة الدائمة . وجوهر الاشياء لا يثبت على حالة
واحدة : الكل يمر وينقضي ولا يبقى شيء . والانسان لا يستحم
مرتين في النهر ذاته لان أمواجه تتعاقب بغير انقطاع
فالتعدد أو التغير الذي قال هيغل انه « المصير » بغير غاية
أو تهادن هو جوهر موجودات هذا العالم فيتجمع وتتفرق تارة

علي وفاق وطوراً على شقاق كأنها في حرب وفي سلم وهذا هو
سبب التحول الدائم .

• وكان يسلم بوجود حكمة الـهية لا تناسب بينها وبين حكمة
أعقل انسان في العالم • وهي تظهر في الكون بما تدبره من
حياتنا الفردية والاجتماعية • وان أعظم خير في هذه الحياة هو
صدق العزيمة وحسن الخلق

اننا لو أمكنا الحكم — مع بعد الزمن — على هرقليطس •
لقلنا انه أقرب من غيره في التفكير المستقيم ولذلك لا يدهشنا
ان افلاطون الذي كان تلميذا لقراتيل أحد تلامذة هرقليطس
استعار منه بعض الآراء

وقال سقراط عنه « جيد كل ما أمكنني فهمه من نظرياته
ويجب ان يكون أيضاً حسن ما لم استطع فهمه »

أنكسغوراس (٥٠٠ - ٥٢٨ ق م) Anaxagore

ولد في كلازومينا من بلاد أيونيا - ترك موطنه في نحو الخامسة
والعشرين من عمره وقصد أثينا مركز المدن في ذلك الوقت وحيث
تلقى العلوم الفلسفية ثم صار معلماً فيها . وقيل ان تيمستوكليس
واوريديس وبركليس الشهير تتلمذوا له والاخير صار له صديقاً
حيماً وهو الذي أواه وسهل له الالتجاء الى مدينة لميساك عندما
تحكم عليه لطمعه في آلهة المدينة ومات بالغا من العمر اثنين

درس الفلك واكتشف ان القمر مظلم بذاته ويستمد نوره من الشمس وشرح كيفية الخسوف ومتى يحصل ، الا انه أخطأ كما كانت الحال في ذلك الزمن - في مقياس الكواكب وطبائعاها اما نظرياته الفلسفية فهي كثيرة الشبه بفلسفة انكسيمندر اذ يقول بان كل شيء كان في البدء مختلطا ببعضه في حالة التشويش ثم تفرقت الاشياء وانضمت الاجزاء التي من جنس واحد الى بعضها فتألفت منها الانواع التي نراها الآن في العالم وأمكن تعيين كل جنس على حدة .

ولكن كيف أمكن اتحاد هذه الاجزاء المتجانسة ،
يسلم انكسفوراس بأصلين أحدهما . المادة مؤلفة من ذرات غير محدودة بسيطة ولا تقبل التجزئة . فدعاها *Homonories* وثانيها عنصر آخر يخالف جوهره الطبيعية دعاه العقل (نوس) فهو الدافع لذلك الاتحاد للاشياء التي كانت في حالة الاختلاط والامتزاج .

واكتفى الفيلسوف المذكور بان جعل ذلك العقل يتدخل مرة واحدة في التكوين المشار اليه ثم ترك فيها بعد للقوانين الطبيعية أمر ترتيب وتنظيم الاشياء طبقا لسنة التي شرعها لها .
وأثرت نظرية انكسفوراس هذه تأثيراً كبيراً في الفلاسفة الذين اتوا بعده ونقلها ارخلاوس تلميذه الى سقراط .

١٥ - المدرسة الإليائية

كانت مدينة إلياء (Elée) تابعة لبلاد الاغريق الكبرى وهي كائنة على شاطئ بحر صور عند ما رحل اليها كزينوفان يالفا أكثر من ثمانين عاما وأسس فيها مدرسته الفلسفية

كزينوفان (٦٢٠ - ٥١٩ ق م) Xenophane

ولد في نحو العام الستمائة والعشرين قبل الميلاد في مدينة كولوفون بالقرب من أفسس . فهو معاصر لأنكسيمندر وعاش جيلا من الزمان .

ترك وطنه منفيا - وقيل اختاريا - وهو في الثمانين من عمره فهاجر الى زنكل (مسينا) ثم رحل الى كتانيا وأخيراً أقام في إلياء .

اما مذهبه الفلسفي فضمنه كتابه « في الطبيعة » ويؤخذ منه انه يسلّم بأربعة عناصر وهي الماء . والارض المتولدة منه . والنار والهواء - ولم يشارك العامة في معتقداتهم بالتأنس (anthropomorphisme) أي بأن الآلهة شكل الأدميين وصفاتهم وعيوبهم كما جاء في اشعار هوميروس وهزيبود . فنفى كل مشابهة بين الآلهة والناس سواء كان في الجسم أو في الشكل

أو في العقل

وقال لو كان للشيران أو الأسود أو الجياد أياد وتعرف
التصوير لكانت رسمت لنا الالهة على اشكالها ثيرانا او اسوداً
او جياداً وهل جرم اعظم من نسبة السرقة والزنا وسائر المفسد
الى الالهة !

وقد عارض الايونيين في اعتقادهم بتعدد الالهة فلم يعترف
الا باله واحدي ويضكر ويسمع دون غيره الا ان نتائج براهينه
تجاوزت مقدماته : بما ان الله كامل الذات والصفات والوجود
فكل شيء لا وجود له الا به وفيه . فكأنه يقول بالحلول
المادي ويؤله الكون.

ومن رأيه ان الارض اسطوانية تمتد قاعدتها الى مالا نهاية له .
ويحيط بجوها الهواء وفيه انتثر النجوم .

ولما كان في ايطاليا اطلع على مذهب فيثاغورس فاخذ عنه
الوحدة وبنى عليها منطقته ليثبت ان الله واحد ازلي . وان من
الاحاد الاعتقاد بولادة الالهة كما جاء في الوثنيات القديمة لان
كل ما يولد مصيره للهلاك والله سرمدي باق الى الابد

پارمنيدس (٥٢٩ - ؟) Parmenide

ولد في إلباء ولم يتعلم الا على الفيثاغورسيين وعلى كزيتوقان .

ونظراً لوجاهة عائلته وغناها كرس وقته للدرس فحاز شهرة عظيمة.
ثم قصد مع تلميذه زينون الاليائي (خلاف زينون الرواقي) مدينة اثينا سنة ٤٥٤ أثناء الاعياد الپنائينية (Panathenees) التي كان الاثينيون يحتفلون بها اكراماً للآلهة منرفاينة جوبتير.
وكان ذا مهابة ووقار اثار في نفس سقراط الشاب. وقال افلاطون عنه « انه كان وقوراً ورهيباً في آن واحد » ولتبه أيضاً بالعظيم .

اوضح پرمينيدس مذهبه في مؤلف له يدعى « الطبيعة »
ينقسم الي جزأين يتضمن الاول ماهية الحقيقة المجردة . والثاني :
يحتوي على آرائه في ظواهر الوجود .

ومن أقواله : الوجود — موجود هو ، واللاموجود ليس له وجود . والكائن اذ لا يمكن ان يوجد من العدم وهو واحد بذاته لا يقبل التغير بل ثابت وواجب الوجود فليس له مضير . هو واحد في الكل ، والكل في الواحد »

اما فيما يختص بالعالم المحسوس الذي ليس له وجود بذاته .
فپرمينيدس يرى فيه تناقضاً فسره بما يأتي :

نتج العالم من مبدئين متعارضين وهما الظلام أو البرودة والنور أو الحرارة وما العالم المحسوس بموجود فعلاً إنما يظهر لنا كحركات دائرية تتجمع في نقطة مركزية

وكانت نظرياته على تقيض نظريات الفلاسفة الايونية التي سافر

الى اثينا خصيصا لحضنها وهو متقدم في السن

زيثون الديالتي (٤٨٧ — ؟) Zenon d'Elee

اذا كان پرميديدس شاعر الفلسفة الايلياثية فزيثون رسوله
او جنديه قاوم تعاليم الايونيين مقاومة شديدة بعارضة قوية
وحسن بيان .

ولكي يثبت وحدة « الكائن » اوضح ان المادة والزمن
والحركة ما هي الا ظواهر

اذا كانت المادة موجودة فاما ان تتحلل الى ذرات ممتدة او
لا تتحلل فان ردت الى ذرات غير ممتدة فالجزئيات تكون امتداداً
وان لم ترد الى ذرات غير ممتدة فيستحيل وجود ذرات لان الذرة
الممتدة قابلة للقسم والتجزؤ دائماً — هذا فيما يختص
بالفضاء والمادة .

اما ما يختص بالزمن : فالتغير ليس ما كان ولا ما سيكون
لانا لو قلنا ان هذا الشيء الحاضر هو كما كان فلالمعنى للتغير
وان قلنا انه نفس ما سيكون فيستحيل وجود التغير .

اما فيما يتعلق بالحركة . فمثل اخيل والسلفاة اعجز الايونيين
قال زيثون ان اخيل السريع الركض اذا تعقب السلفاة البطيئة
الحركة فلا يلحقها اذا كان المكان ينقسم الى ما لا حد له . وينبغي

لتنهم الحركة اي الانتقال من نقطة لاخرى التسليم بادراك اللاهائي .
وهذا مستحيل .

كذلك تقسيم الزمان الى اقسام لا حد لها يناقض الحركة .
ويثبت ذلك السهم المنطلق من كنانته :

فالجسم يكون ساكنا في وقت ما وفي حين معلوم . ولما كان
السهم المنطلق محتلا في كل آونة حيناً معلوما فهو يكون ساكنا
ومتحركا في آن واحد وهذا محال اذ كيف يكون في المحل الذي
انطلق منه وفي المكان المنطلق اليه .

كل هذه الادلة لم يكن في استطاعة الا يونيين نقضها طالما
كانوا يعتقدون بوجود الاجسام في مكان وفي زمان ما ولم يدركوا
ان هذه الاجسام ليس لها وجود ذاتي بل هي بنات ادراكنا
الحسي وما المكان الا تصورا والزمان مجرد اصطلاح .

بيد ان زينون كان زكيا تبعا لعصره وشجاعا حتى عماته فقد
روى ديوجانس اللايرثي ان زينون لكي يحرر بلده ايلياء ، تأمر
ضد حاكمها نيارك Nearque فقبض عليه هذا وعذبه عذابا
شديدا ليبدل على شركائه المتآمرين معه فلم يكن من زينون الا
ان ذكر اسماء اصدقاء ذلك الطاغية واسم هذا الاخير ايضا ثم قطع
لسانه باسنانه ورماه في وجه معذبه .

وقيل ان زينون مات مدقوقا في جرن بأمر ذلك الحاكم .

١٦ - المدرسة الفيثاغورية

كانت هذه المدرسة والمدرسة الايائية معاصرتين للمدرسة الايونية التي تأثرت بفلسفتها دون ان تؤثر عليها .

وهي أسسها فيثاغورس (Pythagore)

قيل انه ولد في الجيل السادس قبل المسيح ولم يعرف بالتدقيق سنة ولادته التي كانت في جزيرة ساموس بالقرب من شاطيء افسس على بحر ايجهي

رحل في صباه الى مصر وفنيقيا والكلدان ولما عاد الى وطنه وجده تحت حكم الطاغية بوليقراطس فهاجر الى كروتونا بايطاليا حيث شرع في تنفيذ آرائه الدينية والفلسفية والاجتماعية فأسس جمعية سياسية دينية فلسفية تعهد أعضاؤها باعتناق مذهبه وكانت تضم عدداً كبيراً من النساء بينهن زوجته ثيانو وبناته الثلاث . ومن شروطهم الصمت المطلق نحو الخمس سنوات . وكانت الاموال والمقتنيات مشاعة بين الجميع ورابطة الود مستحكمة .

الا ان الروح الديموقراطية تنهت فحصل من جرأ ذلك اضطرابات شديدة قضت قضاءً مبرماً على الجمهوريات الفيثاغورية

ويقال ان فيثاغورس نفسه وكثيراً من تلاميذه هلكوا في ثورة في متاپونت غير ان التعليم الفيثاغوري ظل زاهراً في اليونان الكبرى على عهد افلاطون ثم ادخله فيما بعد الشاعر أنيوس في روما .

لم يكتب فيثاغورس شيئاً ولم نستدل على فلسفته الا من فيلولاوس الذي تلقى العلم في كروتونا ووطنه على اريزاس تلميذ فيثاغورس . وأيضاً كتب ارسطو عن المذهب الفيثاغوري واليك خلاصته مأخوذة من هذين المصدرين وعلى الخصوص من كتاب الباخوسيين (Les Bacchantes) لمؤلفه فيلولاوس المذكور :

كان الفيثاغورسيون علماء في الرياضة وفي فن الموسيقى وكانوا يوفقون بين العلم والفن المذكورين فقالوا ان العدد مبدأ الموجودات ومادتها والاعداد اما فردية واما زوجية . فالزوجي غير محدود والفردى محدود اما لانه يضع حداً للقسمة على اثنين واما لانه اذا اضيف على الواحد مجموع الاعداد الفردية نحصل على مربع تام . وجميع الاعداد التي تزيد عن عشرة ماهي الا تكرار للعشرة الاول التي هي مصدر الكل ويدعوها فيلولاوس اصل وملكة الحياة الالهية والسماوية والبشرية

فالواحد هو الجوهر الاول الذي يتضمن في ذاته العددين الزوجي والفردى . والاثنين اول الاعداد الزوجية كما ان الثلاثة اول الاعداد الفردية . واربعة اول المربعات كما ان العشرة مؤلفة

عن الأربعة أعداد الأولى

وبما أن العدد يؤلف كل شيء كذلك كل شيء يتضمن في ذاته
أركان العدد أي الفردي والزوجي أو المحدود والغير المحدود .
فالفردي والمحدود أحسن الأشياء وأكثرها والزوجي والغير
محدود بعكس ذلك

ولذلك تنجز الأشياء إلى مجموعتين متعارضتين :

الأولى تتضمن الخير والمحدود . والثانية الشر والغير محدود
وهذا بيان العشريتين المتقابلتين

١ — محدود وغير محدود . ٢ فرد وزوج . ٣ وحدة
وكثرة . ٤ يمين ويسار . ٥ ذكر وأنثى . ٦ سكون وحركة .
٧ معتدل ومنحرف . ٨ مربع ومستطيل . ٩ نور وظلام .
١٠ أحسن وورديء

وقال فيلولاوس أن في البدء كانت توجد نار في وسط
الكون وبقوة الجذب تجمعت أجزاء الغير محدود القريبة من
مركز تلك النار وتكون منها المحدود أي العالم .

والعالم كروي الشكل . وتتحرك حول النار المركزية عشرة
كواكب سماوية وهذا ترتيبها بحسب بعدها عن المركز

١ سماء الكواكب الثابتة

٢ خمسة سيارات مرتكزة على دوائر شفافة

٣ الشمس

٤ القمر

٥ الارض

٦ عكس الارض وبذلك تكمل العشرة أعداد .

والارض توجه دائماً الى عكس الارض والنار المركزية ،
الجهة المقابلة للتي نسكنها ولذلك لا تصل اليها أشعة هذه النار
مباشرة بل بواسطة الشمس . ويكون الوقت نهائياً اذا وجدت
الارض مع الشمس في نفس الجهة المركزية . والشمس والقمر
والارض كلها كروية الشكل الا ان الاولين شفافتان كالزجاج
بحيث انهما تعكسان النور والحرارة

والنفوس أجزاء من الشمس . وتوجد شياطين بين الآلهة
والناس وهي التي تسبب لهؤلاء الاحلام وغيرها من الهواجس .
والارواح لا تقضي غير انها تسير في أثير الجو الى ان تصادف
جسماً أياً كان فتدخل فيه . واذا خرجت من جسد انسان يتفق
ان تدخل في جسم حيوان آخر ولذلك كان فيثاغورس يحرم ذبح
الحيوانات واكلها . وان المادة تبقى ولا يعثرها الفناء بل التغيير
فقط في الشكل

والغرض من الحياة التشبه بالآلهة واطاعة ارادتها — والحياة
تجربة فليس للانسان حق في التخلص منها بالانتحار كما ان الجندي
لا يحق له التخلي عن مركزه
وقد أوصى بالعبادة واحترام الوالدين والوفاء بعهد الصداقة

والرفق والاحسان للضعفاء والاعتدال في طلب الغنى . وفحص
الضمير يومياً مع المواظبة على الصلاة وتجنب الموبقات والامتناع
عن أكل الرجاسات وخضوع الشبان للشيوخ واحترام القوانين
والسلطة . والتفاني في خدمة الوطن .

وأشهر تلاميذ فيثاغورس اثنان

فيلولاوس (٥٠٠ — ٤٢٠ ق م) ولد في كروتونا بإيطاليا
وهو الذي شرح مذهب استاذه في كتابه الباخوسيين نسبة الى
الاله باخوس

وأرخيتاس . ولد في ترانتا ومات غرقاً في جهة ابوليا وكان
فلكياً ورياضياً ومن ضمن اختراعاته البرقي والبكرة .

١٧ — أمبيدوكل او امپدوكليس Empedocle

افردنا فصلاً خاصاً لهذا الفيلسوف لان فلسفته مزيج من
مذاهب انكسيمندر وهرقليطس وفيثاغورس والاليائيين

ولد في اجريجننتا بجزيرة صقيليا سنة ٤٥٠ ق م وكان كاهناً
للالهة وشاعراً وفيلسوفاً وساحراً فافتخر بأنه يأمر الرياح فتطيعه

والعواصف فتسكن لصوته ويخاطب الأرواح ويشفي جميع
الأمراض. وكان مع وفرة غناه يبذل ماله في الأعمال النافعة الشريفة
ذهب إلى بلاد اليونان في أواخر حياته وعلم في أثينا ولم
يتمكن من العودة إلى بلاده لأن خصوم الديموقراطية استولوا
على زمام الأحكام فيها فمات في إحدى مدن بلجيونيز.

قال إن كل شيء كان في البدء مختلطا وممزجا بالوحدة .
ماهي هذه الوحدة؟ أكانت « الموجود » الذي لا نهاية له
ولا تغيير أي الاحدية المطلقة التي ذكرها كزينوفان وپرمينيدس
وزينون .

نظن أنها كانت الواحد والمتعدد كما زعم فيثاغورس . بيد أن
الوحدة والتعدد لم تكونا في نظر امبيدوكل هذا العالم المجرد
بل هيولى الكون الأزلية الكروية الشكل المساوية لذاتها .
ثابتة فسيحة فدعاها (سفيروس) وجميع العناصر مثبتة في هذا
السفيروس بقوة سائدة هي الحب

وتخلي الحب بقوة اضطرارية عن سيادته إلى الشقاق الذي
أوجد الحركة والاتقسام في السفيروس (الكرة)
فالعناصر التي كانت مختلطة ببعضها البعض تفرقت وكان أولها
الهواء ، ولما ضغط الهواء تولدت عنه النار . أما الماء واليابسة
فقد انفصلا عن ذلك الاختلاط بحركة ذاتية

فكان امبيدوكل بهذه النظرية ينتمي إلى مذهب ديموقريطس

أو الى المذهب المادي الطبيعي الذي علمت به المدرسة الايونية
 وألشأ امبيدوكل من تلك العناصر الاربعة ديانتته فقال
 ان النار هي الالهة زفس ، والهواء هيرا ، والارض اركوس ،
 والماء نستيس ، وعند ما يبكي هذا الاله تتساقط دموعه على
 الارض وهذه الدموع هي الندى

وقال ان الكائنات تتكون وتتبدل باختلاط العناصر ببعضها
 أو بانفصالها بدون ان ينعدم منها شيء لان المادة لا تفنى ولا تنعدم
 ويعتقد بوجود آلهة كثيرة ، وملائكة أصدقاء للناس ،
 وشياطين أعداء لهم تحرضهم على فعل الشر ويعتقد أيضاً بمخلود
 النفس وتناسخ الارواح Metempsychose في اجسام
 الحيوانات والنباتات وتعيش فيها على التعاقب الى ان تعود أخيراً
 الى الآلهة فتعيش معها عيشة رغيدة سعيدة .

والمبدأ الثابت في ذهن هذا الفيلسوف ان الحب — مبدأ
 وغاية كل موجود — هو الذات الالهية وان الفهم المدبر لجميع
 الموجودات هو العقل



١٨ مدرسة الذرات

تختلف هذه المدرسة عن المدرسة الاليائية تمام الاختلاف
 ويشبه مذهبها من بعض الوجوه مذهب المدرسة الايونية
 اما زعمائها فهما لوسيبس وديموقريطس وكلاهما ولد في ابيدير
 بتراقيا . فاتفق الاثنان مولدا ومذهباً وسيقتصر كلامنا على الثاني
 منها لاننا نجهل تاريخ حياة الاول

اشهر ديموقريطس (٦٢٠ — ٤٤٠) Democrite بالطروب
 لانه ما كان يرى الا ضاحكاً على تقيض هرقليطس المتشائم الباكي
 وكان غنياً ميالاً الى السفر . جواباً للاقطار . اذ قال عن
 نفسه في كتاب حفظ لنا بعض شذرات منه القديس اكليمنضس
 الاسكندري ما يأتي :

« زرت اكثر البلاد وطفقت الافاق البعيدة وشاهدت أغلب
 « الشعوب وتخاطبت مع معظم حكماء عصري ولم يفقني أحد في
 « بيان الخطوط (الهندسة) حتى ولا المصريون

والحقيق انه كانت له علاقة بالفلاسفة برمنيدس وزينون
 وانكسغوراس وپروتغراس وغيرهم . وقد اكسبته حميته وشوقه
 للعلوم معارف اكثر مما عرفه المتقدمون والمعاصرون وalf كتباً
 عديدة ذكرها ديوجانس اللايرتي

ويظهر ان مذهب الذرات موجه على الاخص ضد المذهب الايليائي الذي انكر وجود الفضاء وبالتالي وجود الذرات اذ لا يمكن وجود ذرات بدون فاصل أي فضاء بينها . وخاصة الفضاء هي وجود امتداد غير متناه تحصل فيه حركة الكائنات وتعددها

اما لو سيب وديمقريطس فأثبتنا بالعكس وجود الفضاء بادلة بعضها يستعمله الآن علماءنا

قالا : لا يمكن وجود حركة بدون فضاء وبدون جواهر فردة والدليل على هذا الوجود ضغط الاجسام وامكان صب ماء في اناء مملوء بالرماد بنفس المقدار الذي يمكن صبه تقريبا لو كان الاناء فارغاً . ووجود الفضاء ضروري في اجسام الحيوانات اذ لولاه لما امكن ادخال الاغذية فيها . اما الذرات فهي العناصر المعتدة الغير قابلة للتجزئة ومنها تتشكل المادة وهي غير متناهية العدد ولها ثلاث خواص جوهرية الصلابة والشكل والحركة ثم قالوا ، قسموا الجسم الى اجزاء مهما بلغ مقدارها فاما ان يبقى شيء أو لا يبقى . فان لم يبق شيء فكان الجسم يأتي من العدم وهذا مستحيل ، وان بقي شيء فاما ان يكون له امتداد أو لا يكون . فاذا كان له امتداد ثبت وجود الجزئيات (الجواهر الفردية) وان لم يكن له امتداد رجعنا الى القول بعدم بقاء شيء من الجسم وهذا محال

فالأجسام اذن مؤلفة من ذرات (جواهر فردية) تتحرك بذاتها فتتجمع أو تتفرق وبذلك تشكلت الأجسام بأشكال مختلفة وهذه الذرات لا تحصى وازلية الوجود

والنفوس مكونة من ذرات روحية سريعة الحركة كالتى تشاهد في شعاع الشمس المنبثق من كوة الى داخل غرفة مظلمة اما المعرفة فمصدرها الحواس لان الأجسام يصدر عنها أثر يتغلغل في اعضائنا فيسبب احساساتنا ويتسلط على المخ فيكون صور الأشياء وهذه البصور لا تدل على جواهر تلك الأشياء الظاهرة بل على التأثيرات المختلفة الناشئة عنها .

والآلهة كالناس تتركب من تلك الذرات الا انها منظمة باحسن ترتيب ولهذا السبب تعمرو طويلاً اكثر مما يعيش الانسان ويهيمن فوق الكل ضرورة تحكم السماء والارض . والسعادة في طاعتها طاعة عمياء

اما متروودور من (كيو) وتلميذ ديمقريطس فقد ادت به نظرية صور الممانى الى الوقوع في مذهب اللاادرية المطلق فكان يقول « لا اعرف شيئاً حتى ولا ادري انى لا ادري » وقد تتلمذ له انكسارك الذى صار استاذاً لبيرون

قام في وجوههم خصوم اكفاء لهم كسقراط وافلاطون وارسطو
ولقد شبه المؤرخون الجيل الخامس قبل الميلاد بالجيل الثامن
عشر المسيحي ، والسفسطائيين بالانسكلوبيديين

بروتغوراس (٤٨٥ - ٤١١ ق م) Protagoras

ولد في مدينة ابدير بتراقيا وبعد ان تمرن على الخطابة في
وطنه على أستاذه ديمقريطس قصد أثينا حيث أخذ بالتعليم فيها
فاشتهر ومن ثم أثرى من الاجر الذي كان يتناوله من المتعلمين
ثم رحل الى صقيليا وايطاليا وعلم فيها وبعد ذلك عاد الى اثينا
ثانية الا انه نفى منها نظرا لما ذكره في كتابه (بيرى ثيون) اي الخاص بالله
فاحرقت كتبه في الميادين العمومية لاتهامه بالكفر والاحاد اذ
انكر وجود الله حيث قال « لا أستطيع ان أعرف هل توجد
آلهة أم لا »

أما مذهبه فدوته افلاطون في محاورتي « بروتغوراس
وثيتيتس » وحكاه ارسطو في مؤلفه « ما بعد الطبيعة » ويتلخص
هذا المذهب فيما يأتي : « الانسان مقياس جميع الاشياء »

وهو على رأي هرقليطس فيما يتعلق بالعالم المادي . من ان الحواس
دليل كل شيء وأصل المعارف البشرية . كما ان الاحساس لاحد
لتغيره . وكل انسان يحكم بما يعرفه وحكمه حق

ولما كانت أحكام الناس تختلف في الشيء الواحد . فما يراه هذا

صواباً يراه الآخر خطأ ويشك آخر في صحته وفي خطائه . فكل واحد مخطيء ومصيب في آن واحد لان الحقيقة تابعة للشعور الوقتي الذي نحس به وما صدق الشيء وكذبه الا حسبما يستحضره الانسان صدقاً أو كذباً

أما الخير الخلقى فهو كل ما يسر . ولا يوجد ركن خاص لتعريف العدل والظلم او القداسة والنجاسة

جورجياس (٤٨٥ — ٣٨٠) ق م Gorgias

ولد في ليونتيي بصقيليا وتعلمد لزينون الإليائي وبعد ان زار بلاد اليونان أقام زمناً في تساليا . وفي سنة ٤٢٧ ق م اتدبه مواطنوه سفيراً في أثينا ليستميلها الى المساعدة ضد سيراكوسه . وفتح مدرسة تعلم فيها البلاغة فأثرى واشتهر من مهنته . ويقال انه مات معمرأ نحو المائة عام في مدينة لاريسه بتساليا . وأهم مؤلفاته كتاب اللاوجود أو الطبيعة فشرح افلاطون هذا المذهب وانتقده في كتابه « جورجياس وهيباس »

كان جورجياس إليائياً ومن قوله « لا يوجد شيء » ، وأن وجد فلا تمكن معرفته . وأن وجد شيء وأمكن معرفته فلا يمكننا تعريفه للآخرين «
أما برهانه على ذلك فكما يأتي

إذا كان للموجود وجود فيكون ابدياً وبالتالي لا نهائياً .
واللانهائي لا يمكنه ان يحتوي على شيء . فلا المحتوي هو ذات
المحتوى عليه . ولا هو متضمن في شيء آخر لانه لانهائي . فليس
هو شيء ما فاذن لا وجود له

وان أمكن معرفة شيء فهو والعقل واحد والعقل لا يصير
ايضاً مجرد معرفته البياض

حواسنا لا تدرك الا ما يتعلق بها : البصر يدرك الالوان
والسمع يدرك الاصوات وهلم جراً

واننا عند ما نتكلم لتعليم غيرنا ما نعتقد معرفته فاذن
السامعين تدرك الاصوات وليس التصورات التي يفكر بها المتكلم
والا لكنت التصورات والكلام شيئاً واحداً اذن لا يمكننا
تعريف الآخرين ما نظن ان نعرفه

هذه الادلة مغالطات قام بنقضها سقراط وافلاطون وارسطو

منذ زمن

ويؤخذ ما تقدم ان بروتغوراس وجورجياس كانا ينكران

حقيقة المعرفة

ونجم عن السفسطة تأسيس علم المنطق ووضع قواعد

ثابتة له .

أما باقي السفسطائيين فكانوا أقل شهرة من الاثني اللذين

ذكرناهما ونكتفي بذكر أسمائهم دون تعليق وهم :

پولوس الاجريجنتي • وتراسيماك الخليكيكديوني تلميذي
جورجياس ثم كريتياس أحد الطغاة الثلاثين • وهياس •
وأوثديس وmetro دور • وپروديكوس •

وهذا الاخير كان يعلم بثلاثين وبخمسين فضة وكان يصرف
على ملذاته كل ما يكتسبه وقد حكم عليه بان يتجرع شراب
الشوكران المسموم لانه قال ان الآلهة من مخترعات افكارنا •
بوكان يري ان الفضيلة في العمل بحسب ظروف الاحوال



المدة الثانية

العصر السقراطي (٤٠٠ - ٣٢٢ ق م)

جعل سقراط للفلسفة موضوعاً هو الانسان ، وغرضاً : تنظيم الحياة الخلقية والاجتماعية .

ويبحث هذا العصر في تاريخ حياة كبار الفلاسفة الثلاثة سقراط وافلاطون وارسطو . ثم في المدارس الصغرى المتخلفة عنهم .



٢٠ - سقراط (٤٧٠ - ٤٠٠ ق م)

Socrate

حياته : ولد في مدينة أثينا وكان أبوه سفرونسك نقاشاً ومامه فيناريت مولدة (داية) .

اتخذ في بدء أمره مهنة أبيه ولكنه اتبع فيما بعد رأي صديقه المثري كريتون الذي ابتاع له مؤلفات انكسغوراس فاعتنق الفلسفة وقيل انه تعلم لدى بيكوس . والمهندس تيودور القورينائي ولارخلاوس الطبيعي . ثم صار معلماً فشرع في تدريس الفلسفة

في محلات أثينا العمومية وبساتينها وكان الشبان يلتفون حوله
منجذبين اليه بطيبة سريره وفصاحة بيانه .

ولم تشغله الفلسفة عن تأدية واجباته الوطنية والمسكرية
فحارب في بليونيز وخلص حياة «السياد» في موقعة بوتيديه ،
وحياة «كزينوفان» في موقعة دليوم .

أنتخب بالاقتراع عضواً في مجلس الشيوخ والفرد بالدفاع عن
القواد العشرة الاثنيين الذين حاربوا في ارچنيوز . وجاء على
وحي لسان الالهة دلفس «انه أعظم الرجال حكمة وعقلاً» وهو نفسه
كان يعتقد ان صوتاً خفياً يرشده في جميع ظروف الحياة الخطيرة
وظن ارستوفان ان سقراط من السفستائيين مع انه الد
خصوصهم . فهزأ به في كتابه «السحب»

اما اراءه الاجتماعية والسياسية فلم يرض عنها الحزبان اللذان
تنازعا الحكم في المدينة ولذلك كان مبعوضاً لديهما .

ولما دالت دولة الثلاثين طاغياً، اتهم سقراط امام الاريوباغس
بأنه لا يكرم آلهة المدينة ويطلب آلهة غيرها ويفسد أخلاق

الشبيبة فاتخذ ملتوص وليكون وانيتوس (Melitos, Lycon)

Anytos) على عاتقهم رفع الدعوى غير ان المجلس اعتبر التهمة

دينية واحال القضية على محكمة الهلياست (Heliastes) وكانت مشكلة

من قضاة منتخبين من عامة الشعب بطريق الاقتراع . فبدلاً من

ان يدافع سقراط عن نفسه ويدراً عنه التهمة الموجهة ضده ،

أخذ يتهم هو خصومه ويقدم الحجة على سوء قصدهم بلهجة تهكمية
اثارت عليه غضب القضاة فكروا عليه ان يتجرع شراب الشوكران
المسموم سنة ٤٠٠

وقد ذكر افلاطون في محاوره «فيدون» كيف قضى سقراط
ايامه الاخيرة في سجنه دون ان تفارقه شجاعته محدثاً تلاميذه
عن خلود النفس .

ولم يكتب سقراط شيئاً بيد ان تعاليمه تستخلص مما كتبه
تلميذاه زينوفون وافلاطون، فالاول ذكر تاريخ حياته ودحض
مطاعن خصومه . والثاني شرح المذهب ولكنه صبغه بافكاره
الشخصية ، ويقال ان سقراط لما اطلع على ما كتبه عنه افلاطون
في محاورة « ليست » صاح ما اكثر الاكاذيب التي ينسبها الي
هذا الفتي «

طريقته : — لسقراط طريقتان، احدهما جدلية خاصة بالتعليم

والثانية نظرية تتعلق بالعلم ذاته

(والاولى) على نوعين : استفهامي وتوليدي (ما يوتيكي)

كان يستعمل النوع الاول مع خصومه السفسطائيين ومع
تلاميذه الذين لم تكن لهم دالة عليه ويرغب في ان يقتادهم الى
اول درجات العلم وهي تجريد ذاته من كل معرفة لان مبدأه
« كل ما اعرفه اني لا اعرف شيئاً »

فكان يطرح علي مخاطبه قضية من القضايا ومتى اجابه عليها

يناقشه في معنى تلك الاجابة فيلقي السؤال تلو السؤال مأخوذاً
من ذات الجواب حتى يؤدي به الى الاعتراف بخطأ الجواب الاول
او بتناقض النتائج

(اما النوع الثاني) اي توليد الافكار فقد دعاه كذلك تذكراً
لصناعة امه . فكان يستعمله مع مستمعيه الحسيني النية ومع الشبان
الذين لهم عليه دالة ويجب ان يساردهم
وينحصر هذا النوع في ان يذكر سقراط لتلاميذه رأياً ما
ثم يأخذ في تفسيره وشرحه مبتدئاً من البسيط فالمركب حتى يجعل
هذا الرأي واضحا لا غموض فيه ولا ابهام واضحا نصب عينيه
« ان العقل اساس كل شيء وان التعليم هو معرفة كنه الشيء
اي ان التوليد حقيقته ».

والاستفهام والتوليد لم يكونا الا صيغ ظاهره لطريقة سقراط
لأما الجوهر ففي الاستقراء والتحديد وهما نوعا الطريقة الثانية
الخاصة بالعلم ذاته * لان سقراط ادرك ان العلم ليس غرضه افراد
الاشياء واعراضها بل عمومياتها وجواهرها.

مذهب النفسى : — ميز سقراط بين النفس والجسد والنفس
خاصتان يسترشد بهما للوصول الى المعرفة وهما الحواس والعقل *
فالحواس تعرف افراد الاشياء وبالعقل تدرك معانيها العامة
ولسقراط الفضل الاعظم في رد الفلسفة من ابحاث الايونيين
النظرية في العالم الطبيعي الى الحقائق الذاتية الانسانية وكانت

آيته التي يتغنى بها على الدوام هي تلك الحكمة المنقوشة على
 واجهة هيكل دلفس « اعرف نفسك بنفسك » ولذلك قيل انه استنزل
 الفلسفة من السماء الى الارض

وهو ايضا لم يشك في صدق الحواس ولا في قيمة المباديء
 العقلية . اما فيما يختص بالارادة فجعلها خاضعة للقدر فالانسان
 مسير لا مخير وليس واحداً شريراً بالطبع فلا يخطيء الا جهلاً منه
مزهيب الخلقى : — يعد سقراط مؤسس علم الاخلاق

ومن قوله ان السعادة غاية اعمالنا وميولنا . بيد انه خلط الشيء
 النافع والخير المطلق . وليست الفضيلة في نظره الا المعرفة فيكفي
 للانسان معرفته الخير ليؤديه بالطبع . واولى الفضائل التي تحتوي
 على جميعها هي الحكمة اى تمييز الخير . وهذه الحكمة تبعاً
 لاجراضها ، تدعى شجاعة او اعتدالا او عدلاً او تديناً . ويوصي
 سقراط باحترام المرأة والرفق بالعبد ، وبر الابناء بالاباء . وتفضيل
 الخير العام على الخير الخاص

وميز أيضاً بين السنن الطبيعية الغير المكتوبة لانها من عمل
 الآلهة وبين الشرائع الوضعية المكتوبة فهذه مشتقة من تلك
 وهو نفسه حاز جميع تلك الفضائل فاحتمل توبيخات زوجته
 « كسانتيب Xantippe » بدون ان يظهر تذمراً وهذب ابنه
 لميروكس أحسن تهذيب . وأظهر امتثالاً تاماً لحكم « اهلياست »
 بدون شكوى أو تعذير . وكان كارهاً لثورات الشعوب والحكم

الجمهوري وطالما تمكّم على الاثنيين الذين كانوا ينتخبون حكاهم
بالاقتراع بالقول - ويرى سقراط ان الجمال جزء من الاخلاق
لانه يوجد عند الفنان نسباً يظهره وعند الانسان الكامل في مظاهر
الاعتدال والاجلال

مذهبه في مابعد الطبيعة : كان يعتقد بوجود اله واحد ازلى
ماليء الكون وهو في العالم كوجود النفس البشرية في الجسم .
ووجود الله ثابت بدليل ان لكل معلول علة فلكل فعل فاعل
ولكل فاعل غاية .

والسبب الذي خلق الانسان هو سبب عاقل . وكل شيء في
العالم خلق على أحسن تقويم فهو من عمل قوة مدركة تمام الادراك
وكاملة العقل .

وتوجد عناية تنظم الكون طبقاً لشرع العقل أي باخضاع
الخاص للعام وبتماون الاجزاء في العمل لصالح المجموع . والنفس
هي جزء من ذلك العقل الكامل كما ان الجسم جزء من المادة .
وتلك النفس خالدة .

أما ما دعي انه : « شيطان سقراط » أي ذلك الصوت
الداخلي الذي كان يوحى اليه بكل ما ينبغي عمله أو تجنبه . فهو
الهام تلك العناية الالهية أو بالحري صوت وجدانه الذي كان
يحلي عليه سلوكه .

وبالاجمال ففضل سقراط عظيم لانه وضع حداً لشذوذ الفلاسفة

الطبيعيين والمغالطين . . . وجعل للفلسفة غرضاً سامياً وغاية عظمى
وهي اصلاح السلوك للافراد والجماعة —

٢١ - افلاطون (٤٢٧ - ٣٤٧ ق م) Platon

هياتر : ولد في شهر مايو سنة ٤٢٧ ق م واختلف الرواة في
مسقط رأسه فقيل في أثينا وقيل في اچينا وهو من عائلة وجيبة
ابوه ارستون من نسل قدروس آخر ملوك اثينا القديماء وامه
پريكسون من نسل صولون الحكيم
دعاه والده ارستوكلس Aristocles ولكن معلمه الالعب
الرياضية سماه افلاطون أي العريض نظراً لعرض كتفيه او جبينه
تلقى في اثينا العلوم النحوية والرياضية وفن الموسيقى وحفظ
كثيراً من اشعار هوميروس وامتاز في الالعب الرياضية ونال فيها
عدة جوائز ، ولم يهمل دراسة الفلسفة فتعلمها على كراتيلس ثم
تلمذ وهو في العشرين من عمره لسقراط وظل ملازماً له نحو
العشر سنوات . وعند ما اتهم معلمه سعى كثيراً ليخلصه وتطوع
للدفاع بنفسه عنه امام القضاة فلم يرض هؤلاء به .

ولما مات سقراط ظلما وعدوانا سنة ٣٩٩ ق م انتقل افلاطون
مع اقليدس الى مدينة مغاري شرقي برزخ قورنثيه ثم رحل منها
الى القطر المصري فالقيروان حيث تعرف بتيودور الرياضي ، وقصد
بعد ذلك ايطاليا فدرس فيها الفلسفة الفيثاغورسية . ثم توجه الى

جزيرة صقيليا حيث تعرف بديون (Dion) صهر دنيسيوس الاكبر
طاغية سيرا قوسه .

وحاول افلاطون وديون التأثير على ذلك الطاغية ليمنح سيراقوسه
حريتها ويجعلها جمهورية يحكمها الفلاسفة على مثال جمهوريات
فيثاغورس ، فلم يرق ذلك في عيني دنيسيوس فالتى القبض على
صاحب الترجمة وباعه عبداً فافتداه بعض الاصدقاء واعادوه الى
اينا سنة ٣٨٨ ق م .

وفي هذا العام اسس « الاكاديمية » وهي مرجة الالعب
الرياضية بجانب بستان البطل « اكاديموس » تبعد عن اينا
١١٠٠ متراً

فاخذ يلقي في الاكاديمية علي الطلبة تعاليمه ثم يكتبها في
محاورات واستمر في ذلك عشرين عاما الى ان استدعاه صديقه
ديون الى صقيليا للمرة الثانية لان دنيسيوس الاكبر كان مات
وخلفه ابنه دنيسيوس الاصغر . فقصده افلاطون سيرا قوسه حيث
قوبل بالترحاب والحفاوة وفرح به الاهالي ورجال البلاط فرحاً
عظيماً بالرغم مما كانوا عليه من الخلاعة والفساد .

ولم يطل الحال على دنيسيوس فعاد الى متلقيه نابذاً نصائح
افلاطون ومقربا اليه الوشاة . فنفى ديون وصرف الفيلسوف الى
بلادته حيث عاد الى القاء الدروس في اكايميته

وبعد عشر سنوات استدعاه ثالثة دنيسيوس فلباه على ان يصلح

بينه وبين ديون وفيما هو سائر اليه علم ان ديون أعد جيشا واستولى على العرش بعد ان طرد ديسيوس ولكن هذا عاد أخيرا بعد مقتل ديون في فتنة . وبقي زمنا قصيرا متوليا زمام الاحكام الخان قامت عليه ثورة فتنازل عن العرش والتجأ الى قورنثيه يدرس فيها علم النحو

اما افلاطون فظل يعلم في مدرسته حتى توفي بالغا من العمر ٨١ عاما فدفن في البستان تحت ظل شجر الزيتون وقال عنه شيشرون الخطيب الروماني: ان يعينه لم ترك القلم وفكره لم ينفك عن التأليف حتى آخر نسمة من حياته .

مؤلفاته : تنسب كتب كثيرة الى افلاطون بيد ان اكثرها ليست له .

وكتب مؤلفاته على شبه محاورات على لسان شخص معلوم . وبعض تلك المحاورات يتضمن تعاليم سقراط والبعض يتضمن مذهبه الخاص .

ونحن نوردون هنا أسماء الكتب المجمع على انها من تأليفه مرتبة حسب المواضيع التي تناولها بمحة :

١ المحاورات الجدلية : - تبحث فيما بعد الطبيعة وهي : ثيتيتس (في العلم) وقراطيلس (في اللغة) والسفسطة (في الوجود) وپرمينيدس (في المثل او التصورات) وثيراس (في الطبيعة) وفيدون (في خلود النفس) وأوثيديس (في السفسطة)

٢ الكتب الاخلاقية والسياسية : فيليب (في اللذة) ومينون

(في الفضيلة) وپروتغوراس (في النفسائين) وكتاب تقریظ
سقراط . وكتب الجمهورية ، وكتب القوانين . ومحاوره كريتون
(في طاعة القانون) واثرون (في علاقة الدين بالاخلاق) وشرمید
(في الاعتدال) ولبسس (في الصداقة) ولاخيس (في الشجاعة)
والبوليطيقي (في الحكومه الملكية)

٣ — المحاورات الخاصة بعلم الجمال : المائدة (في الحب)

وفيدر (في الجمال) وجورجياس (في علوم البلاغة) وهيباس
(في الجیل) ويون (في القریض)

الصفة العامة للفلسفة الافلاطونية تمتاز هذه الفلسفة بانها

مجهود شديد للتوفيق بين آراء الفلاسفة المتقدمين وعلى الخصوص
الايونيين والاليائيين والفيثاغورسيين فجعل منها مذهباً ، ووسساً
على طريقة سقراط المنطقية ومذهبه الخلقى . وظن انه توفق
الى هذا التركيب في نظرية المثل أو الصور

وهذه النظرية هي المحور الذي تدور عليه رحن الفلسفة
الافلاطونية فيجدر بنا دراستها أولاً قبل البحث في النتائج
الصادرة عنها في العلوم « الالهية والنفسية والاخلاقية والسياسية »

نظريه المثل : أورد افلاطون هذه النظرية في الجزء السابع

من كتابه « الجمهورية » بحيث قال « تصور يا عزيزي جلوكون حالة
الطبيعة البشرية بالنسبة للمعرفة والجهل كما سأرمزه لك بكهف
عميق يدخل النور اليه من فتحة مستطيلة بطول ذلك الكهف »

وتمثل اناساً مقيدين فيه منذ الطفولية بكيفية لا يستطيعون معها التحرك أو الالتفات الى الورااء بل يبصرون فقط ما يكون امامهم، ووراءهم نار متقدة. فالاشياء التي تمر وراء أولئك الاسرى تقع ظلالها امامهم فيظنونها حقائق وهي ليست كذلك. فاذا حل قيد أحد الاسرى واجبر على الالتفات خلفه الا ينحطف بصره تلك النار فلا يميز في بدء أمره الاشياء التي لم ير الاظلالها. فاذا يكون جوابه في تلك البرهة لمن يقول له ان ما رآه سابقا ليس الا ظلاً للشيء الحقيقي الذي يراه الآن. واذا اقتيد خارج الكهف الى الفضاء حيث يسطع نور الشمس وحيث تمر أمامه حقائق الاشياء وليس أشباحها.

الا يقتضي له زمن طويل ليميز بين الحقيقة والخيال ويدرك كنه الشيء ويعلم ان النور يعكس الظلال. هكذا حال الانسان من يوم ولادته يتدرج في الرقي العقلي وكذلك المثال ليس مجرد ادراك عقلي بل هو حقيقة واقعية مطلقة ومستقلة عن الاشياء المتمثلة لنا وهو الصورة التي تحتذي الاشياء اشكالها منها ويتصورها العقل كذلك.

فالدائرة مثلا توجد بذاتها قبل ان ترسم في الحيز وقبل ان يضع المهندس لها تعريفاً أو حداً كذلك حال كل الطبائع الحسية والكائنات الحية والصفات والعلاقات الادبية فكل منها مثال مشخص في العالم العقلي سابق لما هو مشخص في العالم المادى •

وعلى رأي افلاطون ان المُثُل مبدءاً المعرفة والوجود ولها صفتان جوهريتان : (الاولى) انها شاملة لكل الموجودات التي من جنس واحد . (الثانية) جوهرية أي موجودة بذاتها وهي أتم واكمل من الموجودات المتشككة على شاكلتها بيد ان تلك المُثُل ليست أجنبية عن بعضها البعض انما هي منظمة بحسب درجة كمالها وفي أولها مثال الخير .

لاهوت افلاطون : والله هو مثال الخير بيد ان هذا المثال حي حقيقي مدرك وله مظاهر ثلاثة :

أولاً — هو الخير او الواحد مصدر الصلاح والحقيقة وغاية كل شيء .

ثانياً — هو العقل الاسمي (لوجوس) مركز المُثُل حيث تبقى فيه الى الابد فهو العالم المثالي . وما العالم الحسي الا صورة غير كاملة له .

ثالثاً — الله روح هذا العالم ، هو الفاعل صانع المادة ومحركها طبقاً لنماذج المُثُل .

وقد اثبت وجوده بدليل المحرك الاول والعلل الغائية . اما المادة فهي أيضاً ازلية الوجود . كان كل شيء فيها منذ البدء مختلطاً مضطرباً . وقد اراد صلاح الله ان كل شيء يكون على شبهه بقدر الامكان فكوّن العالم طبقاً للمثُل التي اختلطت على نوع ما بالمادة العديمة الشكل ولكن لما كانت هذه المادة غير

فلسفة

كاملة فقد بقيت فيها آثار نقص العالم المادي واميال الخلاق
الحرّة الشريرة .

• فالله اذن هو الخير والمقل والروح . خلق العالم بصلاحه
لأن من كان صالحاً لا يعمل الا صلاحاً . ثم نظمه بعنايته بحسب
القوانين العامة للوجود

ولكن توجد نقطة غامضة في فلسفة افلاطون اللاهوتية
وهي : كيف خلق الله العالم . فاذا كانت المثل هي دون غيرها
الواقع . فما حقيقة الاشياء المحسوسة ،

قال في كتابه تيماس « Timée » يوجد عنصرا الى ملازم لله
وهذا العنصر هو المادة . والكون نشأ من مشاركة المادة للمثل بنوع
الانكسار كما تتولد الالوان من انكسار الضوء

مذهب في علم النفس . قال ان النفس البشرية قوة تتحرك
بذاتها قد اتحدت بالله قبل ان تظهر في العالم الحسي ثم تسفلت
بجلوها في المادة وصارت على شكل جسم ناسية وجودها السابق
لكي تكفر عن اثم ارتكبتها في حياة ماضية — وهي واحدة
ابدية لا تتغير

وللنفس ثلاث قوى : — النفس العاقلة ومقرها الرأس ، والنفس
الغضبية أو السبعية ومركزها القلب ، والنفس الشهوانية أو البهيمية
ومقرها البطن

فالقوة الأخيرة تنشأ في النفس من اتحادها بالجسم . وهي أساس

الرأي أي المعرفة التبعية للأشياء الحسية وأساس المحبة الأرضية التي تربط النفس بالمتاع الدنيوي الظاهري . أما العقل فهو مبدأ المعرفة والمحبة الحقيقية . ويكون مستكناً في النفس ثم يستيقظ ويتنبه تدريجياً حتى يتمالك ذاته . والنظر إلى ما تتضمنه الأشياء المحسوسة من الحقيقة والكمال تبعث فيه الشوق إلى تذكر المثل التي شاهدها سابقاً . فالمعرفة تذكر الماضي *Reminiscense* أما الشجاعة فتوجد بين العقل والاحساس وتتأثر بأفعالها غير أن العقل يغلب الاحساس ، ويستميل القوة المذكورة إليه . ويمكن تشبيه الشجاعة بالقوة الإرادية لو كانت حرة . بيد أن افلاطون يذهب كسقراط مذهب « الجبر العقلي » فالإنسان يعمل بالضرورة كما يفكر . وكل غلط خطأ ولا يخطيء الإنسان إلا لجهله فليس هو شريراً بطبعه .

والنفس لا تموت فهي خالدة كالأشكال ذاتها

مذهب الخلقى : اتفق افلاطون مع سقراط في مزج الفضيلة

بالمعرفة وتوحيدها . بيد أن الفضيلة تكون في معرفة الخير أي في التشبه بالله . ولما كان الله هو الوحدة المنظمة والمرتبة لجواهر الأشياء . فالتشبه به هو تنظيم قوي النفس المختلفة وترقيتها إلى ذروة الكمال

ويقابل كل جزء من أجزاء النفس فضيلة :

فلاعتدال فضيلة النفس الشهوية ، والشجاعة فضيلة النفس

الغضبية والحكمة فضيلة النفس العاقلة

ثم يحدث عن هذه الفضائل الثلاثة باعتبارها ونسبة بعضها الى
بعض فضيلة أخرى تكمل وتم بها تلك الفضائل وهي «العدالة»
ويجب ان تخضع كل قوة من هذه القوى الى التي اعلى منها وعلى
ذلك ينبغي خضوع القوة الشهوية الى السبعية وهذه الى القوة
الملكية الناطقة

والسعادة والفضيلة لا تنفصلان فالذي يتعد عن النظام ينبغي
ان يعود اليه

والافضل تحمل الظلم ولا ارتكابه ولا يجب مقابلة الظلم بمثله
ويجب على المجرم ان يسعى في التكفير عن ذنبه ولا يهرب منه
والرجل الفاضل يجب ان خير بجميع مظاهره

مبهم في السياسة : السياسة في نظره تطبيق عملي للاخلاق

بمعنى ان الغرض منها الوصول بالناس الى الفضيحة والسعادة
وتنحصر مهمة الحكومة في تقرير الفضيحة فالفرد لا يوجد
الا للدولة كوجود العضو في الجسم. والدولة اشبه بالانسان لها ثلاث
قوى تنطبق على طبقات الناس المكونة للامة :

فتنتهي للقوة الشهوية طبقة الفلاحين والعمال وكل ذي حرفة
مادية، وتنتهي للقوة الغضبية طبقة المحاربين الذين يدافعون عن
الوطن. اما القوة المدركة العاقلة فينتهي اليها الحكام وهي صفة

هؤلاء الحكماء كما ان الشجاعة صفة الطبقة الثانية ، والاعتدال
تتصف به الفئة الاولى

وينبغي للفريق الادنى الخضوع للفريق الاعلى منه فتسود
العدالة وتستقيم أمور الامة

ويجب الغاء حق التملك الفردي والعائلة فتكون النساء
والمقتنيات مشاعة بين الجميع وتتولى الحكومة توزيع الاموال
بين الافراد وتربية الاولاد لانهم ليسوا ابناء زيد أو بكر بل
أبناء الدولة وتثبع في التربية الميل الغريزي . واذ كياؤهم يتعلمون
الحكم ليكونوا فيما بعد حكامها

ويظهر ان افلاطون ادرك خطأ الذي ذكره في كتابه الجمهورية
فعدله في كتاب «القوانين»

منهجه المنطقية : المنطق كسلم مدرجة توصلنا الى العلم .

فتكون السلم صاعدة اذا بدأت من الرأي الى العلم ونازلة اذا
بدأت من العلم الى الرأي . واول ما يعرف الانسان الاشياء
المحسوسة بصورها وبظلالها المنعكسة على الاجسام المصقولة الخ
فتدعى هذه المعرفة ظناً او وهماً ثم يتدرج الى معرفة ذوات الاشياء
وحقائقها الطبيعية وتدعى المعرفة اعتقاداً . بيد ان هتين الطريقتين
لا تؤديان الا الى المعرفة العادية أو الرأي اذ يمكن لجواسنا ان
تخطىء فيها

اما المعرفة العقلية فإها درجتان : معرفة مروية فتكون من
 حمل العقل المفكر ، ومعرفة اللقائنة « تدرك بذاتها » وعن هتين
 الدرجتين ينشأ العلم بيد ان الرويه تكتفى بالفروض التخمينية
 اما اللقائنة فتصيب مباشرة المثل ذاتها

ويوجد أيضا شعور عقلي . فالمحبة درجتان احدهما خاصة
 بالعالم المنظور والاخرى بالعالم المعقول

تتعلق المحبة أولاً بالجمال الحسي ثم يلاحظ العقل ان الاشياء
 المحسوسة هي مظاهر النفس فتميل المحبة الى الجمال الخلقى ذلك
 الجمال الذي تم عليه الافعال الحسنة والعواطف الكريمة والافكار
 السامية ثم يرتقي العقل من الجمال الخلقى الذي رؤي في النفس
 الى الجمال التام الذي يتحد بالخير المطلق اي بالله فهو الحد الذي
 تقف عنده جميع ميولنا وتشتاق اليه نفوسنا . ولا يمكن للفكر
 الوصول الى ذلك الخير الاعظم بغير المحبة فيجب على الانسان
 ان يقصد الحق والخير بكل نفسه

رأيه في الجمال — هو أول من وضع اساس علم الجمال .

وعلى رأيه ان النفوس الجميلة يجب ان ترتبط بمعنى الخير . ولا
 يسلم بان الشعر والفصاحة لا يقتصران على انبساط الناس بل يجب
 ان تكون اغراضها ادبية وتميل الى الجمال المثالي ويجب ملامستها
 من الجمهوريّة اذا كانت اغراضها الحض على التهييج والثورة



٢٢ - ارسطو طاليس ٣٨٤-٣٢٢ ق م

Aristote

حياته : ولد ارسطو في استاغيرا « stagira » من بلاد مقدونيا على خليج ستريمون بالقرب من جبل اتوس . وكان ابوه تقوماخس طبيباً لا مينطس ملك مقدونيا والدفيليب وجد الاسكندر الاكبر وبعد وفاة والده كفله وصيه « پروكسين » ثم ارسله وهو في الثامنة عشر من عمره الى اثينا مدينة الحكمة فمكث فيها عشرين عاماً متلميذاً لافلاطون وامتاز على اقرانه فلقبوه « بالقاريء » ودعاوه افلاطون « عقل المدرسة »

ولما مات افلاطون سنة ٣٤٧ ق م ترك ارسطو اثينا وقصد مدينة « اترنه » حيث نزل ضيفاً على هرمياس حاكمها (وقد كان تعرف به أيام كان تلميذاً معه لافلاطون) فازوجه هذا من « بثياس » ابنة اخيه وبعد ثلاث سنوات غادر ارسطو اترنه على اثر مقتل هرمياس بيد أحد ماجوري الفرس . فالتجأ الى مدينة متلين قصة جزيرة لسبوس ومكث فيها سنتين ومن هناك استدعاه فيليبس الملك الى مكدونيا ليكون معلماً لابنه الاسكندر الذي لم يكن تجاوز الثالثة عشر من عمره . وبعد اربع سنوات أي في

سنة ٣٣٥ استعد الاسكندر الى غزو اسيا فعاد ارسطو الى اثينا بعد ان غاب عنها نحو الاثني عشر عاما اكتسب في خلالها معارف كثيرة

وكانت ادارة مدرسة افلاطون آلت بعد وفاته الى ابن اخيه سوسيبس ثم توفي هذا وخلفه كزينوقراطس

فأنشأ ارسطو حينذاك مدرسته على ارض تابعة لهيكل پولون اللقيبي أو قاتل الذئاب ولذلك دعيت المدرسة الارسطوطاليسية باسم ليقيه او ليسيه « Lycee » ولما كان ارسطو يلقي دروسه على تلاميذه وهو ماش اطلق على هؤلاء لقب « المشائين »

Peripateticiens

وكان اسكندر المقدوني يرسل اليه من اسيا اموالاً طائلة ونماذج الحيوانات النادرة . والنظم السياسي للبلاد المحتلة .

ومات اسكندر الاكبر سنة ٣٢٣ ق م فنقضت اليونان عنها النير المقدوني فاضطر ارسطو لمغادرة اثينا والسحب الى خلسيس حيث توفي في السنة التالية (سنة ٣٢٢) موتا طبيعيا بعكس ما أشيع . وترك ادارة مدرسته الى تيوفراست

مؤلفاته : تعتبر مؤلفات ارسطو كدائرة معارف . تتناول جميع العلوم البشرية التي كانت معروفة في الجيل الرابع قبل الميلاد فوضع لكل علم كتابا خاصا ما عدا العلوم الرياضية

وتنقسم هذه المؤلفات الى ثلاثة أقسام:

١ - العلوم النظرية أو العاصية ومؤلفاته فيها : كتاب السماء والأجرام السماوية . . والطبيعة . والنباتات . وتاريخ الحيوانات . وكتاب النفس ويلحق به نبذ في الاجناس والذاكرة والنوم . والشباب والهرم . والحياة والموت . ثم كتاب الفلسفة الاولى أو ما وراء المادة .

٢ - العلوم العملية أو الادبية : وله فيها كتب «الاخلاق» (لينيقيوماخ) والتدير المنزلي (وبعضه ينسب الى تيوفراست) والسياسة المدنية .

٣ - العلوم العقلية والشعرية ومؤلفاته فيها : الشعر : والخطابة وكتب المنطق (ارجانون) وهي تتضمن : قاطيغوراس (اي المقولات) وبارمانياس (او العبارة) واناطيقى الاولى (اي القياس او بناء السلوجسم) واناطيقى الثانية (او البرهان) وتويقي (او المواضيع الجدلية) وادلة السفطائين (او الحكم المموهة) والخطابة وقوانينها - ثم له أيضاً كتاب القريض أو نظم الشعر .

مذهب في علم النفس : - الانسان ككل الموجودات مركب من مادة ومن صورة : فالجسم هو المادة . والنفس هي الصورة التي يتشكل بها الجسم ويحيا ولذلك لا تنفصل عن

الجسم لانها قوته الفعالة

والنفوس ثلاثة: نفس نباتية وهي مادة الحياة، ونفس احساسية وما يتعلق بها من ادراك وتذكر وتخيل وشهوات واميال غريزية الخ وتكون مشتركة بين الحيوان والانسان . ونفس مفكرة عاقلة وهي خاصة بالانسان ومصدر الافعال العقلية .

ومما لا ريب فيه ان النفوس العالية تحتوي أيضاً على

الادنى منها

فالنفس الاحساسية الحيوانية لها القوة النباتية الحيوية والنفس الناطقة العاقلة تحتوي على القوى الثلاث النباتية الحيوية والاحساسية الحيوانية والعاقلة المفكرة وبذلك يتم وحدة المركب الانساني بينما يقول افلاطون ان اتحاد النفس بالجسم عرضي والنفس المتحدة بالجسد لا تدرك الاشياء الا بالحواس ويقول ارسطو ان الاحساسات وصور الاشياء تكون المادة التي يستخلص العقل منها الشيء العام المكون فيها وبذلك يكون العقل على نوعين أحدهما منفعل او ممكن ويمكنه ان يضير كل شيء . والآخر فاعل يعطى للمادة صورتها وشكلها فالعقل الفاعل يفعل في الاشياء المتأتية من الحواس ويكون منها الاشياء المعقولة وحينئذ يستقبل العقل المنفعل هذه الاشكال التي تحوله من القوة الى الفعل اي تجمله ان يتعرف جواهر الاشياء العامة وعلاقاتها الضرورية

ويدعو ارسطو الارادة « شهوة عقلية » اي رغبته في الحصول على غاية . وبيان السبيل لادراكها .
والارادة حرة ليست مسيرة كما ذهب سقراط وافلاطون لانه اذا كانت السعادة غاية الانسان فهو حر في اختيار أي الطرق الموصلة الى سعادته بتفضيل خير على آخر .

اما رأيه في خلود النفس فغامض . كل ما في النفس وكان متعلقاً بالجسم كالحساس والتصور والتذكر فهو مائت كالجسم ولا يبقى الا العقل الفعال لانه منفصل عن الجسم . الا ان هذا العقل ليس خالداً بذاته بل بالنسبة لارتباطه بالعقل الازلي اي بالله

مركب المنطقية : — يعد ارسطو مؤسس علم المنطق وواضع

قواعده وقوانينه مما لم يدع مجالاً لمن اتى بعده لنقضها او لاضافة شيء عليها ولنذكر هنا نظريته في المعرفة والتعليل

نظرية المعرفة : — لا يسلم ارسطو بنظرية المثل الافلاطونية

من انها منفصلة عن ذوات الاشياء . ولكنه يعز بين التجربة والمعرفة فهو لا يريد ان يكون حاسياً بل وسطاً بين المذهمين

للنفس قوة احساسية غير ان هذه الخاصة اذا تجردت عن ذات

الشيء فلا توجد الا في حيز القوة ولا تصير بالفعل الا اذا لزمها

شيء خارجي وهذا هو معنى تمثل الشيء الخاص ، وصورته تثبت في الذهن بالتذكر ، وبتكرار التذكر تنشأ التجربة .

والتجربة أساس المعرفة ولكنها ليست بذات المعرفة لان
خاصية هذه المعرفة ان تدرك الشيء العام

والصور التي تمر بهذه الخاصة التي يدعوها ارسطو « العقل
المنفعل » (intellet passif) هي مادة المعاني أو المثل ولكن ليست
هذه المثل موجودة الا بالقوة فتصير بالفعل عند ما ينير العقل
الفاعل (intellect Actif) ويجرد العام من الخاص

والعقل الفاعل يدبره العقل الالهي

نظريّة التعليل — : أما الاداة التي بواسطتها تحصل المعرفة

فهي التعليل وهذا على نوعين

الاستنتاجي (استنتاجي) اذا بدىء بذكر الامور العامة واستخلص
منها النتائج الخاصة

(واستقرائي) اذا جمعت قضايا خاصة وكون منها قاعدة عامة
وقد اهتم ارسطو بالنوع الاول وتكلم عن الحدود والقضايا
والبرهان والقياس

فالحدود على قسمين . المقولات (catégories) والكليات
(catégoremes) والمقولات عشرة وهي : الجوهر والكم والكيف
والاضافة والفعل والانفعال ، ومتى والابن والوضع والملك
والكليات خمسة وهي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض

العام

أما تعاليم ارسطو فيما يختص بالقضايا والقياس والبرهان فهي

معروفة في علم المنطق الحديث ولا حاجة بنا لذكرها هنا
 مذهب الخلقى : — علم الاخلاق متضمن في ثلاثة كتب :
 (الاثيكي) او علم السلوك في الحياة الفردية . (والاقتصاد) في
 التدبير المنزلي . (والسياسة) في قواعد الحياة الاجتماعية
 فالسعادة هي الخير الاعظم ويريد بالسعادة « تمتع قوى النفس
 بنظام واهلية . فهي السعادة العقلية . . . والفكر اشرف قوة
 في الانسان — وغاية الحياة السلوك حسب مقتضى العقل
 اما الفضيلة فهي المران على عمل الخير . وتكون في اختيار
 او اسط الامور ، واما الشهوات والميول فحسنة في ذاتها والقانون
 الخلقى يأمر بتدريتها وليس باهمالها
 والعائلة لازمة للجنس البشري وضرورة لكيان المجتمع فهو
 بهذا الرأي يخالف افلاطون الذي يفكك او اصرها لمصلحة الاجتماع
 ويجب معاملة المرأة كذات حرة . بيداته يرى ضرورة وجود
 الرقيق مع معاملته بالرفق

مذهب السياسي : الانسان حيوان اجتماعي فهو مدني
 بالطبع والفرض من السياسة خير الدولة التي تتأسس على مبدأ
 المساواة والحرية

اما الحكومة فوظيفتها تقرير الفضيلة بان تقيم العدل بين
 الناس فيتساوون في الحقوق والواجبات ولا يعتاز الواحد عن الآخر

إلا بالكفاءة . واحسن شكل للحكومة ان تكون جمهورية لانها تضمن النظام والامن والحرية .

مزهر في مابهر الطبيعة : — غرض الفلسفة الاولى « العلم

بالموجودات كما هي موجودة » . والموجود الذي تدلنا عليه التجربة ، قابل للتغير . اي التحول من القوة الى الفعل الذي تصير فيه الحركة . والحركة تستلزم محركا ولذلك تكون الاصول التي تفسر معنى تحول الموجودات (مادة) اي الاساس الغير المحدود الذي تصنع فيه الموجودات . ثم (الصورة) التي تتشكل بها الموجودات وبها تتباين وتتميز عن بعضها . (والعلة الفاعلة) التي تحول المادة من القوة الى الفعل . ثم (العلة الغائية) التي يقصدها الفاعل عند تشكيكه المادة بالصورة التي شكلها بها

مثال ذلك : تمثال من نحاس . فمادته النحاس : وصورته الشخص المتمثل . وصانعه هو العلة الفاعلة . والشهرة او المكسب غايته من عمله

والعالم الحسي يتركب من مادة وصورة والعلاقة بينها علاقة قوة بفعل

وهذان الاساسان يسبقان كل تغير فهما ازليان ولا يمكن لواحد منهما ان يوجد بتغير الآخر بل يتلازمان ويتجاذبان ويتمان بعضهما البعض ، وباتحادهما يصير الموجود هو ما هو متميزاً عن

تغيره . وليست المادة عدماً بل هي الوجود في حالة القوة ويتميز
بالصورة

فكتلة النحاس تمثل بالقوة . والتمثال : كتلة النحاس تشكلت
بالفعل تمثالاً . فاذن تحول القوة الى الفعل هو التغير او الحركة
والحركة نقطة الاتصال بين المادة والصورة . ومذهب المشائين
يرجع الى ثلاثة اصول : القوة أو القدرة والحركة والفعل
اما الوجود الاعظم فهو غير خاضع لهذا القانون التركيبي فهو
صورة مجردة بدون مادة لان المادة ليست كاملة بذاتها . بينما ان
الموجود الاعظم صورة مجردة وفعل مجرد اي غير مختلط
بالانفعال ولا بالتحديد

ولقد اصاب ارسطو القول من ان الفعل يسبق القوة ويسبب
وجودها . والشيء المقدر لا يمكن تحوله من القوة الى الفعل الا
بواسطة واجب الوجود فالناقص لا يمكنه ان يكون موجداً للتمام
بل هذا مصدر ذلك

اما الحركة الطبيعية فهي ابدية ويشترط لكل متحرك محرك
يتحرك بمحرك آخر حتى ينتهي الى محرك لا يتحرك باخر فهو
جوهر وفعل معاً

فهذا المحرك الثابت هو الله مصدر الحركة الا بديه التي تتحرك
بعلة غائية أي بطريق الجذب نحو العقل الاعظم والشوق اليه

كما يستميلنا الخير ويستهوينا الشيء الجميل بدون دخل لهما في ذلك.
وعلى هذا المثال ينجذب عالمي الارواح والاجسام نحو الله.
بدافع ذاتي

فارسطو لا يعترف بالعناية الالهية كافلاطون الا انه اثني
مثله فكلاهما يقول بالله والمادة منذ الازل والله على رأيهما لم يخلق
المادة بل نظمها فقط

والله جوهر روحي يتجلى فيه الفعل والحياة بآتم مظاهرها.
ومتمتع ابدًا بالسعادة الكاملة ولانها كما بمشاهدة ذاته لا يلتفت
الى العالم

نظرية الجمال : - الجميل هو الشيء العظيم . والمنظم وغاية
الفنون الجميلة ان ينقاد الانسان بواسطة الجميل الى الخير

— ٢٥٣ ع ٤٤٤ —

٢٣ - المقارنة بين افلاطون وارسطو

أخذ المؤرخون يقابلون بين فلسفة افلاطون وفلسفة ارسطو
فالبعض يوفق بينهما وفريق آخر يفرقها كأنهما على طرفي تقيض
يبالغون في نظرية افلاطون المثالية وفي نظرية ارسطو الواقعية.
ونحن ذاكرون هنا ما اتفق عليه الفيلسوفان وما اختلفا فيه

أولاً — اختلف الاثنان في طريقتيهما فافلاطون شاعر بقدر ما هو فيلسوف يجب المجاز والرموز ويكتب بشكل اختراعي وعلى نمط محاوراة لا يظهر فيها رأيه إلا بعد اخذ ورد وطريقته استقرائية أما ارسطو فكتابه منظمة واراؤه متعادلة وطريقته الملاحظة

والبرهان الدقيق ولغته موجزة مع اختصار في التعبير

ثانياً — اتبع الاثنان مبدأً أستاذهما سقراط من ان غرض المعرفة « العموم » وليس « الخصوص » المتغير. وجوهر الوجود على رأي أولهما « المثال » وعلى رأي الثاني « الصورة الظاهرة » فالمثل الافلاطونية والصورة المشائية لها مصدر واحد. بيد ان افلاطون يفصل الخاص عن العام ويرى في هذا الاخير الحقيقة الواقعية. اما ارسطو فبضده يصل العام بالخاص والفرد المكون منها هو الواقع

وينبني على ذلك ان الحواس وبالتالي الامتحان والتجربة لا تدخل لها في المعرفة — على رأي افلاطون — بعكس ما ذهب اليه ارسطو

والاثنان مصيبان في مذهبيهما لان الشيء العام لا وجود له بصفته هذه بدون الاشخاص التي يتحقق بها. ولانه يجب البحث عن « العموم » بصرف النظر عن الافراد التي لا تتشاكل باشكال متماثلة الا بدليل خارج عن تلك الاشخاص ومخالف لجوهرها ثالثاً — قال الفيلسوفان ان الكمال غاية الوجود. والكامل

هو الاول بذاته اي الفعل السابق للقوة . او المثالي الموجود قبل
الواقعي . غير انها اختلفا في الطريقة الموصلة من الناقص الى التام
او من التابع الى المتبوع المطلق

فافلاطون لاحظ التشابه الكائن بين الموجودات فبحث عن
النماذج التي تشكلت على مثالها الانواع المختلفة وتدرج في الارتقاء
من نموذج لآخر حتى انتهى الى المثال الاعظم نموذج السكمال والجمال
اما ارسطو فلاحظ حركة الموجودات وافعالها فتدرج من
محرك لآخر الى ان وصل الى المحرك الذي لا يتحرك اي الى الفعل
المجرد مبدأ النظم جميعها والعالمة الغائية للطبيعة

وكل من الاثنين قال بالواحد الاحد . الا ان الله في نظر
افلاطون منظم العالم بعقل وبصلاح . اما ارسطو فهو يقلل من
قيمة الالهية اذ جعلها مشغولة عن العالم بالتمتع بكمال جوهرها
وسعادتها العظمى

رابعا - يتفضل ارسطو على افلاطون باراته الاخلاقية والمنطقية
والسياسية : فجدليات افلاطون ركيكة . اما الاستاغيري (ارسطو)
فقد وضع اساس المنطق واستوفى البرهان
لم ينكر افلاطون الحرية الشخصية صراحة ولكنه يشك فيها
بتمثيل الفضيلة بالمعرفة . والذيلة بالخطأ

اما ارسطو فقد ميز بين العالمين : العقلي والاخلاقي ودحض
مذهب « الجبر النفسي » مؤكداً ان الانسان مخير وحر التصرف

الأمير .

وخلص القول ان فلسفة هذين العظمين أثرت أكبر
تأثير في الاحقاب التي تلتها فلقب افلاطون بالالهى ودعى اوجست
كونت «ارسطو الذي لا شبيه له»

السقراطيون الاصاغر

دعي افلاطون وارسطو « السقراطيين الكبارين لانها ظلا
تأمينين على جوهر تعاليم سقراط مع اصطبائها بارائها الشخصية
غير انه وجد بجانبها بعض الفلاسفة الذين تتلمذوا لسقراط
أيضاً وخالفوا مذهبه وحوروه تحويراً كلياً أو جزئياً . فدعاهم
المؤرخون « السقراطيين الاصاغر »

فظهرت ثلاث مدارس لاولئك الفلاسفة وهي « المدرسة
الميفارية او الجدلية مؤسسها اقليدس الميفاري ، والمدرسة
القورينائية وعلى رأسها ارسطبس ، والمدرسة الكلية لمنشها
انتستينس .

وسنورد لكل منها مبحثاً خاصاً

٢٥ - المدرسة الميغارية

ولد اقليدس في مدينة مغارى سنة ٤٤٠ ق م فدرس الفلسفة على پرميديدس الإليائي . ثم ذهب خفية الى أثينا ليتلقى العلم على سقراط اذ كانت الاقامة في أثينا محرمة على الميغارين والموت كان قصاصاً للمخالف

فلما توفي سقراط سنة ٣٩٩ ق م عاد اقليدس مع بعض التلاميذ الى وطنه وفتح مدرسته وله رأيان متناقضان : (الاول) أخذه عن المدرسة الإليائية من ان الخير هو الواحد الثابت الذي لا يتغير اعني الموجود المطلق . (الثاني) ان الواحد المذكور متعدد الصور فهو حكمة وعقل ومعرفة وفضيلة

وظن اقليدس انه وفق بذلك بين مذهبي پرميديدس وسقراط اما تلاميذه الذين أختلفوه على مدرسته زهاء الجيل وهم اختياس وباسيكل وتراسيماك وغيرهم فقد حافظوا على هذين الرأيين الغامضين ودافعوا عنهما بكل الطرق الجدلية ولذلك أطلق عليهم لقب « الجدليين »

ولكي يبينوا عدم امكان اثبات فكرتين يبرهان واحد .

قالوا : الكذاب الذي يتهم نفسه بالكذب هل هو كاذب . فان كان كذلك فهو ليس بكاذب ، وان لم يكن كذلك فهو كاذب ولكي يثبتوا انه لا ينبغي التسليم بصحة الاشياء المحسوسة ضربوا مثلين : «سفسطة كومة القمح . وسفسطة أصلع الرأس»
كم حبة حنطة تؤلف كومة القمح . وكم شعرة مزروعة من الرأس تجعله أصلع ؟

بالطبع لا الحبة الواحدة . ولا الشعرة الواحدة تكفيان . فاذن حبة واحدة . أو شعرة واحدة لو عدت تلو أخرى فأخرى حتى الالف لا ينشأ عنها كومة القمح أو تسبب صلماً وهذا مما يثبت ان الاشياء تبقى في تحول أبدي وهي ليست ثابتة

٢٦ — المدرسة القورينية

اللذة (Hedonisme) مذهب ارسططيس المولود في قورينا (cyrene) المستعمرة اليونانية في افريقيا) سنة ٤٠٠ ق م . وكان سفسطائياً أخذ عن پروتغوراس : ان المعارف تابعة للانسان حسبما يستحضرها هو اما حقيقة واما كاذبة . قال ان اللذة الحسية غاية الحياة ، والعقل من يسعى قبل كل

شيء لاقتناص اللذة الوقتية لأنها تزول قريباً أما اللذة المستقبلية
فغير محقق حصولها (ولك الساعة التي أنت فيها) وينبغي على
الإنسان أن يسود نفسه بكيفية تجعله أن يقول انى سيد
ولست عبداً

وبعد ان مكث في بلاد اليونان وفي صقليليا زمناعاد الى قورينا
والشأ مدرسته ولما مات أخلفته عليها ابنته أريتا Arété لأنها
كانت ذكية ثم أعقبها ابنها ارسطيبس الشاب فتودور الجاحد +
فافهمير الذي قال ان الآلهة أبطال بشرية تأهت + ثم هيچزياس
الذي وجد ان آلام الحياة اكثر من لذاتها فحبذ الانتحار +
وحقق قوله بالفعل فمات منتحراً + ثم خلفه أنيسيرس Annicéris
الذي مهد طريق الفلسفة الايقورية

٢٧ - المدرسة الكيبية (cynique)

انتستينوسى (Antisthenes) ولد في أثينا سنة ٤٢٢ ق م
وتعلم المنطق في مدرسة جورجياس ولكنه سمع تعاليم سقراط
فاستميل اليه خصوصاً لما رأى من هذا الفيلسوف احتقاره للثروة
وصبره على احتمال آلام الحياة وامتلاكه لنفسه فصم حينذاك
على الاقتداء بهذه الفضائل . غير انه شوهها بالافراط . وكان

فلا طون يشركم عايه قاتلا « اري كبرياء انتستينوس من خلال
خروق ردائه »

وأسس مدرسته في أحد الملاعب الرياضية باثينا في موضع
يقال له « سينوزارج » *cynosarge* « بالقرب من هيكل هيرقل
حيث وقف كلب أبيض اختطف من الهيكل ضحية مقدمة
لهذا الاله

وهذه الذكرى ونظراً لطرق معيشة تلاميذ ذلك الفيلسوف
وخلعهم العذار ومخالفتهم المؤلف لقبوا بالكبيين
ومن تعالجه ان اللذة ألم، والفضيلة أعظم خير وغاية للانسان
ولذلك ينبغي التحرز من اللذات الحسية والعقلية . وما الغنى
والشرف والعلم والزينة والصحة والفقير والهوان الا أشياء
عرضية لا قيمة لها فالعاقل من اكتفى بما هو ضروري ولا
يقوبه بالألم أو بالموت ويقلل من الرغبات والحاجات ويقصد
الفضيلة لذاتها .

واشتهر فلاسفة هذه المدرسة ديوجينيس وكراتيس
Diogene & Crates . أما الاول فولد في سينوب سنة
٤١٣ ق م . نفي من وطنه فجاء الى اثينا ومكث فيها طويلاً ثم
مات في قورنثيه يالغاً من العمر تسعين عاماً

كان هذا الفيلسوف يعيش في أبسط الحالات يحمل على ظهره

بوميلاً ينام فيه . ومعلقة كان يشرب بها ثم رماها واستعاض
عنها بيديه .

وكان يطوف بالنهار وييده مصباح يفتش به عن الرجل ودخل
يوماً برجليه الملتطختين بالوحول مدرسة افلاطون المصروشة
بناخر الاثاث وقال اني ادوس كبرياء افلاطون . فاجابه هذا
اجل ولكنك تطأها بكبرياء عظمى .

اما كراتيس فكان من مدينة ثيبه . ذاع صيته في الجيل
الخامس ق م واخلف ديوجانس على مدرسة ارسطيبس وباع كل
ما يملك وفرق ثمنه على أهل وطنه واكتفى بالقليل



المدّة الثالثة

بعد ارسطو طاليس

بعد ان جاد الزمان بسقراط وافلاطون وارسطو . اخذت الطبيعة هدنة ردها من الوقت لان خلقاء هؤلاء العظماء لم تكن فيهم روح الابتكار فظلوا متبعين مذاهب معلمهم حتى انهم أيضاً لم يحافظوا عليها كما تساموها بل ادخلوا عليها ارا غريبة

سبوسيب اخلف افلاطون على الاكاديمية فأدخل عليها نظرية العدد بدلاً من نظرية المُثُل وارتأى أيضاً ان الخير ليس مبدأ الاشياء بل نتيجة لها . وبعد وفاة سبوسيب تولى بعده كزينو قراطس ادارة المدرسة ثم اعقبه پوليمون فكرا تيس فكرا تهور الذي قام بطبع مؤلفات افلاطون

اما ارسطو فخلفه على مدرسته تيوقراست وجاء بعده اوديم واستراتون . وكما حدث في مذهب افلاطون حدث أيضاً في المذهب المشائي فلم يحافظ تلامذته على تعاليمه وحوروا في مذهبه فيما وراء الطبيعة وجعلوه واحديا بعد ان كان اثنيديا . وانصرفوا الى العالم الطبيعي فأدى بهم الامر الى المذهب المادي

وكانت نظرية السعادة أو الخير المطلق شغل الفلاسفة الشاغل فاصبح علم الاخلاق أهم ابحاثهم فتباروا في الاجابة على هذا العلم

واشتهر في هذه المدة ثلاث مدارس جديدة بالذكر وهي المدرسة
الارتيابية (Ecole Sceptique) والمدرسة الايقورية Ecole
Epicurienne والمدرسة الرواقية (Ecole Stoicienne)

٣٨ - المدرسة الارتيابية

مهدت المدرسة الجدلية سبيلا الى المنهج الارتيابي فكان
بروتغوراس ممهداً لبيرون . وقام المنهج الارتيابي يناضل ضد
اليقيني المشائي

بيرون (Pyrrhon) ولد في نحو سنة ٣٧٠ ق م في أليس Elis
احدى مدن المليونيز وكان اسكندر الاكبر يشرفه بصداقته .
فاستصبحه معه في غزواته للهند وبعد عودته الى وطنه فتح مدرسة
فلسفية وعمر ما يقارب التسعين عاما ومات سنة ٢٧٠ ق م

لم ينتشر مذهبه الا بفضل تلميذه «تيمون» وكان طبيبا قدم
ا اثينا ومات فيها معجرا مما يدل على قيمة مذهبها العملي فكانا
يقولان ان الخلو من الالم مصدر السعادة ولكن لا يمكن
الوصول الى ذلك بواسطة نظريات لا طبيعية اذ لا تصلح هذه
الا لاضطراب البال والقلق والتعير ولا يمكن ادراك طبيعة
الاشياء . فالعاقل الذي يسمى الى هدو البال وراحة الضمير ليكون
سعيداً ينبغي عليه ان يوقف حكمه ما امكن ويبقى بين بين فلا

هو بتابع رأي « اليقينيين » الذين يمتقدون امكان الوصول الى حقيقة الاشياء ، ولا هو بعيال الى عقيدة السفطائين الذين يدعون استحالة معرفة تلك الحقيقة : فلا تأكيد قطعي ولا نفي قطعي وهذا هو سر الحصول على الراحة أو السعادة

الأكاديمية الجبرية : لقد تطرق مذهب الشك الى الأكاديمية القديمة بعد زعمائها الثلاثة افلاطون وسبوسيب وكزينوقراط ولذلك دعيت بالأكاديمية الجديدة . وبعض المؤرخون ينعنونها بالأكاديمية الوسطى على عهد ارسيزيلاس والأكاديمية الثالثة على عهد كرنيا وكليتوماك

أرسيزيلاس (٣١٥ — ٢٤٠ ق م) Arcesilas

ولد في بتانيا بيوليا احدى ولايات اسيا الصغرى . تولى ادارة الأكاديمية الافلاطونية بعد كراتور . وهو أول من سار بالمدرسة في طريق الارتياب معارضا تصديق الرواقين سواء كان في المنطق أو في العلم الطبيعي وكان على الخصوص ينازع في وجود أي معرفة تتضمن في ذاتها برهان حقيقتها فلم يسلم بما يزعمه الرواقيون من امكان الوصول الى الحقيقة لا بقوة الانفعال (التأثير) ولا بقوة المصادقة فينبغي اذن التوقف عن الحكم

وقيل ان هذا الشك كان يساعده على الدفاع عن تعليم

افلاطون وعلى الخصوص عن الاخلاق الافلاطونية لاننا بحسب
رأيه لسنا محتاجين لعلم ثابت للعمل طبقاً للعقل بل الاحتمال يكفي
اما كرفنياد القورينائي (٢١٥ - ١٣٠ ق م) (Carneade)
كان اكثر جدلاً وأشد احتداماً من ارسيزيلاس ناضل كريسيپ
في عامي الاخلاق وما بعد الطبيعة

انتدبه الاثينيون الى روما ليسوي مسألة الضرائب ويقول
شيشرون في كتابه « الخطيب » ان كرفنياد خطب في العدالة
خطبة بليغة حتى أعجب به الرومانيون وخشي كاتون بأسه ونفاه
من روما. أما رأيه فينحصر في عدم معرفة الاشياء وينبغي
الاكتفاء بما هو محتمل التصديق سواء كان في الامور العلية
أو العملية

يكلتوماك القرطيجي (Clitomaque) ذكر في عدة مؤلفات
له وعلى الخصوص في كتاب (توقيف الحكم) مذاهب كرفنياد
وادي الحال بالاكاديمية الجديدة الى ان اصطبغت بالمذهب
الاتخايجي على عهد فيلون اللاريسي والطيوخس واندرونيكوس
وشيشرون وغيرهم حيث امتزجت ببعضها المذاهب الافلاطونية
والمشائية والرواقية والاحتمالية (وسنورد لذلك فصلاً خاصاً)
وفي بدء الجيل المسيحي استرد المذهب الشكي نفوذه. واغلب
ذمهم أصبحوا اطباء فبدلاً من المجادلة من الوجهة النظرية كما

فعل ارسيزيلاس وكرنياد كانوا يقيمون الحجة على تناقض الطرق المنطقية بواسطة الشواهد الاختبارية الحسية . وأشهر أولئك الشكاك في هذا الجيل ثلاثة :

أ - أنا سيديم *Aéné si dème* ولد في غنوس بجزيرة اكريطس في أوائل الجيل المسيحي الاول وافتتح مدرسة في الاسكندرية ، ومؤلفاته لم تتصل اليها غير ان فوتيوس بطريرك القسطنطينية حفظ لنا بعض شذرات من مؤلفه الشهير على مذهب يرون وذكرها سكستوس امبريكوس

فبعد ان شرح العشرة اسباب التي ارتكن عليها مؤسس المذهب لانكار عدم معرفة الحقيقة وهي : الاختلافات في تركيب الكائنات الحساسة . واختلاف التركيب في الناس وتباين الشعور في الشخص الواحد . واختلاف التأثيرات بحسب الظروف والأحوال الذاتية - وتغيرات الموضوعات عند اختلاف وضعها - وتباين العلاقات والارتباطات التي تكون بين العناصر - واختلاف صفات العناصر بحسب مقاديرها . وجهلنا لجواهر الاشياء وعدم معرفتنا منها الا ظواهرها . واختلاف الشرائع الوضعية وتأثير العوائد القومية

ويعد اناسيديم مهدياً للفيلسوف « كانت » ومفسحاً الطريق للفيلسوف الاسكتلندي « هيوم »

اما أغريبيا Atripia فكان عائشاً في القرن الثاني للميلاد
 ناقص العشرة أسباب المذكورة الى خمسة وعاش في القرن الثالث
 الميلادي الطبيب سكستوس امبريكوس Sextus Empiricus
 في مدينة الاسكندرية وهو آخر الارتيايين اليونان . لم يتصل
 لنا من مؤلفاته سوى اثنين
 ومن رأيه ان العلوم جميعها، بما فيها الحساب والهندسة
 غير مؤكدة .

والفرض من هذا المذهب سعادة الجنس البشري، والسبيل
 للوصول الى تلك السعادة التوقف قطعياً عن كل حكم وعلى ذلك
 يكون العقل الذي لا يعيل الى جهة النفي ولا الى جهة التأكيد في
 غبطة وهذا منتهى السعادة

٢٩ - المدرسة الابيقورية

أخذت المدرسة الابيقورية بمذهب الذرات في ما بعد الطبيعة
 وبنظرية « الخلو من الألم » للحصول على الخير الاثم في علم
 الاخلاق اعني ان ابيقورا تبع رأي ديمقريس وارسطبس القورينائي
 وعدل فيها .

هياة ابيقور (٣٤٢ - ٢٧١) ولد ابيقور (Epicure) في
 جرجنسوس احدى ضواحي أثينا ثم رحل مع والديه الى ساموس

اليونانية . وكان أبوه معلماً وأمه مبصرة ومنجمة فكان يساعدها
في خزعبلاتها السحرية

ويقال انه تعلق بالفلسفة عند ما سمع للمرة الاولى أحد النحاة
يشرح لتلاميذه هذا الشعر اليوناني القديم « في البدء ولد العباء »
فأخذ يفكر في العالم . وقرأ مؤلفات ديمقريطس . ولما بلغ
السادسة والثلاثين من عمره جاء الي أئينا وافتتح مدرسته وأخذ
يعلم مذهبه

وكان له تأثير كبير ونهوذ عظيم على تلاميذه وألف نحو
الثمائة كتاباً لم يبق منها سوى شذرات حفظها لنا ديوجين
اللايرسي وشيشرون ولوكريس

أما فلسفته فتقسم الى ثلاثة أقسام : منطقية وطبيعية و اخلاقية
مذهب المنطقي ، الاحساس مصدر المعرفة وما هو الا
تأثير عضوي . ويحفظ الاحساس ويستمر في الذاكرة « فالصورة
العامه ما هي الا تذكر جملة احساسات متشابهة » وهذا التذكر
اذا ثبت في القوة المفكرة بالغة هو (المساعد للانسان على
معرفة الاحساسات المستقبلية قياساً على الاحساسات السابقة فينشأ
عن ذلك تعميم التجربة الحسية التي تساعد على استدراك المستقبل
وهذا ما يدعوه « ابيقور السوابق » . ولما كان التذكر والتصوير
يستمدان قيمتهما من الاحساس فنطق ابيقور حسي مجرد . وقد
وضع له قواعد عملية منها ان الحواس لا تخفيء أما الرأي فعرضة

للخطأ . ويكون الرأي صحيحاً اذا أيدته الحواس . وخطأ اذا
نفته . وهلم جراً . كل مسابقة تصدر عن الحواس وسابقة الشيء
الواضح ينبغي ان تستعمل في تبين مالم يكن واضحاً الخ

مزهره الطبيعى : المادة مصدر كل الاشياء والنفس ذاتها
مادية والعالم وكل ما احتوى عليه نشأ عن تركيب الذرات المتعددة
الغير مخلوقة والتي لا تنفي فهي تتحرك على الدوام بنفسها
في الفضاء .

ولم يكتف ابيقور بنظرية ديمقريطس في تفسير تقابل الذرات
وتحركها عامودياً بل قال ان لها قدرة على الانحراف عن العمود
وبهذه الكيفية يمكنها ان تؤلف بمجموعات مختلفة

والنفوس مركبة من ذرات أكثر اياقة وتحركاً من الجزيئات
التي تؤلف الاجسام ويقول أيضاً بان الاتفاق أو الصدفة تعمل
في تركيب الاجسام وتأليفها . أي انه يقول بوجود معلول
بدون علة

كما ان جميع الشعوب متفقة على الاعتراف بوجود آلهة تعيش
في سعادة تامة في حيز الفضاء أي بين العوالم . والانسان لا يجب
عليه ان يخشاهما أو يحترمها اذا لا علاقة لها بالعالم ولا ارتباط بينها
وبين الناس . كذلك لا يخشى الناس عقاباً ولا يأملون ثواباً في عالم
آخر لان النفس مادية تنفي بانحلال الجسم وما الخلود الا وهم باطل

وعلى ذلك يكون الموت لا معنى له فلا هو شر لمن يعيش ولا لمن
انتهت حياته . وبذلك تم السعادة البشرية اذا انتفى كل خوف
من حياة أخرى .

منهجه الخلقى : أراد ايقور ان يبين أين يوجد الخير
الاعظم وما هو السبيل للوصول اليه . وبما ان الاحساس مصدر
المعرفة فيجب الاستفهام منه . فما هو جوابه ،
يجيبنا ان الخير في اللذة « فنشعر بها ولا يمكننا التمييز عنها
كشعورنا بأن النار حارة والثلج أبيض والعسل حلو » بيد انه يجب
التمييز بين نوعين من اللذة (أحدهما) حاد ومتقلب يذهب سريعاً
وتكثر عنه الالام وهذا النوع هو لذة جسمية فاذا جعلها الانسان
غرضه من الحياة حكم على نفسه بعذاب تنتال (تنتال ملك ليديا
أولم للآلهة وليمة واطعمها جسد ابنه فحكم عليه الاله جوبتير
بالعذاب الجهنمي : يعطش ولا يجد ماء ويجوع ولا يجد قوتاً
فظل الى الأبد ظمآن جائعاً !)

(أما النوع الثاني) فهو اللذة الابدية فهي ساكنة ومستديمة
ومجردة من كل قلق وهذه هي اللذة العقلية التي لا اضطراب فيها
ولا ألم ولا نصب فيبلغ الانسان منتهى السعادة وغاية الحياة أو
الخير الاعظم

ولا يصل الانسان الى هذه اللذة الا اذا ميز بين الرغائب التي

يمكن نوالها ، وعددها قليل وضرورة للوجود .

« فبكرة خبز و قدح ماء يسد جوعه ويروي ظمأه »

والرغائب الطبيعية التي ليست ضرورة يجب التقايل منها بقدر
الامكان لانها مجلبة لانشغال البال واضطراب الفكر . كالزواج مثلاً
والاهتمام بشؤون العائلة

أما الرغائب الكمالية التي ليست بضرورة ولا بطبيعية فيجب
تبذرها واستئصالها كحبة الغنى والشرف والرياسة فهذه الرغبات
لانهاية لها

والفضيلة أجل ما يتبع ولكن كواسطة وليست كغاية . فكما
ان الانسان يدرس الطب لاجبا في ذات المعلم بل ليشفي به
الامراض لنوال الصحة . كذلك الفضيلة يمارسها العاقل لانها
بل نظراً للذة التي تنشأ عنها .

والحكمة تجعلنا نميز بين اللذات الصحيحة واللذات الكاذبة
والاعتدال يمنعنا من الاسترسال في الشهوات المضطربة . كما ان
الشجاعة تقصى عنا الخوف من الموت ومن عذاب الجحيم . أما
العدالة فتحفظنا من اعتداء الغير ، والصدقة تعزينا على احتمال
التجارب والصبر عليها .

وكتب ابيقور قبل وفاته سنة ٢٧١ الى ايدومنيه أحدث لأمذته
يقول له « اكتب لك هذه الرسالة في آخر يوم من حياتي وهو
أسعد الايام اذ يضع حداً لآلامي فقد بلغت أقصى حدها (وكان

مصابا بالحصوة) غير ان السرور الذي أشعر به عند تذكري
 محادثاتنا الفلسفية تخفف عني شدة تلك الآلام . اعتن باولاد
 متروودور الذي أظهر علي غيرة حقيقية واخلصا شديداً
 وتلقا بمذهبي «

أما متروودور هذا فكان تلميذه المفضل ومات قبله واخلف
 ايقور هرمر كوس على مدرسته التي كانت أشبه بجمعية اصدقاء
 منها بمدرسة وتعاقب عليها بولسترات فدنيس فباسليدس .
 فبروترك . فدمتريوس فأبولودور وكان بهذا ختام الجيل
 الثاني الميلادي . «

وفي هذه الاثناء انتشر المذهب الايقوري في روما بفضل
 فيدر استاذ شيشرون الخطيب . وسيرون استاذ فرجيل الشاعر .
 ولوكريسيوس كاروس الذي كان يؤله ايقور

غير ان المذهب تدهور وتسفل لان الذين اعتنقوه بعد ان
 تحرروا من كل اعتقاد ديني لم ترضهم اللذة السلبية فانغمسوا في
 الملذات والشهوات الايجابية الحادة . فوصموا مؤسس فذهبهم
 بوصمة خزي لا يستحقها



٣٠ المدرسة الرواقية

كان المذهب الرواقي والمذهب الابيقوري على طرفي نقيض. فبينما يضع ابيقور اللذة في الحمول النفسي والجسدي كان زينون مؤسس المذهب الرواقي يقول بوجودها في الاجهاد والنشاط والاشياء تكونت - غلى رأي ابيقور - بطريق الصدفة. أما الرواقي فذهب الى ان العقل الالهي هو المنظم لجميع الموجودات ومسيرها،

الاول يقول ان الآلهة موجودة بين عالمين. والثاني يتمسك بالحلول المادي

بيد ان غرض المذهبين واحد وهو سعادة الانسان في الحياة الدنيا

مشاهير الرواقيين ،



زينون (٣٤٠ - ٢٦٣)

Zenon

مؤسس هذا المذهب ولد في سيتيوم (cittium) بجزيرة قبرص من عائلة فينيقية اشتهرت بالتجارة وكان هو نفسه تاجراً فذهبت ثروته على اثر غرق متاجره بالقرب من بيره. فانصرف

ميله الى الفلسفة وكان عمره وقتئذ ٢١ سنة فتلقى العلم على كراتيس الكلي ولكن لما رأى معايب شيعته نبذها واتبع تعاليم ستلبون وديودور المغاريين ثم كزينوقراطس وبوليبيون الاكاديميين وفي نحو العام الثلاثمئة ق م فتح مدرسته في رواق بوسيل (Portique du Pacile) الذي كانت تحفظ فيه التحف الفنية باثينا ولذلك اطلق على هذا الفيلسوف وعلى تابعيه «الرواقيون» (stoicien) واستمر في القاء دروسه زهاء الثلاثين عاماً ولما قارب الشيخوخة انتحر سنة ٢٦٣ ق م . محبذاً للانتحار وموصياً به للتخلص من العناء

٢ - كلياتهمس (٣٣١ - ٢٣٢ ق م)

Cleanthe

اصله من اسوس بتروده (assos) كان في بدء أمره مصارعاً فترك موطنه أثر ثورة وجاء الى أثينا خالي الوفاض فاشتغل عمالاً فسقاه في الحدائق ثم أجيراً يدور الطواحين أثناء النهار . وينكب على الدرس والمذاكرة ليلاً بهمة لا يعثرها الكلال

أخذ الفلسفة أولاً على كراتيس الكلي ثم على زينون الرواقي . وخلف هذا على ادارة مدرسته ومع ذلك لم يكن يغير طرق معيشته .

واتبع وصية استاذة فانتحر لما شعر بالهرم

٣ كريسيب « ٢٨٠ — ٢١٠ ق م »

Chrysippe

ولد بطرسوس بكايكيا وهو يعتبر المؤسس الثاني للمدرسة الرواقية لانه عدل وهذب بعض آراء الفلاسفة اسلافه وعلى الخصوص لانه صد غارات محدثي الافلاطونيين المذهبية .

٤ ديوجين البابلوني

ارسل سفيراً الى روما مع كرنياذ وكريتولاوس نحو سنة ١٥٥ ق م وكان تعليقه الرواقي معتدلاً

٥ باناتيوس « ١٨٥ — ١١٠ ق م »

Panatius

أصله من جزيرة رودس جاء الى روما وافتتح فيها مدرسة وعلم المذهب الرواقي غير انه ادخل اليه بعض الآراء الافلاطونية والارسطوطاليسية فهو بذلك يعد ضمن المدرسة الانتخائية (eclectique)

ومن مؤلفاته الكثيرة : كتاب الواجب الذي ترجمه شيشرون الروماني معظمه في كتابه (De Officiis) وكتاب العناية الالهية وآخر في راحة النفس

بوسيدونيوس « ١٣٥ - ٥٠ ق م » Possidonias

هو انبغ تلامذة بناتيوس . ولد في اپاميه (Apamee)
بسوريا وعمر نحو ٨٥ عاماً . أعجب كأستاذه بفلسفة افلاطون
فاستمد منها أكثر الآراء في علم النفس وظل محافظاً على نظرية
الرواقين الخاصة بالمعرفة اليقينية واعتقد أيضاً بالنبوات وحقيقة
التنبؤ من بعض الاستدلالات

وفي أواخر أيامه أصيب بمرض النقرس . ورغب بومبيوس
الشهير في سماع فصاحته وبلاغته اللتين ضرب بهما المثل في روما
فجاء الى رودس ليسمعه

فلم يقعد المرض بوسيدونيوس عن الخطابة امام بومبيوس
فطلق يلقي من فمه درراً غوالاً وكلمة اشتد عليه الالم كان يصيح
قائلاً « أيها الالم لا سلطان لك علي نفسي ومهما بلغت شدتك
فلن أعترف أبداً انك ألم »

الفلسفة الرواقية

بنى الرواقيون مذهبهم الطبيعي عن الايونيين وعلى
الخصوص عن هرقليطس . ونظريتهم الخلقية عن انتستينوس
وحكمتهم فيها « ان يعيش الانسان طبقاً للطبيعة » والخير المطلق
يكون في الفضيلة ولا تنال الفضيلة الا بالنصب والاجهاد . اما

وأبهم اللامادي فأخذوه عن أرسطو فنقلوا آراءه في المادة والصورة والحركة والغاية العامة .

ويمكن لنا القول ان اله الروقيين هو « الطبيعة الأرسطوطاليسية » بيد ان طبيعتهم تقوم بذاتها بدون دخل للفعل المجرد .

وبالرغم من اجهاد الرواقيين اليونان في التوفيق بين تلك الاركان المتناقضة وصياغتها في قالب مذهبي موحد فانهم لم يخلوا من الوقوع في التناقض ونشأ عن ذلك اختلاف بين علم الاخلاق وعلم ما بعد الطبيعة ولم يتمكن الرواقيون المتأخرون من تدليل تلك الصعوبة الاختلافية الا بجعل العلم الثاني تابعا للاول .

المذهب الطبيعي : قسم زينون فلسفته الى ثلاثة أقسام :

طبيعية ومنطقية وأخلاقية : فهو اذن ادخل ما بعد الطبيعة في العلم الطبيعي .

يقول : ان الوجود مادي .

والشيء الواقع يتألف من عنصرين غير منفترقين أحدهما منفعل وهو المادة . والآخر فاعل وهو القوة التي تحمل في المادة وتتغلغل في جميع أجزائها فتشككها وتحركها فلا مادة بغير قوة ولا قوة بدون مادة .

فمثال افلاطون ، والفعل المجرد الذي قال به ارسطو هما

هذاتان مجردتان

أما موجب الأشياء وموحدها فهو موجود فيها وليس خارجاً عنها .

فالقوة التي تحيي بها المادة هي الله حالاً في العالم كقول النفس في الجسد . والله ليس فقط القوة المحركة بل هو أيضاً الاحساس والعقل والارادة فجعل للكون وجوداً حيا حقيقيا جميع اجزائه متكافة ومتجانسة . وتأثير فعله تتحرك جميع الموجودات بنظام مستمر طبقا لقوانين ثابتة ولغايات عقلية

وما الا لشقاق والصدفة الا ظواهر كاذبة

فكل شيء مقدر لا بد من حصوله . وارتباط الوسائط بالغايات كارتباط الاسباب بالنتائج فالقدرة والقدرة هما مظهران لاله واحد .

ويذهب الرواقيون الى ان القوة هي مثال نار هرقليطس أي نسمة مفكرة ملتهبة . والى ان المادة هي القوة المنكشمة الهامدة أي النار المنطفئة أو التي على وشك الانطفاء . فانه اذن الجوهر الوحيد الشامل . وهذه النار الالهية بانقباضها وتمددتها تبعد الاشياء كلها وتهلكها على التعاقب . فيعود الكون الى الله ثم يصدر عنه من جديد وهكذا الى الابد

المذهب النفسي : جميع الموجودات الخاصة مركبة كالجوهر

من عنصر منفعل عديم الحركة ومن أصل فعال حي . فهذا الاصل
يجمع الجزئيات الجمادية ببعضها ويجعلها متماسكة ، وهو في النبات
المادة النطيفية التي تنمى البذار وتخرجه عضوا حيا مطابقا لنوعه ،
وهو في الحيوان النفس الحساسة الراجعة . وفي الانسان يصير
ذاك الاصل عقلا عالما بذاته ومتضمنا أيضا تلك الخواص
الموجودة في الجماد والنبات والحيوان ويدعى حينئذ الآنية
ويكون العقل عارفا وفاعلا .

ومادة المعرفة الاحساس حيث تتأثر النفس بالاشياء الخارجية
فتنقش فيها صورها واشكالها . فيتمثلها العقل ويستحضرها في
المخيلة . غير ان بعض تلك الصور تنطبع معها حقيقة ذواتها
وتدعى الاشكال المفهومة . وتقاس حقيقتها بقوتها او بمفعولها .
والعقل يستخلص من جملة أشكال مفهومة رأيا عاما يستبصر به
المستقبل ثم تنشأ المعرفة من ترتيب الآراء العامة .

وقد شبه زينون الاحساس الاولي بيد مفتوحة والانفعال
بيد نصف مفتوحة ، وتفهم الاشياء بيد مقفولة ومضغوط عليها
باليد الاخرى ، والعقل ذاته هو الذي يتدرج في الحالات
الاربعة المذكورة

كذلك يزعم الرواقيون ان الغريزة والارادة والشهوة
حالات ثلاثة لمبدأ واحد . وهذا المبدأ هو العقل الفعال وليس
العارف .

ففي الغريزة تتنبه القوة المسيرة وتظهر انها تبحث عن ذاتها
وفي الارادة تمالك ذاتها وتحكم نفسها ، وفي الشهوة تنطلق من
عقلها وتضعف

فبينما يقول ارسطو بثلاثة قوى : احساسية وفكرية
وارادية . يذهب الرواقيون الى القول بأصل واحد في الانسان
وهو العقل مصدر الفعل والادراك والحياة ، ومع ان مظاهره
متعددة ومختلفة فهو يجتهد دائماً في ارجاع تلك الظواهر الى
طبيعة واحدة .

المذهب الخلقى : تنحصر اخلاقيات الرواقيين في ان

الفضيلة دون غيرها هي الخير الاعظم
وينبني على هذه النظرية النتائج الآتية :

لا تتعلق الفضيلة بغاية اسمى منها ومخالفة لها . فبينما تقول
سائر المذاهب ان الفضيلة تتعاقب بغرض ما . سواء كان هذا الغرض
هو الله على رأي افلاطون أو السعادة على زعم ارسطو أو اللذة
كما ارتأى ابيقور . نرى الرواقيين يزعمون ان الفضيلة تتضمن
غرضها في ذاتها .

فالرجل الناضل كالطبيعة العامة يجدان خيرهما في ذات عملهما
وليس في غاية خارجة عن الفعل . وعلى ذلك تكون القيمة الاخلاقية
للأعمال تبعاً لصورتها وليس لماهيتها . وتبعاً للنية وليس للنتيجة

فالفضية تكون في ارادة الخير وليس في عمل الخير (قال ابكتيتوس
خيرنا وشرنا بارادتنا)

واذا كانت الفضية دون غيرها هي الخير المطلق فكل ماعداها
كالحيوة والصحة والغنى والسمة والموت والمرض والفقر والعار
على حد سوى لا فرق بين الرديء والحسن اذا قصدناها لذاتها
« الخير كل الخير في الفضية والشر كل الشر في الرزية »

تكون الفضية في استقامة الارادة وسداد الرأي أي في
اتفاقها مع ذاتها . ولذلك تكون واحدة لا تتجزأ وكما ان الخط
اما ان يكون مستقيماً أو لا ، كذلك الارادة اما ان تكون سديدة
أو لا . ولا وسط بين الفضية والرزية ومن لم يكن حكيماً كان
مجنوناً فلا توجد درجات بينهما .

الافلاط جميعها متساوية والفضيلة كمجموعة لا تنفرد ، بمعنى
ان من كان حائزاً على واحدة منها حاز جميعها نظراً لاتحادها ببعضها
ومن لم يحزها كلها ليس بجائز ولا على واحدة منها . فالانسان اما
ان يكون فاضلاً في كل شيء او لا يكون

والحكيم اذن حاصل على كل كمال وعلى تمام المعرفة فهو كامل
الصالح وتام السعادة فيساوي مع الآلهة بل يتفوقها ويسمو عليها
لانه اتم كماله بذاته .

والفضيلة تجد ثوابها في نفسها ولا معنى للمجازاة في حياة
أخرى ولا خلود للنفس .

والنفس على رأي الرواقين جسم لطيف محاط بغلاف سميك،
ولذلك لا يترتب على انحلال الجسم انحلال النفس بالضرورة .
وبما ان نفس الحكيم أكثر نشاطاً وامتداداً فهي تبقى بعد
الانحلال البدني متمتعة بنوع من البقاء حتى اذا جاء دور الانحلال
العام يسري عليها كما على غيرها قانون الاندماج في النار الالهية
الابدية فهذه وحدها المتمتعة بالخلود المطلق

تهديل المذهب الرواقى ، وجد الرواقيون المتأخرون ان
هذه النظريات لا يمكن العمل بها فأخذ كل في تعديلها بما عن له
فأولاً — وضمو درجات للاشياء التي لا يؤبه بها : فالصحة
والحياة والغنى والسمعة تطابق الغايات البشرية وتتقارب من الخير
ومع انها ليست خيرات في حد ذاتها فهي مفضلة على الاشياء المخالفة
للاغايات الطبيعية كالموت والمرض والفقر والعاز .
والاشياء المفضلة بعضها أكثر موافقة للجملة الانسانية
وهي التي دعاها شيشرون وظائف (officia) انسانية كالغذوية
والتناسل وتحصيل العاوم وسياسة العائلة والاعتدال والشجاعة
والحكيم من رغب في الاشياء الموافقة ليس حباً بل نظراً
للجمال والنظام اللذين يتلألان بتأديتها
والنية تحول «الموافقات» الى خيرات حقيقية وبذلك تعدلت
الافعال الخاصة ولم تبقى قاصرة على الصورة والنية بل تعدتها

إلى المادة .

(ثانياً) كذلك حصل تعديل في الرأي الغريب القائل بالمساواة بين الاغلاط . فلو كانت كذلك لكان العقاب واحداً لكل والواقع يثبت لنا العكس . فغلطة واحدة تتضمن جملة أغلاط خذ مثلاً من يقتل اباه فانه يجمع بين القتل والمعقوق .

(ثالثاً) تعدلت أيضاً نظرية « من لم يكن عاقلاً فهو مجنون » فجعلوا تفاوتاً بين العقلاء والاغبياء

واجمالاً تتلخص الفضيلة الرواقية في تكييف الحياة كمقتضى العقل « فيحتمل ويمتنع » أي لا يأبه بالالام ولا يتعمر من المعاكات الطبيعية ولا يسعى وراء الخيرات التي ليس في وسعه الحصول عليها .

وبذلك يكون حراً وسعيداً لا تتسلط الشهوات عليه فالناس كلهم اخوة متساوون والرق ظلم ينافي العدالة . والانسانية كمائلة كبيرة يجب على أعضائها التعاون . كما ان العاقل ليس له وطن خاص بل الكون بما اشتمل عليه موطنه

٣١ - الفلسفة اليونانية الرومانية

وصلنا بالتاريخ الى القرن الاخير قبل الميلاد . وكانت الدولة الرومانية باسطة نفوذها على العالم المتمددين وظلت مسيطرة عليه

حتى غزوة البربر . وكانت المذاهب الفلسفية تجاهد في معترك الوجود فائر بعضها على بعض ونشأ عن هذا النضال مذهب انتخائي اختار زعماءه ما وافقهم من الآراء المختلفة ونظموه سمطاً واحداً وأشهر أولئك الانتخابيون شيشرون .

وكان أول عهد الرومانيين بالفلسفة . تعاليم ديوجين الرواقي وكريستولوس المشائي وكرنياد الاكاديمي فالتفت الشبيبة حولهم وارتشفت من منهل فاسفتهم فخشي كاتون تأثير أولئك الفلاسفة فأعاد السفراء الثلاثة المذكورين الى اليونان بلدهم . غير ان المذهب الابيقوري ظل متمثلاً في شخص لوكريسيوس ولم يمض زمن على هذا المذهب حتى أخذ في التعمك والانحطاط وصارت تعاليمه منحصرة في هذه الجملة «لأكل ونشرب لابناءً سنفي»

أما المذهب الرواقي فقد تغافل في أخلاق الامة الرومانية وفي سياستها ودينها وكان تأثيره أيضاً عظيماً في التشريع حتى تشبعت به آراء جايوس وپول والبيان وپابنياس وبيتمايند كرابكتيتوس في كتابه كيف يكون الناس أحراراً حتى في وسط العبودية . نرى مرقس اوريلوس يظهر بمظهر الامبراطور الفيلسوف يكرس افكاره وحياته لسعادة البشرية

مشاهير الفلاسفة لوكر سيبيرس

Lucrece (٩٥ - ٥٢ ق م)

كان معاصراً لكاتون ولشيشرون . نظم المذهب الابيقوري شعراً بليغاً وديوانه مؤلف من ستة أجزاء وموضوعه خلاص الناس من الخوف من الآلهة ومن الموت . وشرح في الجزء الخامس كيفية انشاء العالم وتكوينه متمثلاً بنظرية التطور

سيزرون Cicero (٣١٠٦ - ٤ ق م)

هو مرقس توليوس شيشرون خطيب روما الشهير . اشتغل بالحاماة في بدء أمره . ثم حكم وقتاً ما الجمهورية الرومانية بعد ان انقذها من ظلم كاتلينا واستبداده وقد كان له ضلع في جميع المسائل السياسية الكبرى والانشقاقات الحزبية ثم سقط قتيلاً بيد جنود انطونيوس

كان يعتقد بوجود اله . وبأزلية الطبيعة وبالحرية ووجود النفس . ولكنه لم يكن في المسائل الفلسفية على رأي ما بل كان يذكر أدلة كل مذهب وردود بعضها على بعض غير انه كان رواقياً الاخلاق بعد ان عدله براء افلاطون وارسطو

ومؤلفاته كثيرة أشهرها كتاب القوانين وكتاب الجمهورية

De Legibus & de Republica هذا فيها حدو افلاطون
 وكان يقول ان المبادئ الاخلاقية والتشريعية الاساسية هي
 ضرورية لبقاء المجتمع مثل الاعتراف بوجود آلهة. وقوانين طبيعية
 عامة وكرامة البشرية وخلود النفس.

سنيقا (٢ - ٦٦ م) Seneca

ولد في قرطبة باسبانية في السنة الثانية الميلادية وكان استاذاً
 وصديقاً لنيرون ومات ضحيته أيضاً سنة ٦٥ ميلادية بان فصد
 عروقه في حمام فتصفي دمه .

تلقي العلم على سوتيون الرواقي الاسكندري الذي كان
 متشعباً بفلسفة افلاطون وفيثاغورس ومعتقداً بخلود النفس
 وتناسخ الارواح .

كتب سنيقا مؤلفات كثيرة أشهرها رسائله الى لوسيلوس
 وتتضمن مباحث أخلاقية تهذيبية وآراء شاذة غريبة كالتساؤل مثلاً
 عما اذا كانت الفضيلة جسماً أم لا : وكان يعتقد بالمادة وحلول الله
 فيها . والميعاد . وطهارة الاخلاق والمحبة البشرية

ابكتيوس Epictete

ولد في هيروبوليس بفرجينيا من أعمال مصر في الجيل الاول

الذي ولد وجاء الى روما كمبند في أيام نيرون ولم يعرف أحد اسمه
وانما لقبوه ابكتيتوس (أي الاسير أو الرقيق) وقد تحرر بعد
وفاة سيده إيا فروديت أحد حراس نيرون الاخصاء

تلقى الفلسفة على موسونيوس الرواقي . وعندما صدر أمر
دومتيانس سنة ٩٤ بطرد جميع الفلاسفة من روما ، التجأ الى
نقوبوليس بأبيره (Nicopolis d'Épire)

ومدار فلسفته التمسك بالفضيلة ونبذ الرذيلة . ولكي يكون
الانسان سعيداً يكفيه ان يميز بين الاشياء التي لها ارتباط بنا
والتي ليست كذلك

أما الذي لا يتعلق بنا ولا يمكننا تجنبه فيجب ان نعتبره ارادة
إلهية وينبغي علينا ان نتقبله بدون تدمير .

وهو الذي قال هذه الجملة الشهيرة « احتمل وامتنع »
والحكيم في نظره من احتقر متاع الدنيا حتى الضروري
منه للحياة . ويجب ان يكون رسولاً لله وخادمه على الارض ممتكناً
بالحبة لعموم بني البشر

ومن أقواله « ان علماً بلا عمل لا فائدة منه » انك لا تسأل
عما اذا كنت قرأت كريسيب أو غيره من الفلاسفة بل تطالب بان
تكون عادلاً — لا تقل عن شيء ما انك اضعته بل زدده —
اذا أردت ان تتحقق رغائبك لا ترغب الا ما يمكنك ان تناله
بنفسك — لو كنت بلبلًا لغردت ولكني انسان عاقل فاترجم لله »

صرفس اوريليبوس (١٢١ - ١٨٠ ق م)

اشترك في ادارة الامبراطورية الرومانية سنة ١٣٨ ثم انتخب
امبراطوراً سنة ١٦١ . كان روستكوس تلميذ ابكتيتوس استاذاً
لهذا الفيلسوف المتوجِّج

عدل فلسفة ابكتيتوس فبدلاً من « الامتناع والتحمل »
أوصى « بالأصلاح والتحمل » ومن فلسفته ان القدرة الالهية
تتداخل في تدبير العالم فكأنه يقول بالجلول
أما النفس فليست بأكملها مادية بل مستقلة عن الجسد ومتمتعة
بالتخلود لانها مدركة لله

ومع اشتهاره بالمعطف والمحبة فقد كان شديد الاضطهاد
للمسيحيين واضعاً نصب عينيه تأييد الدين الوطني مهما كان
موقاوماً ما خالفه

وأشهر مؤلفات هذا الامبراطور كتاب «خطرات افكاره»
ضمن أهم القواعد الادبية للفلسفة الرواقية



المدة الرابعة

٣٢ - افلاطونية جديدة الحديثة

ان مدرسة الاسكندرية هي آخر مدرسة للفلسفة اليونانية بدأت في الظهور في أواخر القرن الثاني الميلادي . بيد انها قبل هذا التاريخ بزمن عهدت بالنظم الفلسفية القديمة أخذت المدارس الرواقية والليقية والاكاديمية في التراجع حتى تكون منها مزيجا غير مستقر الحال ودعي بالمذهب الانتخابي وظل المذهب الابيقوري وحده حافظا تقاليدہ وتعاليمه .

ومن جهة أخرى ظهر في الاسكندرية فيلسوفان يهوديان هما ارستوبول وقياون وحاو لا التوفيق بين تعاليم موسى وافلاطون ومن رأي فيلون ان الله وحده هو الموجود المجرد . والكلمة (لوجوس) الصادرة من الله هي الوسيط بينه وبين العالم . كما ان الروح (بنقا) المنبثق من الكلمة هو روح العالم .

ونشأت الثورة الفكرية مازجة الدين بالفلسفة فظلت زهاء القرنين الاولين للميلاد غير ان هذا التثليث لا يتشابه بالثالوث المسيحي الا في اللفظين الاخيرين فقط أي في الكلمة والروح

اما شقة الخلف بين الديانات الوثنية فقد كانت متسعة فيعارض الاله اليهود والمسيحيين . الاله كزينوفان وافلاطون وارسطو . وقد

حاولوا ان يدمجوا العقيدة الاممية لتعدد الآلهة بآله واحد في
 المحاول الفلسفي أي بالقول بوجود اله مجرد انذات يتنوع الى
 جملة آلهة ثانوية دعاها الغنوثسيون (الادريون) يون (eons)
 كذلك المذهب الفيثاغوري نشط من عقاله وقام ابولوثيوس
 يدعو اليه مستعيناً على ذلك بأعمال غير مألوفة

وحوّر المصريون الوثنيون بعض اعتقاداتهم على مثال تحوير
 اليهود فادخلوا اليها آراء افلاطونية
 فهذه الثورة الفكرية ظهرت بشكل افلاطونية حديثة
 وانتقلت بذلك الحركة الفلسفية من أثينا والعالم الغربي الى
 الاسكندرية مهد الشرق حيث كانت العلوم فيها زاهرة بفضل مكتبتها
 الشهيرة التي أسسها البطالسه

لما اعتنق المصريون الديانة المسيحية على يد القديس مرقس
 الانجيلي سنة ٥٥ ميلادية وأسس لهم المدرسة اللاهوتية دبت
 الغيرة في قلوب الوثنيين فأنشأ شيخهم أمونيوس السقااص المدرسة
 الفلسفية الوثنية التي فتحت لها خزائن مكتبة الاسكندرية فعلا
 شأن تلك المدرسة لاسيما في حكم القيصر يولييانوس الصابي
 (٣٦١ - ٣٦٣) ثم أخذت في الانحطاط حتى اندثرت في حكم
 القيصر يوستنيانوس سنة ٥٢٩

وقد تولى الزمامة على تلك المدرسة أمونيوس المذكور
 فافلوطين (بلوتينوس) فرفوريوس (پورفيروس) فجامليك

فبروكلوس وهذه نبذة في ترجمة كل منهم :

أمونيوس السقاص Ammonios Saccas

تربى في أحضان المسيحية ثم جردها . ومات سنة ٢٤١ م
وكلمة السقاص مشتقة من كلمة ساكي اليونانية وتعريبها (كيس)
إشارة إلى العائلة صناعته القديمة
درس الفلسفة الأفلاطونية وتعمق فيها ومن رأيه أن النفس
منتشرة في كل جزء من أجزاء البدن
ومن تلاميذه أريجانس الوثني (وهو خلاف المسيحي) ولونجين
الاتقادي وهرينيوس . وأشهرهم أفلوطين

أفلوطين (بلوتينوس Plotin) (٢٠٥ - ٢٧٠ م)

ولد في ليكوبوليس بالوجه القبلي بمصر في بدء الجيل الثالث ومات
في روما سنة ٢٧٠ ميلادية وسافر بصحبة الإمبراطور غرديان
في تجريدة حرية ضد بلاد فارس
كان عمره ستة وعشرين عاماً عندما بدأ يتلقى العلم على أمونيوس
وإذ رأى تعاليمه صاح « هذا هو الرجل الذي ابحت عنه » ثم بعد
أحد عشر عاماً سافر إلى بلاد فارس والهند ليقف على المذاهب
الشرقية ثم رحل في الأربعين من عمره إلى روما حيث أسس
مدرسة وعلم فيها زهاء الخمسة وعشرين سنة

أما مؤلفاته فطابعها تلميذه بورفيروس (فرفيوس) في ستة مجلدات كل مجلد يحتوي على تسعة كتب دعاها التسوع (أنيده Enneades)

فرفيوس « بورفيروس Porphyre »

ولد في مدينة صور سنة ٢٣٣ م ومات بروما سنة ٣٠٥ ق م
 اخلف استاذة افولطين في ادارة المدرسة الافلاطونية الحديثة
 وقد جمع أكثر من معامه بين مذهبي المشائين (الارسطو طاليسيين)
 والافلاطونيين (الاكاديميين) وقد سببت مطاعنه ضد المسيحيين
 اضطهادات دموية

أما أشهر مؤلفاته فهي « شجرة برفيريوس . ثم الاساغوجي
 أي مقدمة كتاب قاطيغوراس في المنطق لارسطو وقد ذكر
 في هذا الكتاب الكليات التي قام الجدل بشأنها في العصور الوسطى
 بين « الاسميين » « الواقعيين »

جمبليك « Jamblique »

ولد في كلسيس في النصف الثاني من الجيل الثالث الميلادي
 ومات سنة ٣٣٣ مسيحية كان أشهر فلاسفة محدثي الافلاطونية
 التي أصبحت مجموع نظريات لاهوتية خرافية وكان يدعو نفسه

كاهن الاسرار العظيم . ويفتخر بأنه يصنع العجايب . ومن خلفائه
يوليان الصابي (٣٣١ - ٣٦٣)

بروكلوس Proclus (٤١٢ - ٤٨٥)

ولد في بيزانس سنة ٤١٢ ومات في أثينا سنة ٤٨٥ درس
أولاً فلسفة ارسطو في الاسكندرية على اولمبيودور ثم رحل
الى بلاد اليونان ليتلقى فلسفة بلوتارك الاثيني مؤسس المدرسة
الافلاطونية الحديثة في تلك المدينة ثم أخذ عن سريانوس تعليمه
وأخلفه على مدرسته

وكانت فلسفته وسطاً بين فلسفة افلوطين الرومانية وفلسفة
جنبليك السورية . وكان يشار اليه بالبنان بعد افلوطين باعتبار انه
أحد مشاهير فلاسفة مدرسة الاسكندرية الوثنية

وفي سنة ٥٢٩ صدر أمر الامبراطور يوستنيانوس بغلاق
المدارس الفلسفية الوثنية فالتجأ المذهب الافلوطني الحديث
الى بلاد فارس . وكان هذا الزمن آخر العهد بتاريخ الفلسفة في
العصور القديمة

لما كان افلوطين هو المعتمد عليه في بيان العقيدة الافلوطونية
الحديثة . رأينا من المناسب ان نلخص مذهبه في ما بعد الطبيعة
وفي علم الاخلاق

المذهب البلاطيني : ان الرأي السائد هو القول بالحلول

تفكك شيء صدر من الله الواحد بطريق الانبثاق وكل شيء اليه يعود بطريق الرجوع

الواحد هو كل الاشياء وليس هو أحد تلك الاشياء .
وليس الغرض من قول افلوطين « كل الاشياء » مجموعها بل كمال كل شيء . الواحد مبدأه ويمتزج بكمال الباقي

وتحديد الواحد حصر له فليس هو أحد الاشياء التي تصدر عنه ولا يمكن وصفه بوصف خاص فهو ليس الموجود ولا الجوهر ولا الحياة . انما هو اسمى من كل ذلك ولا يمكن تشكيكه بشكل ما فهو فوق كل تعريف ليس هو بفكر ولا بإرادة لان الفكر يستلزم شيئين : مفكّر ومفكّر فيه . والارادة تستدعي الحالة غير الحالة التي هي فيها . وذلك أمر اثنيي والله واحد ولا نعرف سوى انه واجب الوجود تام الكمال لا يحتاج لشيء خارجي . بل يفيض خيرا وينتشر فتولد عنه جميع الكائنات التي تختلف كالاتها بحسب قربها أو بعدها من ذلك الفيض الالهي

وأول نتاج لهذا التوليد هو العقل (نوس) اكل شيء بعد الواحد وهذا الابن الجميل يستمد من الاب الذي انبثق منه كل كمال ولا ينقص عنه الا قليلا جداً . كذلك للعقل قوة الانتاج ولكن بقوة أضعف من قوة ابيه . وانبثقت الروح من العقل وهي أقل كمالاً منه

هذه هي الاقائيم الثلاثة الاسكندرية وهي متحدة ببعضها
وفي الوقت نفسه متميزة عن بعضها. فالروح هي كلمة العقل والعقل
كلمة الواحد والثلاثة يحبون بعضهم البعض

والنفس تحتوي على العالم الحسي بالقوة ومنها تصدر
الموجودات ذوات الاجسام. فهذا هو الانتقال من اللانهائي الى
النهايي. فالله والجسم على طرفي درجات الكمال: أي ان الله
واحد. والجسم متعدد بيد ان الجسم عليه الطابع الالهي لانه
متشكل باشكل الله المنعكسة عليه. والكائنات ذوات الاجسام
مترتبة من مادة ومن صورة. فالصورة تتضمن حقيقة
الموجودات والمادة هي الشيء الذي تكونت منه الاجسام

العودة الى الله: تقابل حركة التسلسل، حركة أخرى

رجعية ففي كل شيء صدر من «الواحد» هو ميل قد يكون مبهما
أو مدركاً بذاته انه يعود الى ذلك الواحد. وهذا الرجوع الى
المصدر الالهي يحصل عن معرفة اذ ان لكل موجود كمال. وبهتين
الحركتين «الصدور والنكوص» أو الانبثاق والعودة يتجدد
العالم الحسي على التوالي فبحركتي الطرد والعكس تصدر الاشياء
من النقص الى الكمال فهي من الله والى الله تعود

أما الاقائيم الثلاثة الالهية فهوذا شأنها: النفس المنبثقة من

العقل تتجه دائماً نحوه . والعقل الصادر من الله الواحد يتحول نظره اليه . وقد قال افلاطون في الانبياء « التاسوع » الرابع ما يأتي : « تصور نقطة مركزية تحيطها دائرة مضيئة ويطوق هذه الدائرة دائرة أخرى مضيئة ولكن نورها مشتق من النور الاول . ثم يوجد خارجاً عن هاتين الدائرتين دائرة أخرى تبعد عنها ولكنها ليست مضيئة بذاتها بل تستنير بضوء آخر ليس منها .

ويستنتج من نظرية افلاطون ان الكمال أصل الوجود وكل موجود يميل الى الكمال فالعالم وجد للخير . أما الشر الذي نلاحظه في الكون فخصيره الى الزوال شيئاً فشيئاً طبقاً لسنة الترقى من الناقص الى التام

ولما كانت النفوس في مركز متوسط بين « العقل » وبين الاجسام فهي اما ان تحول نظرها نحو « المثل » فتعيش عيشة روحية . . أو تظل حائرة مترددة تتجاذبها الروح والمادة . أو ان تتحول شطر المسادة فتحل في الاجسام . ولذلك تكون النفوس على ثلاثة انواع . النوع الاول يتألف من النفوس السائية وهي التي تعيش « للعقل والله » فتظل على الدوام متمتعة بالسعادة الابدية بمشاهدة المثل والله الواحد ، والنوع الثاني يتألف من النفوس المكونة للملائكة والشياطين أي المنجذبة الى الخير .

والتي انجذبت الى الشر . أما النوع الثالث فهو يؤلف النفوس البشرية التي كانت في المبدأ سمائية ثم سقطت في الاجسام عقاباً لها على كبرياتها . بيد ان هذا التجسد عقاب وقتي فاذا نهضت النفس من كبوتها واتجهت بافعها لها شطر « الخير » أمكنها ان تحظى بالمشاهدة الالهية . فغاية الحياة اذن السعي للعودة الى هذا التمتع بواسطة تطهير النفس الساقطة ولذلك يجب ان تجرد ذاتها من الشهوات البدنية والاميال الحسية بممارسة الفضائل الاربعة : الاعتدال (العفة) والعدالة والشجاعة والحكمة . « انمض عيني جسمك وافتح عيني روحك تشاهد الجمال الازلي وتحفظ بالخير المطلق وبواسطة الانخطاف الروحي تتحد النفس بالله الواحد



٣٣ - فلسفة آباء الكنيسة

لم يؤسس المسيح مدرسة فلسفية بل ديناً يفوق الطبيعة البشرية . جاء الي العالم بحقائق لم تكن معروفة وفوق متناول العقل الانساني فثبتت وطهر الحقائق الكبرى اللامادية التي يستطيع الدهن ادراكها بنوره لو تأمل فيها . غير ان المفكرين القدماء كانوا مترددين فيها

تلك الحقائق هي اُحدية الله وتساميه ، واخلقية ، ونهاية العالم والتمييز بين النفس والجسد ، واخلود وما يتبعه من الثواب والعقاب . فنشأ عن ذلك بداهة فلسفة جديدة هي فلسفة آباء ودكاترة الكنيسة المسيحية

بيد ان هذه الفلسفة الروحانية كانت سلاحاً أعد للنضال عن الحقائق الموحى بها فاستعان الآباء به بحسب الظروف والحاجة ليصفوا العقيدة المسيحية من كل مزيج أو اختلاط بالهرطقات اليهودية والوثنية والبدع الدخيلة

ولهذا السبب لم ينتظر من أقوال ومؤلفات أولئك المسيحيين المفكرين عملاً واحداً منظماً كما كان الحال في العصر المدرسي بل كانت القضايا الفلسفية الصرفة تذكر عرضاً ضمن مؤلفاتهم الدينية

وفي مواضع متناثرة

وقد استعانوا بأقوال الفلاسفة الوثنيين وعلى الخصوص
بمؤلفات أرسطو وأفلاطون . والأفلاطونيين المحدثين .

والآباء طائفتان بعضهم كتب باللغة اليونانية والآخرون باللاتينية

الآباء اليونان ، بحث هؤلاء الآباء في القضايا العلمية وأولهم

يوسيتيموس الشريبر « ١٠٠ - ١٦٨ ق م » ولد في نابلس

بفلسطين وتبحر في المذاهب الفلسفية القديمة واعتنق زمنا ما
المذهب الأفلاطوني ولكنه لم يجد لنفسه راحتها الا في المسيحية

فاستنصر سنة ١٣٣ م . بيد انه عاش كفيلسوف أي متنقلا من

يلد لاخر بردائه القصير واستقلال الرأي وقد استعان بلقب محب

للحكمة ليناضل عن الدين المسيحي ولينشره تارة بخطبه العمومية

وطورا بكتابه

وانا لنذكر من بين مؤلفاته كتاب مملكة الله فبين فيه أحدية

الله مستشهدا عليها بالكتاب المقدس وبمؤلفات اليونان الاقدمين

وكتاب تقرير المسيحية الذي أرسله الى الامبراطور انطونيوس

الورع فدحض فيه المطاعن التي وجهت الى المسيحيين وفسر دينهم

القويم . ثم المحاورة التي دارت بينه وبين تريفون اليهودي امام

الحكم الغفير في أفسس

ومن ضمن أقواله التي وردت في كتاب التقرير المذكور

ان المعتقد المسيحي يعلمانا ان المسيح بكر الله فهو الكلمة أو
العقل الذي اشترك فيه الجنس البشري فكل من حاز هذه الكلمة
وهذا العقل كان مسيحياً ولو عدّه معاصروه جاحداً أو وثنياً
كهر اقليطس وسقراط

تيناوس Tatian

تلميذ القديس يوستينوس كتب رسالة الى اليونان انمى فيها
بالتقريع عليهم مخالفاً في ذلك معلمه وقد تناول لومه حكماء
اليونان القدماء . غير أنه انفصل عن الكنيسة بسقوطه في
البدعة الغنوثسية

أثناغورسي Athénagore

أثيني المولد هجر الفلسفة الوثنية واعتنق الدين المسيحي والف
كتاب مديح النصرانية وارسله الى الامبراطور مرقس اوريلوس
وكوموديوس .

٣٤ - الغنوثسية Gnosticism

الغنوثسية أو الادرية هي هرطقة الأجيال الاولى المسيحية
وغرضها مزج الفلسفة الشرقية واليونانية بالنصرانية واخراج

فلسفة مركبة من هذا المزيج والبحث الذي جعلوه مدارهم منشأ العالم . وسبب الشرور التي تظهر فيه . فقال ارباب هذا المذهب ان الانسان يمكنه التوصل الى المعرفة التامة وبها يحل كل القضايا فكلمة (غنوس gnose) معناها . اعرف أو ادري

واليك خلاصة هذا المذهب :

ان الله أبدي أزلي أي لا ابتداء له ولا انتهاء . وكما له فوق الادراك فلا يحصره وصف . وهو الأب مصدر الخير أما المادة مصدر الشر فهي أيضاً أبدية ووجدت بذاتها والله لا يعمل في المادة مباشرة بل بواسطة قوات عديدة وسيطة بينه وبينها وأعظم تلك القوات واكبرها : الابن الكلمة

والقوات قد تكون متصلة بالله أو منفصلة عنه وهي المعبر عنها في التوراة بالملائكة . وقال افلاطون انها «المثُل» ودعاها الرواقيون «العلل الفعالة»

وكثير من هذه القوات تدرت أجساماً بشرية . اما تعارض الواجب والارادة فينشأ من عدم الاتفاق بين الطبيعة الجسية والذات الجسماني . والفضيلة تكون في قهر التأثيرات الرديئة التي يؤثرها الجسم على الروح

أما الزهد فهو أكبر واسطة للتقوى اذا استعان بالمعرفة . اذا فارقت الروح الجسد فتلحق بالله في الحياة الأخرى . اما في هذه الحياة فلا يمكنها ان تتمتع بمشاهدة الله الا باتحاد وقي

بواسطة الانحطاف الروحي

هذا هو ملخص المذهب الغنوثسي الذي اتت اليه شيع كثيرة متباينة . وجوهر عقيدتها ان المسيح الكلمة جاء ليفتدي الملائكة الذين سقطوا بخطاياهم في الاجسام البشرية وفي هذا الفداء ينالون القربى من الله

وذهب البعض الى انه قام نزاع بين الله المتعالى وبين خالق الكون الذي مانع في عمل الفداء

وانصار هذا المذهب هم فلانتين (Valentin) وباسيليد (Basilide) . وكريوكراط (Carrocrate) . فقام مناوأتهم انداد اشداء في شخص القديس ايريناوس وفلاسفة مدرسة الاسكندرية المسيحية

أما القديس ايريناوس (St. Irénée) اسقف ايون فانه استشهد سنة ٢٠٢ ميلادية . الف سنة ١٨٥ كتابا دحض به المعرفة الكاذبة . وعلى الخصوص مزاعم الشيعة الفلانتينية

٣٤ - مدرسة اسكندرية المسيحية

صارت الاسكندرية في عهد الملوك المقدونيين مركزاً للعلوم اليونانية . بفضل مكتبتها ومتحفها الشهيرين كانت المدارس الفلسفية الوثنية محافظة على تعاليم فيلون وافتتح باسيلدس وكريوكراطس مدارس لتعليم المذهب الغنوثسي

فاضطرت الكنيسة للوقوف بازاء تلك المذاهب المناضلة عن
التعليم المسيحي كي تحفظ المنتصرين من عدوى الهرطقات التي
تفشيت . فقام فلاسفة المدرسة اللاهوتية المسيحية واطهروا من
البراعة ما افهم خصومهم

ويرجع عهد تأسيس هذه المدرسة الى مرقس الرسول واول
مديروها بسطس فاوما نيوس فركيانوس وبنتينوس واكليمنضس
واوريجانوس وغيرهم الى ان اندرست معالم تلك المدرسة في اواسط
القرن الخامس واليك اسماء مشاهير فلاسفتها :

بنتينوس Pantene

أصله من صقيليا كان رواقياً فتنصر ومات سنة ٢٠٠ م وتلمذ
له الاب اكليمنضس

تيطس فلرفيوس اكليمنضس T. Flavius Clement

ولد في الاسكندرية سنة ١٥٠ م من ابوين وثنيين ارضعاه
تلبان الفلاسفة الافلاطونية في اثينا غير انه لما لم يجد فيها الحقيقة
التاتي كان يصبو اليها طاف في طلبها بلاد اليونان وايطاليا وآسيا
لصغرى وفلسطين ومصر حيث التقى بالعلامة بنتينوس فتلمذ له
يارشاده واعتنق الديانة المسيحية . وحوالي سنة ١٩٠ سامه الاسقف

ديمتريوس الكرام ، قساً وسامه ادارة المدرسة اللاهوتية فظل
 يعلم فيها حتى مات سنة ٢١٥
 ولهذا الفيلسوف مؤلفات عديدة اهمها كتاب المربّي وكتاب
 من هو الغني الذي يخلص . وكتاب المتفرقات
 ولم يكن التعلم الديني عند الآباء الاسكندرانيين قاصراً على
 استظهاره على الوثنية والهرطقة بل كان أخص أغراضه تهذيب
 الاخلاق والسير بها في طريق الكمال وكانوا بذلك أكثر علماً
 ومعرفة وقداسة من غيرهم

أوريجنس (١٨٥ — ٢٥٥ م) Origene

ولد بالاسكندرية من والدين مسيحيين فتلقى مبادئ علومه
 على ابيه ليونيداس ثم استقرى دقائق الفلسفة ونبغ فيها بعد
 ان تلقنها عن الفيلسوفين القبطيين تيطس اكليمنضس وأمونيوس
 السقاص .

لقى اليه الاسقف ديمتريوس بابا الاسكندرية الثاني عشر
 مقاليد المدرسة اللاهوتية فأخذ يدأب في اعلاء شأنها فادخل
 الرياضة والطبيعة والفلك والموسيقى . ونظراً لشقاق حصل بينه
 وبين اسقفه في سنة ٢١٥ اضطر الفيلسوف الى هجر وطنه قاصداً
 قيصرية فلسطين فاستقبله اسقفها بكل اكرام . واسس في فلسطين
 مدرسة لاهوتية امها الكثيرون من طلاب العلم وتنصر على يديه

خلق كثير بينهم القديس غريغوريوس صانع العجائب
 وكان يقضي كل أيامه بالتعليم والارشاد حتى رقد رقاداً
 الاخير سنة ٢٥٥ في مدينة صور بفلسطين تاركاً مؤلفات عديدة،
 جزيلة المباحث أهمها كتاب المباديء ودحض مزاعم كلسوس
 وكان عالماً تقياً يتبع أقواله بأعماله فيصوم معظم الايام ولا
 يأكل الا ليدرأ عنه ألم الجوع وينام على الحذاء بغير غطاء ولا
 وسادة ويسير حافياً ويقطع نهاره في الوعظ والارشاد. ولبه في
 الدرس والعبادة. واذ تسلط عليه الخوف من فقد عفته خصى
 نفسه فراراً من التجربة

وفي مؤلفاته الفلسفية شرح بجلاء معنى التجلي الالهي وكيفية
 الخليقة مفنداً آراء افلاطون وارسطو والرواقين والمحدثين •
 كذلك فسر روحانية النفس وحرية الإرادة
 اما باقي الآباء فكانت تغلب عليهم الروح اللاهوتية اكثر من
 من الفلسفية ولذلك نكتفي بذكر بعضهم وهم

القديس انطونيوس (٢٩٦ - ٣٧٣)

اسقف الاسكندرية

القديس ياصبانيوس الكبير (٣٢٩ - ٣٧٩)

اسقف قيصرية قبادوكية

والقديس غريغوريوس النريزي (٤٢٨ - ٤٨٩)

كان اسقفاً لنريز في قسطنطينية . والقديس غريغوريوس
(٣٣٠ - ٣٩٦) اسقف نيسص بكبادوكيا وهو أخو
القديس باسليوس

جميع هؤلاء كانوا خصوم الأريوسيين

ثم القديس يوحنا فم الذهب (٣٤٧ - ٤٠٧)

اسقف القسطنطينية صاحب المواعظ الفلسفية الشهيرة

والقديس كيرلس بطريرك الاسكندرية (٣٧٦ - ٤٤٤)

الذي شجب البدعة النستورية

ودنيسيوس الأريوبانغي الف حجة كتب أخصها كتاب في
الامناء الالهية وكتاب في اللاهوت التصوفي ويستمد فلسفته من
الافلاطونية الحديثة وعلى الخصوص من فلسفة بروكلوس ومع
انه يؤكد في كثير من الاقوال ان الله مبدع الخلاق فاننا نراه
في كثير من الجمل المتفرقة يقول بالحلول المادي

٣٥ - الآباء اللاتين

أشهر هؤلاء الآباء : **ترتيانوس** ولد في قرطاجنه سنة ١٥٥
كان ملماً بالفلسفة والتشريع والخطابة اعتنق الدين المسيحي على
أثر مشاهدته صبر الشهداء واحتملهم العذاب والقديس كبريانوس
ولد أيضاً بقرطاجنه سنة ٢٠٠ واستشهد سنة ٢٥٨ على عهد
الامبراطور فلاريانوس وكان اعتنق النصرانية سنة ٢٤٦ ميلادية ثم
لكتنس (٢٥٠ - ٣٢٥) كتب ضد تعدد الآلهة وضد
الفلسفة الوثنية - و**فيلريوس** اسقف بواتيه بفرنسا (٣٠٠ -
٣٦٦) و**امبروسيوس** (٣٤٠ - ٣٩٧) أسقف ميلانو بإيطاليا
وأشهر هؤلاء الآباء في هذا العصر هو القديس **اغسطينوس**
(٣٥٤ - ٤٣٠) ولد في تاجست بنوميديا (بلاد الجزائر) من
أب وثني وأم مسيحية تدعى مونيكا
تعلم في قرطاجنه فنبغ غير انه ما لبس ان انغمس في المناسد
ثم ذهب الي روما فيلانو حيث التقى بامبروسيوس فتتلمذ له
بعد ان تنصر سنة ٣٨٧. ثم عاد الي هيونا (واسمها الآن بونا
في بلاد الجزائر) حيث سيم قساً على كنيستها فاستقفاً سنة ٣٧٠
واستمر فيها حتى مات
ومؤلفاته على نوعين أحدهما خاص باللاهوت والآخر بالفلسفة
وأخص مؤلفاته الفلسفية ثلاثة كتب ضد المذهب الافلاطوني

وكتاب في الحياة السعيدة وكتابين في النظام وآخر في خلود النفس
أما كتاب مدينة الله . والاعترافات . وحرية التصرف . فهي
مزيج من الفلسفة واللاهوت

كان القديس اغسطينوس متضلماً في الفلسفة اليونانية وكان
يفضل افلاطون على ارسطو . اما اكثر هيله فكان للافلاطونية
الحديثة ولافلاطون . وقد أخذ تعليمه عن مدرسة الاسكندرية
وقد طبق المذهب الافلاطوني على العقيدة المسيحية وأحسن
التطبيق وبذلك رزّل النظريات الخاصة بالحلول المصدري ،
وروح العالم وأبديته ، وتقمص الأرواح . وتمسك بنظريات
« محبة الحكمة والتعمق فيها » وبصفة الله الغير متناهية وأنه
مصدر الأشياء كلها باعتبار انه نور عقلي . ومحبه للموجودات
بفيض نعمته عليها

وساعدته النظريات الافلاطونية على ادراك معنى الخير والشر
وان الأشياء خيرات بالطبع والشر عرضي ، وهو حد للخير
وكان يسعى لمعرفة الحقيقة بذكاء مطبوع ورغبة حقيقية
لان الحقيقة في نظره لا تقصد للاستحسان فقط بل لا يثارها لذاتها
والعمل بها في كل وقت

ولهذا السبب كان المفكرون يعجبون بهذا الفيلسوف
ويحبذون نبوغه خصوصاً وأنه لم يكن لا متصوفاً صرفاً ولا متطرفاً
في إبحاثه فيما وراء المادة ، بل كان وسطاً بين هذا وذاك محكماً عقله

وشعوره باعتدال

فحبة الله ومحبة الحقيقة شعاره

* * *

انتشرت الديانة المسيحية انتشاراً عظيماً حتى اعتنقها امبراطرة
الرومان وأصبحت ديناً رسمياً للامبراطوريتين الشرقية والغربية
وظلت الفلسفة في نزاع وجدال حتى أصدر الامبراطور
يوستينانوس سنة ٥٢٩ م أمره بغلاق المدارس الفاسفية
ويعد هذا التاريخ حداً فاصلاً بين الفلسفة القديمة وفلسفة
العصور الوسطى التي سنتكلم عنها في القسم التالي



فلسفة العصور الوسطى

من الجيل الثامن الى السادس عشر

٣٦ - مقدمة

اذا كانت الحرية الفكرية شرطا اساسياً للفلسفة فيمكننا ان نقول انه منذ أمر الامبراطور يوستنيانوس سنة ٥٢٩ ميلادية حتى عصر النهضة في الجيل السادس عشر ، كانت الفلسفة في هدنة لان في هذه الفترة كانت البشرية خاضعة في الغرب للمعتقد المسيحي من الوجهة النظرية ، وتابعة من الوجهة الاخلاقية للنظام الكنائسي المؤسس على ذلك المعتقد

وكان ينبغي في تاريخ الفلسفة تخطي هذه الاجيال والبدء بالبحث مباشرة في الاسباب التي مهدت الطريق للفلسفة الحديثة ولكن من ذا الذي يقتنع بان الفكر الانساني ظل في وسن وهجوع طول هذه المدة ، فلم يبد منه أي يقظة أو نشاط ؟

ان من طبيعة الانسان « التفلسف » أي البحث عن الاشياء وعلمها وتفحصها وتفهمها فلا تقدر أي سلطة في الوجود ، حتي الدينية منها ، ان تقيد الفكر وتمنعه عن الانطلاق من عقاله ، هذا الى ان العقائد الدينية المحتمة على الجميع لم تكون

طفرة واحدة . أما يجب التمييز بين زمن تشكلت فيه وبين الزمن الذي تم فيه تكوينا وتسلطت على العقول والأذهان فحددت دائرة يقينية لا تتعداها معرفة بني الانسان !

ويطلق على فلسفة العصور الوسطى اسم الفلسفة الجدلية أو المدرسية ، لان التعليم كان يقوم به رجال الدين — وكلهم رهبان — في المدارس المتعددة التي أنشأوها بامر الامبراطور شلمان في مائتي اثناء فرنسا . فكانت تدرس فيها المذاهب الفلسفية التي كان مقرها بيزنطة وبعداد وقرطبة

وكان يطلق في القرون الوسطى لقب مدرس (Scholasticus) على كل أستاذ كان يعلم في مدرسة (Schola) وانتهى الامر الى اطلاق لفظ « مدرسي » على المعلمين اللاهوتي والفلسفي فقط وكانت أهم الصفات المميزة لفلسفة هذا العصر هي :

١ — تريبية : فكانت المذاهب الفلسفية الكبرى تطرح للنقد بحرية وتوضع لها الاجوبة بنظام

٢ — ديبية : بمعنى انها كانت تستعين بالعقل والدين لتبين ان العقيدة الدينية الموحى بها تتفق تماماً مع الحقائق البديهية العقلية ، ولهذا السبب دعيت الفلسفة خادمة للدين
Philosophia Ancilla Theologiae

الا ان خضوع الفلسفة للدين لم يكن قاصراً عليه بل بحثت الفلسفة المدرسية في جملة مسائل لا علاقة لها مباشرة.

بالدين المسيحي

٣ — فراضعة للمسلطة : ذلك لان الحقائق الدينية فوق متناول

العقل ولا يمكن معرفتها الا بوحي اهي فيجب اذن التسليم بصدقها
بغير جدال لان الموحى بها هو الله المعصوم عن الخطأ

يبد ان المدرسين كانوا يأتون بالبراهين العقلية المثبتة صحة
الوحي وصدقها ، وقد قال القديس توما الاكرويني . لا يعتقد
المؤمن الا اذا علم ما ينبغي ان يؤمن به

* * *

تمكن الانحطاط الاجتماعي والاخلاقي من الدولة الرومانية
ايما تمكن فاخذ الوهن يدب فيها في أوائل القرن الخامس للميلاد
فأخذت الام المتبربرة فرصة هذا الضعف وغزت تلك الامبراطورية
الغربية العظيمة فطغى عليها سيل القوط والوندال والسويفيين
والمغول والهون وغيرهم

وامتدت الغزوة حتى اطراف البلقان ، وظلت الامبراطورية
الشرقية قائمة وسط هذا المعترك تتنازعها الانقسامات الداخلية
زهاء عشرة أجيال حتى جاء دور اضمحلالها فسقطت تحت ضربات
محمد الثاني العثماني سنة ١٤٥٣ ميلادية

وفي هذه الاثناء أخذت تتكون أم جديدة فظهرت في
أوروبا دول فرنسا وانكلترا والمانيا وايطاليا واسبانيا من هذا
الاختلاط والاضطراب

بيد اننا نتكلم الآن عن العصور الوسطى اذ كانت الحروب
 منتشرة والممالك متفككة الاوصال والاقطاعات مختلفة ومتعددة
 والحروب الصليبية متتابعة والمجبودات مبدولة لتكوين الدول
 . بينما كل ذلك يجرى في العصور الوسطى بقيت قوة واحدة
 قائمة في هذا المعترك ، تلك القوة المعنوية التي اعترفت بها أوروبا
 وخضعت لها الامم المتبريرة على التعاقب هي (الكنيسة) اذ حافظت
 على التقاليد الرومانية كما احتفظت في الاديرة والمدارس الاستقفية
 على التعليم الفلسفي القديم مع ما لحقه من المسخ والتحريف
 غير ان ذلك لم يمنع من مجيء اليوم الذي صار فيه احياء ذلك
 التعليم والنهوض به الى ذروة المعرفة والنظر الصحيح
 وانا لذا كرون من اشتهر من الفلاسفة الذين مهدوا السبيل
 الى الفلسفة المدرسية وفتحوا لها الباب الذي ولجت منه

بوس (٤٨٠ - ٥٢٥ م) Boece

كان قنصلاً رومانياً فوزيراً للملك تيودوريك ملك القوط
 ولكن بعض حساده اتهموه ظلاماً بالتآمر ضد الملك فأمر
 هذا بسجنه

كان منذ شبابه يتردد على مدارس أثينا الفلسفية فتضلع فيها
 كما يفهم من مؤلفاته التي كانت مصدراً عزيزاً استقى منه الفلاسفة
 المدرسيون معرفة الآراء المشائية والإفلاطونية والرواقية

والفيثاغورية والاغسطينية

وقد ترجم كتابي اساغوجي لفرفور يوس ، وارغانون في المنطق لارسطو . وألف كتاب الوحدة والواحد وكتاب التعازي الفلسفية وهذا الاخير ألفه وهو في سجن تسنوم ويتضمن فبحث في العناية الربانية والصالح الالهي

كسيودور (٤٨٠ - ٥٧٥ م) Cassiodore

كان أيضاً قنصلاً فوزيراً لتيودريك الملك ونائلاً رضاه وبواسطته تمكن من الاطلاع على العلوم الادبية والعقلية ولما بلغ الستين من عمره رحل الى وطنه كلايريا والشأ دير قسيسه النبي صار تحت ادارته مؤثلاً للعلوم وعلى نسقه أنشئت حجة أديرة يرجع اليها الفضل في نشر المؤلفات الوثنية والكنائسية وله عدا عن مؤلفاته التاريخية واللاهوتية كتاب في النفس استمد آراءه فيها من مذهب القديس اغسطينوس ، ثم كتابان أحدهما يدعى الثالوت (Trivium) ويبحث في النحو والمنطق وعلوم البلاغة والثاني دعاه الربوع (Quadrivium) ويتضمن الحساب والموسيقى والهندسة والفلك

أيزيدور (٥٧٠ - ٦٣٣ م) Isidore

ولد باشبيليا احدى مدن الاندلس وهو والاثنان السابق

ذكرهما يعدون معلمي الغرب في ذلك العصر
وأشهر مؤلفاته كتاب جامع لشتات العلوم المعروفة في ذلك
العهد. وقد أنشأ في اشبيليا مدرسة كانت مثالا للكثير غيرها

* * *

٣٧ تقسيم لعرا العصر : ينقسم تاريخ الفلسفة

في العصور الوسطى الى اربعة مدد :

﴿ المدة الاولى ﴾ تكوين الفلسفة الفلسفية من الجيل الثامن

الى الجيل الثاني عشر

﴿ المدة الثانية ﴾ العصر الذهبي المدرسي في الجيل الثالث عشر

﴿ المدة الثالثة ﴾ انحطاط الفلسفة المدرسية من بدء الجيل

الرابع عشر الى منتصف الجيل الخامس عشر

﴿ المدة الرابعة ﴾ عصر النهضة من نصف الجيل الخامس عشر

الى آخر الجيل السادس عشر

وقد اراد بعض المؤرخين ان يقصر الفلسفة المدرسية

على الجدال الذي قام بشأن قضية الكليات الخمسة

Les Universaux

وهذا الحصر غير صائب لان الفلسفة المدرسية بحثت في

كثير من القضايا التي لا علاقة لها بالكليات

ومما لا جدال فيه ان هذه القضية الاخيرة كانت أهم ابحاث
فلاسفة العصور الوسطى وهى جديرة بذلك لانها أصل التكوين
الفكري الذي شغل الفلاسفة المتقدمين تحت نظرية « المثل »
ثم عادت الى بساط البحث في العصور الحديثة تحت اسم « قيمة
المعرفة »

المدة الاولى

٣٨ - تكوين المدرسة الفلسفية

توصف هذه المدة بأنها مجهود كبير لتوضيح المذاهب التي تكونت منها فلسفة الجيل الثالث عشر ، فقد دارت ابحاث كثيرة شاقة لتمهيد واعداد هذا العمل التكويني العظيم . فظهرت آثار الآراء الفيثاغورسية والرواقية والايقورية والافلاطونية الحديثة والفلسفة العربية في هذه المدة مدة الاختار

ولكن النظريات الافلاطونية والاغسطينية كانت اكثر المذاهب تأثيراً ماعدا المنطق فكان فيه لارسطو القدر المعلي وكانت المسائل الدينية سبباً في ظهور كثير من القضايا الفلسفية

مرت بعض أجيال والجهل متفش والافكار جامدة غير ان الفلسفة وجدت من نفخ فيها روح الحياة من جديد . فلما أمر الامبراطور شلمان بتأسيس المدارس وصرح للقساوسة بالتعليم في الاديرة ، قام الكوين Alcuin (٧٣٥ - ٨٠٥) وشمر عن ساعد الجد وأخذ يلقي دروسه في دير يورك أولاً ثم في دير سان مرتين بطورس . وهو الذي أحى الفلسفة في فرنسا والماليا

ثم جاء بعده . تلميذه رابان مور (٧٢٦ - ٨٣٦)
 Raban Maur فصار على مثال أستاذه وبدأ حياته التعليمية في
 دير فلده ثم عين رئيساً لهذا الدير فمطراناً لمدينة ماينس
 أما مصنفه De Universo (الجامع) فكان عبارة عن دائرة

معارف القرون الوسطى

أخذ عن لوكريس نظرية « الجواهر الفرد » وطبقها على الدين
 المسيحي وعلم بمذهب الاعتقاد معارضاً بذلك مذهب الراهب
 جتشلوك Gottschalk الذي يقول ان الانسان مجبور في كل شيء
 وانه مسخر في الخير والشر بالقضاء والقدر
 ولكن أعظم أولئك الفلاسفة واكبرهم شهرة هو بلا مراء

سكوت اريجانس J. Scot Erigene

ولد في أوائل الجيل التاسع وربما كان ذلك في أرنندا أو في
 إحدى الجزر البريطانية

استدعاه الي فرنسا الملك شارل الثاني ليكون مديراً لمدرسة
 قصره وأخذه تحت رعايته ودفع عنه الخطرات التي كانت تعرضه
 لها أراؤه الحرة

وأغلب مؤلفاته فقدت على اننا نفهم من كتابه انقسام الطبيعة
 Divisione Naturae الفلسفة القديمة وعلى الخصوص الافلاطونية

الحديث

لم يكن هذا الفيلسوف ملماً باللغة اللاتينية فقط بل وباليونانية
وربما بالعربية أيضاً . وقد استقى تعليمه من كتب الفلاسفة
القدماء .

فإنه في نظره مبدأً وغاية كل موجود . وكل شيء يكمل تبعاً
لدرجة قربه أو بعده من كمال الله التام الفائق الوصف الذي يحل
في الطبيعة بمعنى أنها اجزاء منه واليه ستعود
فيظن من ذلك ان مذهبه حلوي تصوفي يعاثل مذهب
مدرسة الاسكندرية

أما جيربرت Gerbert

فانه ولد في اوفرنيا عام ٩٣٥ . كان مدرساً في بلاط الملك أوتون
الاول ثم في مدارس ريمس وباريس . وبعد ان ترقى الى جملة
رتب كهنوتية انتخب حبراً أعظم باسم سلفستر الثاني
سنة ٩٩٩

اندهش المعاصرون له من كثرة معارفه وعلومه فلقبوه
« البابا الفيلسوف » وقد استقى فلسفته من اسبانيا عند مرافق
الكونت دي برشلونه الى تلك البلاد
وكانت في ذلك الوقت جامعات الاندلس وعلى الخصوص
جامعة قرطبة زاهرة والعلوم فيها مشعة والمعارف ناضجة

واليه يرجع الفضل في الحصول على جملة مؤلفات عربية من بلاد الاندلس فترجمها الى اللاتينية وكانت سبباً في اطلاع علماء ذلك العصر على فلسفة ارسطو

ثم ترجم جريرت كتب المقولات العشرة والتأويل ، وفسرها في مدرسة ريمس . ثم له أيضاً شرح كتاب اساغوجي لپورفيروس

ولم يكن يهمل شيئاً في التعليم بل كان يحث تلاميذه على درس علوم واداب الاقدمين والتمعن فيها وتفهم معانيها : وظل دائماً على نشر المعارف الى ان انتقل الى جوار ربه عام ١٠٠٣ ميلادية

والذي عرف بعده الاب لفرنك رئيس دير « بك » بنور منديا فطرانا لكونتري ومات سنة ١٠٨٩
غير ان الذي أخلفه في هذه الرتبة الكهنوتية هو القديس

أنسلم (١٠٣٣ — ١١٠٩) Anselme

فقد اظهر نبوغاً فلسفياً حقيقياً وهو مؤلف « البرهان الكوني لاثبات وجود الله بادلة وجود الكائنات

ولد هذا الفيلسوف في أوست بايطاليا من عائلة شريفة . تلقى العلم على مواطنه لثفرنك وقد رقي مطراناً لكونتري خلفاً لاستاذه سنة ١٠٩٣ ومات سنة ١١٠٩ بعد ان قضى حياة مملوءة

بجد الاعمال والفضائل

كان من أهم اغراضه توفيق الرابطة بين العقل والايقان
واقناع الجهلاء بصحة الدين براهين بسيطة جداً وفي أهم
الوضوح

وفي كتابه تأملات في العقل بطريق الايمان *Monologium*
sive exemplum Meditandi de ratione fidei

أثبت فيها وجود الله باعتبار انه علة كل موجود وهو الكمال
الذي يرشدنا اليه نقص هذا الكون

وفي الكتاب أثر من الفلسفة الافلاطونية التي نقلها عن تعليم
القديس اغسطينوس . كذلك توجد فيه بعض آراء تشير الى مذهب
الحلول بطريقة مبهمه وكانت سببا لاغلاط كثيرين من الفلاسفة
في ذلك العصر الذين حاولوا اثبات وجود الله وخلقته للعالم من العدم
ex nihilo

وانا لنجد في كتابه الثاني *Prosologium* برهانه الشهير الذي
ظن انه عثر عليه بشارته في التأمل وألهمه الله به أيام الصوم الكبير
قال اننا نتصور الله انه اكبر الكائنات واعظمها وجوداً
ens realissimum فان لم يكن موجوداً فاي كائن يوجد يكون
الاعظم والا كبر وهذا لا يسلم به العقل فينبغي الاعتقاد بوجود
الله بدليل تصورنا انه أعظم الموجودات واكبرها
وقد أخذ عنه ديكرت وليبتر في العصور الحديثة هذا

البرهان وتقعاه بعض التنقيح الى ان جاء كانت الالماني واظهر
خطأ هذا البرهان من حيث صيغته

غير انه قبل ان يولد كانت بسبعة أجيال أي في نفس الزمن
الذي ظهر فيه الكتاب المذكور ، قام الراهب جونيلون من دير
مرموتيه بالقرب من مدينة تورس ودحض ذلك البرهان في كتابه
المسمى « كتاب للجاهل » Liber Per insipiente أثبت
فيه ان الوجود ليس دليلاً على عظم الشيء ولا هو برهان على ان
الموجود أعظم مما ليس موجوداً ، اذ لا يوجد ارتباط بين الكائن
والمتصور الا كما توجد علاقة بين الوجود والعدم
وكان القديس أنسلم متشيعاً لمذهب الواقع في الجدل الذي
قام بين الصاره وبين الاسمين



٣٩ - الاسميون والواقعيون

ما هو هذا الجدل الذي شغل فلاسفة الجيل الثاني عشر
ومهد العصر الذهبي للفلسفة المدرسية ودعي في التاريخ باسم
جدال الاسمين والواقعيين nominalisme et realisme
ان مقدمة فورفوروس على كتاب قاطيفوريوس (المقولات)
التي ترجمها بولس الى اللاتينية كانت الكتاب الوحيد الذي
عرفت منه الفلسفة القديمة في ذلك الحين . والمطالع فيها يجد ضمن

سطورها هذه الجملة :

« لست يباحث فيما اذا كان للاجناس والانواع وجود في ذاتها »
« أو هي تصورات مجردة . وفي حالة ما اذا كان لها في الواقع »
« وجود ، هل هي أجسام أم لا ، او ان وجودها قائم بذاته »
« بدون توقف على المحسوسات من الاشياء أو متوقف عليها ؟ — »
« فالبحث في ذلك من اصعب الامور ويتطلب مناقشة طويلة »
ليست من أغراض هذا الكتاب !! »

وجد الفلاسفة المدرسيون في هذه الجملة مسألة تشوقوا
لحلها . فهم — على غير علم منهم — اعادوا كرة البحث في نفس
القضية التي فرقت بين افلاطون وارسطو ، وهي مظهر آخر من
الجدال الادبي الذي يوجد الآن بين العقليين والتجريبيين

فالكليات Les Universaux وهي معاني الاجناس والانواع
إما ان تدل عليها أسماء عامة أو خاصة وينبغي معرفة ما اذا كانت
هذه الاسماء تدل على حقائق واقعية تحتذيها الاشياء الخاصة او
انها مجرد معان يستنبطها الذهن ؟

هل يوجد مثلاً — كما كان يزعم افلاطون والواقعيون مثال
انسائي في للعالم العقلي تنطبق عليه معنى الانسانية والانسان بغير
مراعاة الأشخاص الذين يندمجون في هذا المعنى الكلي . أو انه لا
يوجد في الواقع سوى أشخاص الناس كزيد وبكر وعمرو .
وعقارتهم يتكئون في ذهننا معنى الانسان والصورة الانسانية ؟

لا مرء ان المعرفة غير ممكنة الا اذا كانت هذه المعاني الشاملة
توجد من قبل وليس من موضوعها سوى الصفات العامة
للموجودات التي تبحث فيها . وان هذه المعرفة لتتوه في تفصيلات
لا نهائية اذا بحثت في الافراد مستقلة بذواتها
ولكن هل من الضروري : لكي تكون المعرفة ممكنة ،
ان توجد نماذج (مُثُل) واقعية ؟ الا يكفي ان تكون في
ذهننا صور عامة

يدعى أصحاب مذهب الواقع ان « الكليات » حقائق واقعية
وليس للاشخاص الفردية وجود فعلي الا بمشاركتها في الجوهر
وبذلك تكون الكليات سابقة للاشياء في الوجود

Universalis ante rem

اما الاسميون فبالعكس يذهبون الى ان الكليات ليست
سوى الفاظ مجردة فلا يوجد حيوان عام او انسان عام بل
الانسانية أو الحيوانية لا تدرك الا بعد وجود افرادها

Universalis Post rem

فوقف التصوريون Conceptualistes بين في هذا الجدل
وقالوا ليست الكليات لا قبل ولا بعد الاشياء وانما هي موجودة
في ذات الاشياء

وحقيقة الامر لا يتميز التصوريون عن الاسميين لان المعاني
الكلية اما ان تكون جواهر للاشياء ، وما الافراد الا اعراضا

لها ، واما ان تكون للاشياء صفات متشاركة والفكر يفرق بين
عزادها ليكون منها المعنى العام الكلبي

هذه هي قضية الموجود التي شغلت الفلاسفة الاقدمين
وازدادت صعوبة في العصور الوسطى نظراً لوجود الاديان السهاوية
فاذا اتى الفلاسفة الى مذهب الواقع مع كل ما يترتب عنه
بداهة ، ادى الحال بهم الى التسليم بالحلول أي بذلك المذهب
الذي يمزج الله بالعالم ويؤله الكون معتبرين المخلوقات أعراضاً
وصفاتاً للجوهر الالهي . والكنيسة تعد ذلك تجديفاً وتشجب
القائلين به .

وأول مؤسس لمذهب الاسمين هو راهب من كومبيان يدعى

روسلين Roscelin

ولد في اواسط الجيل الحادي عشر ومات سنة ١١٢١ ويقال
انه علم مذهبه في باريس على جبل القديسة جنيفياف أو في حظيرة
كنيسة نوتردام . ولكننا لا نعلم شيئاً عن تاريخ حياته ولم يبق
من كتبه سوى خطاب ارسله الى ابيلا ردرس

كان يزعم ان الالفاظ « الكلية » لا معنى لها وقد اراد تطبيق
نظريته على سر الثالوث فتصدى له القديس انسلم وغيليوم دي شبرو
ونسفها رأيه . وحكم عليه بجمع سواسون الاكليريكي بالشجب

اما غليومس ري شامبو G. de Champeaux

فولد بالقرب من ملون سنة ١٠٧٠ وتلقي العلم أولاً على القديس السلم في لاون ثم على روسلين في كبيان . وصار استاذاً لكاتدرائية نوتردام سنة ١١٠٣ وأخيراً سيم اسقفاً لمدينة شالون وتوفي بها سنة ١١٢٠

الف جملة كتب منطقية لم يتصل اليها ولا واحد منها ولم تقف على مذهبه الا من مؤلفات تلميذه ابيلاردس وخصوصاً من كتاب « الاجناس والانواع » De Generibus & de Specibus

واليك خلاصة رأيه ملخصة عن ذلك الكتاب

قال : ان لكل جنس جوهرأ واحداً مماثلاً في جميع الافراد وما الافراد الا تعديلات عرضية للنوع والنوع تعديل عرضي للجوهر الجنسي . — فمثلاً لا يوجد حقيقة الا حيوان واحد عام .

فقام ابيلاردس ودحض هذه النظرية المؤدية الى الحلول . وقال باستحالتها كما يأتي :

« اذا كان كل انسان هو كل النوع الانساني . فهذا النوع باكله يوجد في سقراط الذي في روما ويوجد في افلاطون الكائن بأثينا . فاذن سقراط المحتوي على كل الجوهر البشري يكون

موجودا ايما وجد ذلك الجوهر أي يكون في وقت واحد في روما وفي أثينا وهذا محل

وقد اضطر دي شمو سنة ١١٠٨ الى التخلي عن وظيفة التدريس في نوتردام . وبعد ان كان يقول بان الواقع يوجد في كل شخص بدون فرق انتمى أخيراً لمذهب مناظره ابيلاردس من ان الجواهر متعددة ولو انها متشابهة في الاشخاص

و بطرسه ابيلاردس (١١٤٢ - ١٧٨) P. Abelard

ولد في ضواحي ننت وتلقى العلم على روسلين رئيس حزب الاسمين ثم على غليوم دي شمو زعيم الواقعيين المتطرفين وما كاد يبلغ الثالثة والعشرين من عمره حتى فُتح مدرسة في ميلون سنة ١١٠٢ ثم انتقل الى كويل وأخيراً رحل الى باريس لينظر استاذة دي شمو المقيم في دير سان فيكتور واخمه بحجة حتى عدل عن مذهبه الواقعي

وانشأ مدرسة سنة جنيف وليكنه تركها بعد قليل من الزمن وبعث شطر «لاون» ليجادل القديس انسلم . بيد ان جرأته هذه لم تجده نفماً فطرد من لاون فعاد ثانية الى باريس سنة ١١١٣ وكان عمره اذ ذلك ٣٤ عاما فتنظر على مدرسة نوتردام وكانت شهرته ذائعة فالتف حوله عدد عظيم من التلاميذ من كل الجهات الاوروبية حتى ان الفنادق لم تكف لايوائهم . وقد سيم من تلاميذه

أكثر من خمسين اسقفا وتسعة عشر كرديناالا وانتخب احدهم
حبراً اعظم باسم سلسطين الثاني

ولما رأى ابيلاردس ان صيته اشتهر عقد صالة غرامية مع
هيلويز ابنة أخى الراهب فلبت الا ان هذه الحال لم تستمر
طويلا اذ حبر على الفتاة في دير ارجنتيل وترهب ابيلاردس في
صومعة سان دنيس ثم عاد الى التدريس مخالفاً بعض التعليم
المسيحي فحكم عليه مجلس سواسون سنة ١١٢١ وصار يتنقل من
دير الى آخر الى ان عاد سنة ١١٣٦ مدرساً في مدرسة القديمة
جنفيان كما كان قبلاً . ولكن الكنيسة لم ترض عن تعليمه فالتأم
مجمع اكيريكي في سنس عام ١١٤٠ وخطأه في ١٩ مسألة فاستأنف
حكم المجمع امام الحبر الاعظم بروما وبينما هو قاصد اليها ليؤيد
دعواه بلغه في الطريق تصديق البابا على الحكم فنكص على اعقابيه
فاضافه احد الرهبان واستكتبه اقرارا بنبذ التعاليم المضادة
للكثلكة وقضى الا شهر الباقية من حياته في عزلة نادماً على
خطاياہ مستغفراً ربه حتى مات في شهر ابريل سنة ١١٤٢ بالغا
من العمر ٦٣ عاماً

ومؤلفاته على قسمين : (١) لاهوتية وهي كتاب اللاهوت

وكتاب في وحدة الله وآخر في الثالوث ورابع في الايجاب
والسلب (Sic & Non)

(٢) فلسفة — منها كتب محاورة بين مجتهد ويهودي ومسيحي
وآخر في المنطق . وتعليقات على ارسطو وفرغوريوس ثم كتاب
في الاجناس والانواع قال فيه : ان المثال العام لا يوجد الا في
الذهن كصورة . اما الجوهر ففي الاشياء ذاتها . والخواص المشتركة
في جميع اشخاص النوع الواحد هي أصل المثال العام . والفكر
لا يتكرر هذه الخواص المتشابهة وإنما يجدها في ذات الاشخاص
فيستخلصها بتجريدها من صفاتها الذاتية وما يتبقى بعد ذلك
يكون المثال العام

وكان في فلسفته يمزج اللاهوت ويحاول إقامة البراهين العقلية
على صحة الاسرار المقدسة

وهو الذي رقى الطريقة المدرسية الجدلية وحبب الى الناس
دراسة الفلسفة لذاتها . وكان في كل قضية اختلافية يذكر البراهين
التي تدحضها والحجج التي تؤيدها بدون ان يستخلص نتيجة
تاركاً الحكم لفكر الانسان

وينكفينا ان نختم هذا الفصل باسمي جلبرت دلاً

بومبر (١٠٧٦ — ١١٥٤) Gilbert de la Porrée

و بومبره لومبارد Pierre Lombard

فالأول ولد في بواتيه وسيم على هذه المدينة استقفاً وهو
أحد تلاميذ أنسلم وكان حائزاً لشهرة جديدة بعالم مثله . كان مذهبه
واقعي وقد أراد تفسير العقائد المسيحية تفسيراً فلسفياً فسقط
في الخطأ واضطر لتعديل رأيه عملاً بإشارة القديس برناردس .
أما الثاني فكان تلميذاً لاييلاردس ويظهر انه أراد تنقيح كتاب
الايجاب والسلب فعدل الجزء الخاص بالايجاب . وقد جمع في
كتابه « المواعظ » أهم الحكم التي ألفها علماء الكنيسة تقریظاً
للدين المسيحي وكان هذا الكتاب سبباً في منح لمبارد المذكور
لقب استاذ المواعظ . ومصدراً لشهرته حتى أنه تعين مدرساً
للاهوت في باريس وانتخب استقفاً لهذه المدينة وفيها توفي
سنة ١١٦٠ ميلادية

فلاسفة العرب

من الجيل الثامن الى الثاني عشر



خصصنا هذا الفصل لفلاسفة العرب ولم نقل للفلسفة الإسلامية لأنها ليست سوى استعارة عن اليونان وكل فضل العرب في هذا الصدد أنهم كتبوا وترجموا الفلسفة الإغريقية إلى لغة الضاد (يراجع كتاب تاريخ اللغات السامية للمسيو رينان) وجاء في دائرة المعارف الفرنسية الكبرى : ان من يعرف الإسلام حق المعرفة يستبعد وجود الفلسفة بجانب الدين الإسلامي الخفيف لأن العلماء الذين اعتنقوا الفلسفة كانوا مضطهدين من رجال الدين والفقهاء وعامة المسلمين ، ولذلك يمكننا القول ان الفلسفة لم تظهر في حياة العرب الا كحادثة عرضي سريع الزوال اتهم الفلاسفة بالكفر والزندقة فاضطروا الى التستر وتأليف الجمعيات السرية كجمعية اخوان الصفا الذين كان غرضهم منها تطهير الشريعة الإسلامية مما تدنست به من الجهالات واختلطت بالضلالات ولأن الفلسفة حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وانه متى انتظمت الفلاسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال ! (رسائل اخوان الصفا)

ومع ذلك ففي العصر العباسي وعلى الخصوص في أيام

المأمون (٨١٣ - ٨٣٣ م) والمتوكل (٨٤٧ - ٨٦١ م)

أخذ السريان في ترجمه علوم اليونان على اختلاف أنواعها وعلى الخصوص كتب الفلاسفة فظهرت ترجمات لمؤلفات أرسطو وشروحات لفلسفه الاسكندرية وإيساغوجي فرفوريوس ورسائل أسكندر الأفروديسي

وكان الخليفة المأمون الشأ سنة ٨٣٢ م مكتبا لترجمه

برئاسه حنين ابن اسحق *Johannitius*

وأول مدرسه عقلية كانت للمعتزلة ظهرت وقتا قصيرا كما أن أقدم فلاسفه العرب هو يعقوب الكندي ثم اشتهر الفارابي وابن سينا والغزالي وابن باجه وابن طفيل وابن رشد واليك نبذة عن كل واحد منهم

يعقوب الكندي :

ولد في اواخر الجيل الثامن ويتصل نسبه بملوك كنده وقد دعي فيلسوف العرب لانه عربي صميم وكان معاصرا للمأمون والمعتمد والمتوكل وله عندهم منزلة سامية برع في الطب والفلسفه والمنطق والاحسان والهندسه

وطبائع الاعداد وعلم النجوم
 نبغ وليس في المسلمين فيلسوف غيره ، هذا في تأليفه حذو
 ارسطو وله ترجمات عديدة ذكرها كتاب (تاريخ التمدن الاسلامي)

الفارابي (٢٦٠ هـ - ٣٣٩ هـ) Al Farabi

هو ابو نصر محمد بن طرخان ابن اوزلغ ولد بالفاراب من
 أعمال خراسان حوالي سنة ٢٦٠ هـ (٩٤٩ م) وتوفي بدمشق
 الشام سنة ٣٣٩ هـ كان في أول امره ناظوراً في بستان بدمشق
 وكان يشتغل بالحكمة في الليل على ضوء قنديل حارس البستان ثم
 تلقى على يوحنا ابن جيلان في أيام المقتدر فاخذ عنه المنطق فبرع
 فيه واستمر كذلك مدة حتى عظم شأنه وظهر فضله فقربه
 الامير سيف الدولة التغلبي واكرمه كثيراً فخطمت منزلته عنده.
 وكان له مؤثرا

مؤلفاته - كانت اكثر تصانيفه في رقايع ولم يصنف في
 الكراريس الا القليل . شرح كتاب المجسطى لبطليموس واكثر
 كتب ارسطو وله كتاب السياسة المدنية والسيرة الفاضلة وكتاب
 الموسيقى والمبادئ الانسانية

(فلسفته) كانت حاوليه على مثال محدثي الافلاطونيين .
 وهو أول من قال بنظرية العقل الفعال وانه جوهر منفصل عن

المادة - وتجد آراءه الفلسفية في كتاب المدينة الفاضلة .
وعيون المسائل



- ٤١ -

ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٦ م)

ويدعوه الأفرنج Avicenne

هو أبو علي الحسين ابن عبد الله بن سينا البخاري المشهور
بالشيخ الرئيس ولد في قرية خرمين سنة ٢٧٠ هـ كان من صغره
سريع الذكاء نادرة عصره .

انتقل به أبوه الى بخارى وهي يومئذ حافلة بالعلماء في زمن
نوح ابن منصور من ملوك الدولة السامانية .

حفظ القرآن وأخذ يقرأ الفقه قبل ان يتجاوز العاشرة من عمره
ولم يدرك السادسة عشر حتى تعلم المنطق والهندسة والطبيعة
والفلسفة والطب ثم تفرغ للتوسع بهذه العلوم وكان يجي الليل
في الدرس والبحث .

واتفق ان نوحاً المذكور مرض فذكر له ابن سينا فاستقدمه
اليه فبريء على يديه فقر به اليه . وكان عند نوح مكتبة نادرة

المثال فاستأذنه في دخولها فاذن له فدرسها ووعى زبدتها . وأخذ
في التأليف وهو في الحادية والعشرين من عمره وارتفعت منزلته
وتولى بعض مناصب الدولة وتنقل في بلاد خراسان وهو موضع
الاعجاب ومصدر الاستفادة

ومرت به طوارئ مختلفة وقاسى ما يقاسيه طالب العلى من
العذاب، والملوك مناظروه او مريدوه . وكان قوي القوى كلها
جسداً وعقلاً لكن شهواته البدنية كانت غالبية عليه فآثرت في
عزاجه حتى اماتته بهمدان سنة ٤٢٨ هـ وهو في الثامنة والخمسين
من عمره .

(مؤلفاته) تربوا عن المائة مصنفاتها كتابه الطي القانون
وفي الفلسفة كتاب الشفاء ومختصره كتاب النجاة وتوجد مجموعة
من كتبه في مكتبي اكسفورد . وليد .

فلسفة ١ - في المنطق شرح كتاب ارسطو وكان جل
اهتمامه بالتحديد والحكم وقد سار الفلاسفة المدرسيون في
الجيل الثالث عشر على طريقته في تقسيم العلوم الفلسفية
٢ - في علم النفس : قال ان في الانسان خمسة عقول
وهي القوة الفكرية المادية التي توصل الانسان للمعرفة المطلقة ،
والعقل الممكن المتضمن للحقائق البديهية الاولى ، والعقل المنفصل
المستفاد أي الفاعل ، والعقل السليم وهو الخاص بصفة من الناس

يؤدي بهم الى التصوف الديني (يراجع فصل القوة النظرية
ومراتبها من كتاب النجاة)

وقد استنكر ابن سينا نظرية التناسخ ولم يسلم بان النفوس
لها وجود قبل ان تحل في الاجسام ويسلم بخلود النفس
وروحانيتها .

٣ - فيما بعد الطبيعة : كان جل اهتمامه مسألة منشأ
الموجودات فقال بصدورها من الله أي من العقل الكامل (عقل
المعقول) والخير المطلق وعلة الملل .

والعلة الاولى تعرف انها اول الوجود ويتولد عنها عقل هو
الاول الذي يتلوه . ثم يتلوه عقل وعقل وتحت كل عقل فلكن
وصورته التي هي النفس وهكذا يصير التدرج نازلا على سلم
الافلاك حتى ينتهي الى العقل الفعال الذي يدبر أنفسنا
وبعد ان اوضح ابن سينا كيفية صدور الافلاك شرح أيضاً
حركتها بانها اثر للعلة الغائية التي هي الله الخير المحض . فهو يجذب
النفس العاقلة لكل فلك .

والعقل الفعال intellect Agent

هو المصدر الذي تبعث منه ، بواسطة الحركات السماوية ،
النفوس البشرية وباقي الصور الجوهرية التي يجب على المادة الارضية
ان تقبلها لتحل فيها

والمادة في نظره غير حادثة بل ازلية — وسلم أيضاً بنظرية
ارسطو في العلل الاربعة وفي قضية الكليات
ويوجد في فلسفته أثر من آراء محدثي الافلاطونيين الخاصة
بالحلول وبالميل الديني

-٤٢-

الغزالي (١٠٤٨ - ١١١١ م) Al Gazali

هو ابو حامد ابن احمد . ولد بطوس من أعمال خراسان
سنة ٤٥٠ هـ ومات بها سنة ٥٠٥ هـ أي بالغاً من العمر ٥٣ عاماً
بعد ان مثل دوراً مهماً في الحركة الدينية والفلسفية في عصره .
بدأ يدرس العلوم الدينية على العلامة احمد الرازقاني وأنها
في نيسابور حيث تلقى علم الكلام على امام الحرمين فأتقنه وبرز
فيه على اقرانه ولما مات استأذنه تخرج من نيسابور الى العسكر
والتقى بنظام الملك الوزير الساجوقى فآكرمه وسهل له سبل
العيش فعينه مدرساً في نظامية بغداد ، وهي الجامعة الشهيرة التي
تأسست سنة ١٠٥٧ وكان هم الغزالي اذذاك ٣٣ سنة . وقد ذكر
في كتابه المنقذ انه كان يلقي دروسه على ثلاثمائة طالب
ولما هاله أمر المفكرين الاحرار كتب في الدفاع عن الدين
الاسلامي ، مؤلفاته الثلاثة : احياء علوم الدين . ومقاصد
الفلاسفة ، وتهافت الفلاسفة
وكان له ميل شديد للتصوف الديني فترك مهنة التدريس

سنة ١٠٩٥ وودع مظاهر المجد والشهرة وظل أحد عشر عاماً
متنقلاً من مدينة لأخرى فزار دمشق وبيت المقدس والاسكندرية
ومكة المكرمة وأخيراً عاد إلى طوس باحثاً عن الحقيقة طالباً بالحياة
الروحية في التأملات الدينية

وكان يمضي الساعات الطويلة في أعلى منارة مسجد دمشق
منفرداً بتأملاته العميقة إلا أنه لم يجد لنفسه الراحة المبتغاة فعاد
إلى الحياة العالمية مهتماً بتقويم الأخلاق وتعميد الإسلام حتى أنه
لقب بزین الدین وحجة الإسلام . — وكان أكبر باعث على
بهي عودته إلى العالم العملي الحاح فخر الملوك الذي عرض عليه
مهنة التدريس بنظامية نيسابور مظهراً له أن من الخطأ حرمان
أبناء المسلمين من المعرفة التي وهبها الله له فقبل الرأي ولكنه لم
يبق في التدريس طويلاً بل عاد إلى طوس واعتزل في منزله حتى
انتقل إلى جوار ربه

كان ذا عقل ذكي ونفس كريهة فلم يهتم لحزب الدين وجل
غرضه اظهار افضلية الدين الاسلامي على سائر الاديان وعلى
الغلبة خصوصاً

(مؤلفاته) ١- احياء علوم الدين Renaissance des Sciences
Religieuses.

٢ — مقاصد الفلاسفة ترجم إلى اللاتينية بمعرفة بطرس الختنتين
باسم Logica et Philosophia Algazalis Arabis وطبع

في فيينا سنة ١٥٠٤

٣ - تهافت الفلاسفة Destruction des Philosophes
توجد له ترجمة عبرية خطية في مكتبة فرنسا الوطنية .

٤ - المنقذ من الضلال Preservateur de l'erreur
وقد انتقد هذا الكتاب ابن رشد في مؤلفه الموسوم باسم
نبذة على المدارس الفلسفية عند العرب وعلى الخصوص على مذهب
الغزالي . وهو مطبوع في باريس سنة ١٨٤٢

٥ - كتاب أيها الولد في الاخلاق - ترجمة ثون هامر
برجتل باسم O Kind وطبع في فيينا سنة ١٨٣٨

٦ - ميزان العمل Balance des Actions ترجمه الى اللغة
العبرية الحاخام ابراهيم ابن جداي . وكذلك ترجم الى اللاتينية
بعنوان Compendium doctrinal Ethicae وطبع في
لنجز سنة ١٨٣٩

٧ - الوسيط في الفقه

٨ - معيار العلم

٩ - مشكاة الانوار

ثم كتاب الدررة الفاخرة Perle Precieuse ترجمه جوتييه
وطبع في جنيفا سنة ١٨٧٨

(فلسفته) دينية تصوفية حسب شريعة القرآن . فلا يسلم
بقدم العالم ولا بالانبثاق الفلكي الذي قال به ابن سينا ويقول .

بضرورة العلم وتحكيم العقل في الامور العالمية بشرط ان تتصفى
النفوس من ادران الغايات . وان أحسن طريق للحصول على
سعادة الدارين ان ينقطع لذكر الله الى ان تفيض عليه الرحمة
وينكشف له سر الملكوت

أما علم الاخلاق الذي علم به الغزالي فهو مزيج من العقائد
القرآنية واليونانية والمسيحية . والمذهب التصوفي الذي أشير
عليه به باعتناقه خليط من المذاهب الهندية ، ومحدثي الافلاطونيين
والديانة المسيحية . وان المعرفة العادية تكتسب بواسطة الحواس
والعقل اما المعرفة الحكيمة فلا تنال الا بالهام الهى بواسطة
الايمان والمجاهدة في الوصول الى هذا الانكشاف

أخذت الفلسفة عند العرب تتدهور وتتضائل امام طعنات
الغزالي وكاد يتمحي أثرها في الشرق بعد ابن سينا ولكنها نهضت
في الاندلس وكان لها شأن يذكر مع ابن باجه وابن طفيل
وابن رشد .

٤٣ - ابو بكر محمد بن يحيى

هو ابو بكر محمد بن بن يحيى المشهور بابن الصايغ ويدعوه
الافرنج Avempace ولد في اسبانيا في النصف الثاني من القرن
الخامس الهجري في مدينة سراقوسه ويقال انه مات في مدينة
فاس سنة ٥٣٢ على اثر اكله باذنجانة مسمومة قدمها له طبيب حسود

كان وزيراً لابي بكر بن ابراهيم حاكم مرسيا . ثم سافر في طلب الفلسفة الي فانسية وسراقوسة . ولما استولى الملك الفونس على هذه المدينة اضطر الى الرحيل الى كنيقا ونظراً لان فلسفته كانت مخالفة لروح التعليم الاسلامي طرح في السجن ولم يخرج منه الا بتوسط والد ابن رشد وكان قاضي قضاة المدينة .

يعد ابن باجه اول من ادخل الفلسفة في اسبانيا واثرت تأثيراً فعلياً على شهرة ابن الغزالي فرد للعقل مكانته السامية . والحكيم في نظره من يعتزل الجمعية البشرية ويعيش عيشة خاصة لان الحكماء هم وارثو الملكوت . وكما ان النفس ان يعيش كل شخص بحسب المباديء التي ذكرها في كتابه تدير المتوحد Regime du Solitaire وفي رسالة الوداع Epitre d'Adieu . وقد ألف مؤلفات كثيرة اغلبها شروحات لمؤلفات ارسطو . وكتب أيضاً فصولا في سياسة المدينة والمدن وكتاب التجريبتين على ادوية ابن وافد . واتصال الانسان بالعقل الفعال وله كلام في البرهان وبعض هذه الكتب موجود بمكتبة الاسكوريال

وقد عرف الافرنج ابن باجه من كتابة تلميذه ابن رشد عنه

== ابن طفيل

هو ابو جعفر محمد بن عبد الملك القيسي ولد في برشنا

Purchena احدى مدن الاندلس في اوائل القرن الثاني عشر

الميلاد ومات في مراکش سنة ١١٨٨

درس بجد الطبيعيات والعلوم الادبية وعين سكرتيراً لحاكم غرناطة
وأهم مؤلفاته رواية حيي ابن يقظان وخالصتها ان حياً المذكور
وجد في جزيرة جرداء فكان يتغذى بلبن ماعز وقد تمكن بملاحظته
للظواهر الطبيعية الى اكتساب معارف عالية أعيا بالتأمل والتروي
حتى توصل بهما الى اثبات وجود الله

وهذه الرواية ترجمها الى اللاتينية بوكوك باسم *Philosophus*

autodidactus sive epistola abi Joafar Ibn Tofail

de Hay ebn Yakzan وترجمها الى الانكليزية س اوكلي

S. Ockley وطبعت في لوندون سنة ١٨٠٨ وسنة ١٨٣١ وترجمها

الى الالمانية بريلينو وطبعت في فرنكفورت سنة ١٨٢٦ . وترجمها

أيضاً أخرون *Eichhorn* وطبعت في برلين سنة ١٧٨٢ ثم ترجمه

أيضاً الى الفارسية والعبرية



- ٤٥ -

ابن رشد « ١١٢٦ - ١١٩٨ »



AVERROES

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ولد في قرطبة من أسرة شهيرة بالاندلس كان جده فوالده قاضي القضاة درس الفقه والشريعة على الاشرعية ومذهب الامام مالك - حاز شهرة عظيمة في الطب والرياضة والفلسفة وتقلب في عدة وظائف وأسس جملة مدارس وعين قاضي قضاة قرطبة . وقد بلغ أوج مجده على عهد يعقوب المنصور بالله . واكسب حسادته شهرته وشوا به بأنه يعتنق الفلسفة المخالفة للدين الاسلامي . فعقد المنصور مجلساً من مشاهير قرطبة وحكم عليه بالنفي في مدينة لوسانيا غير ان مدة نفيه لم تطل اذ عفى عنه المنصور ومات في ١٠ ديسمبر سنة ١١٩٨ (٩ صفر سنة ٩٥ : هـ)

وكان أشهر تلاميذه موسى بن ميمون فيلسوف اليهود اشتهر ابن رشد في العالم اللاتيني بطبه وفلسفته الارسطوطاليسية غير ان شهرته من الوجهة الثانية كانت الغالبة . ولقد عشى الخطأ زمناً ما من ان ابن رشد مترجم ذلك

الفيلسوف اليوناني لان ترجمات مؤلفات ارسطو كانت معروفة قبل ابن رشد باجيال ثلاثة وقد قام باغلبها العلماء السوريون والكلدانيون واخصهم الاطباء النساطرة

(مؤلفات) كثيرة ويصعب تعدادها فمن ذلك كتاب الحكايات.

وهو مؤلف طبي ذو سبعة أجزاء . وكتاب مختصر المجسطي . وله أيضا كتاب ممتع في الفقه . هذا فضلا عن شروحاته لكتب ارسطو وهي على ثلاثة انواع : مطول ووسط ومختصر وأغلب مؤلفاته مترجمة الى اللغتين العبرية واللاتينية ويندر وجود نصها العربي

(فلسفة) كان الفلاسفة العرب يبذلون عنايتهم في اثبات خلق المادة وحدوثها من العدم . ووجود الله منفصلا عن الكون ويهيمن عليه بافعاله . وان الذات العلية علة الموجودات كلها اما ابن رشد فقد خالفهم في حدوث العالم وقال بقدمه أي بازليته . وهذا الكون يتضمن جميع الصور بالقوة فيظهرها للوجود المحرك الاول ولذلك اصبح العالم الذي نرى كائناته الآن نتيجة تلك الحركات . والمحرك الاول يحرك الفلك الاول وهذا يوصل الحركة الى الكواكب السيارة الى ان تنتهي الى فلك القمر الذي يحركه العقل البشري . ولكل فلك عقل . أما العقل البشري

(الفعال والمنفعل) فله صورة واحدة أبدية غير قابلة للفناء
ومنفصلة عن الأشخاص . وبواصته تتصل النفوس البشرية
بعقل العقول .

وقد ميز ابن رشد كارسطو بين العقل الفعال والعقل المنفعل
فالأول يتجرد عن كل اتصال بالهيوولي . والثاني خاص بالأشخاص
وقابل للفناء كسائر القوى النفسية المتغيرة والمعرفة لا تدرك
الإباشتراك العقليين فالعقل المنفعل يسعى للاتصال بالعقل الفعال كما
تستلزم القوة الفعل وكما تحتاج الهيوولي للصورة . ومتى تم الاتصال
أدرك الإنسان معرفة الأشياء وفهمها بالحالة التي هي عليها .

فنظرية الاتصال التي كانت مدار الفلسفة النفسية الشرقية
جردها ابن رشد من مظهرها الصوفي الاسلامي . إذ قال ان
الاتصال بالله لا يصير الا بالتعليم وبهذا يتزحزح النقاب الذي
تتقنع به حقيقة الكائنات وتتجلى له الالوهية بمظهرها الباهر
وتؤدي فلسفة ابن رشد الى المذهب المادي والحلول فينكر
البعث والحياة الاخرى ويقول ان الانسان بجسمه يفنى اما الانسانية
المطلقة فباقية خالدة .

وهو لا يعلم بان الانسان مسير في افعاله الاخلاقية وان الخير
ليس موكولا لارادة الله بل لحرية الانسان والا لما كان للظلم والعدل
معنى . وهو لا يعطي للانسان الحرية الكاملة في الارادة والعمل
بل جعلها وسطا بين الجبر والاختيار . اي انها من الوجهة النفسية

مطلقة ولكنها مقيدة بالظروف الخارجية والمؤثرات العرضية .
 هذا هو رأي الفيلسوف القرطبي ومن الواضح ان مذهبه
 الديني على تقيض جميع الشرائع السماوية

- ٤٦ -

الفلسفة اليهودية

كان للمذاهب اليونانية تأثير عظيم على الفلسفة اليهودية وقد
 انتقل هذا التأثير بواسطة فلاسفة العرب
 وأول فيلسوف يهودي عرف في هذا العصر هو سمعته
 Saadja (٨٩٢ — ٩٤٢) الذي ولد في القطر المصري وألف
 كتاب الايمان والمعرفة

ولكن لم يتمتع فلاسفة اليهود بحرية الفكر الا في اسبانيا
 أيام حكم المسلمين . واثنان من أولئك الفلاسفة يستحقان ان نتوه
 بذكرهما وهما ابن جبرول وموسى ميمون

فالاول يدعى سليمان بن جبرول ويذكره الافرنج باسم
 Avicbron (١٠٢٠ — ١٠٧٠) اما فلسفته فمصبوغة بالافلاطونية
 الحديثة ومشروحة في مؤلفه « جوهر الحياة » وتتلخص في
 القول بالحلول وتعدد الصور والهيولى في الكائنات الخاصة

وموسى ابن ميمون (١١٣٥ - ١٢٠٤) ويعرفه الافرنج باسم Maimonides ولد في قرطبة في ٣٠ مارس سنة ١١٣٥ ومات في فسطاط مصر في ١٣ ديسمبر سنة ١٢٠٤ .
كان ابوه قاضياً مشهوراً . ولما اضطهد المسلمون اليهود والمسيحيين مخيرينهم بين اعتناق الاسلام أو المهاجرة اضطر موسى لان يعتنق الاسلام في الظاهر زهاء ستة عشر عاماً وعند ما بلغ الثلاثين من عمره رحل الى افريقيا فاقام في فاس سنة ١٢٦٠ وفي فلسطين سنة ١٢٦٥ ثم جاء الى الفسطاط (مصر القديمة) واستوطنها وكان يتاجر في الاحجار الكريمة . ثم فتح مدرسة يعلم فيها اللاهوت والفلسفة والطب وكان طبيباً محبوباً لدى الفاطميين محترماً من اليهود والعرب معاً .

(مؤلفاته) اكثرها طبية وقد فقدت أما أهم كتبه الفلسفية فهو كتاب « دليل الحائرين » كتبه بالعربية . وترجمه صمويل بن تيرون الى العبرية باسم « موريه نبوخيم » وطبع سنة ١٤٨٠ ثم ترجمه جاك منتينو الى اللاتينية
أما النص العربي فقد طبع للمرة الاولى مع ترجمته الفرنسية وتعليقات عليه بمعرفة مونك باسم Guide des egares .
لم يكن موسى بن ميمون مبتكراً بل فضله في حثه ابناء جلدته لدراسة فلسفة ارسطو وبواسطتهم نقلوا العلوم العربية

الى اوروبا المسيحية

وكتابه دليل الحائرين ألفه لاولئك الذين لم يستطيعوا ان يوفقوا بين نصوص التوراة والحقائق العقلية وفيه يشير الى ترك تفسير الكتاب الحرفي ويعتقد ان الله خلق هيولى وصورة العالم من العدم . اما تحديد الالهية فقير مستطاع لان الله فعل مجرد ارقى من كل الكلمات التي نصفه بها

ورأيه الخلقى . ان الانسان يريد الخير والشر بحرية كاملة وهو انما يعمل الخير لمنفعته ولان ذلك أيضاً يرضي الله ويزلفى ناليه . اما مسألة البعث فمكولة للايمان الديني لان العقل لا يستطيع انكاره او اثباته

ويرجع اليه الفضل في تحرير عقول اليهود من التمسك بترجمة التوراة والتلمود ترجمة حرفية



المدة الثانية

العصر المدرسي الذهبي

الجيل الثالث عشر

- ٤٧ -

كان الجيل الثالث عشر العصر الذهبي للفلسفة المدرسية اذ فيه بلغت اوجها . ويرجع ذلك الى اسباب كثيرة منها :
 أولاً : الاطلاع على المؤلفات اليونانية والعربية وترجمتها الى اللاتينية . واشتهر بين المترجمين هنري دي برانت وعليوم دي مزبيك كما ان المطران رايغون افتتح في « توليدا » مدرسة للترجمة فنقلت من العربية الى اللاتينية مؤلفات ارسطو والكتب العلمية امثال مؤلفات بطليموس وجالينوس كذلك مؤلفات فلاسفة العرب السابق ذكرهم في المدة الاولى .

وقد سببت هذه المؤلفات اضطراباً في الافكار ، وعلى الخصوص بعض كتب ارسطو لانهم كانوا ينظرون اليها بعين لا تتلاءم مع الدين المسيحي فقرر مجمع باريس سنة ١٢١٠ منع تدريس العلم النظري وشروحات ابن رشد وقرر هذا الحرمان القاصد الرسول روبرت دي كورسون سنة ١٢١٥ ولكن لم يمض زمن حتى تعدلت الافكار بخصوص الفلسفة المشائية فسقطت

تلك التحريعات وقررت كلية الفنون رسمياً سنة ١٢٥٥ تدرّس العلم الطبيعي وعلم ما وراء المادة .

ثانياً : انشاء الجامعات فتأسست جامعة باريس في اوائل الجيل الثالث عشر وضمت تحت لوائها جميع مدارس العاصمة وتفرعت الى اربع كليات (١) اللاهوت (٢) الفلسفة والفنون (٣) الطب (٤) الحقوق . وفي أواسط ذلك الجيل ارسلت الجامعة من قبلها مدرسين لجامعة أكسفورد وسنت لها نظامها

ثالثاً : تنظيم التعليم فكان على ثلاثة درجات (١) بكالوريا (٢) ليسانس (٣) أستاذ

وكان التعليم على نوعين : محاضرات يلقيها الاستاذ ويشرح ما غمض منها . أو المناقشة على طريقة السؤال والجواب وكان التعليم حراً وللطالب ان يختار الاستاذ الذي يريد تلقي العلم والانتساب اليه

رابعا : انشاء الجمعيات الدينية فتأسست في باريس رهبنة الدومنيكان سنة ١٢١٨ ورهبنة الفرنسيسكان ١٢١٩ وقد توصلت الرهبتان الى الحصول على وظائف التدريس في الجامعة واتسع نمودها شيئاً فشيئاً حتى اصبح ثلاثة ارباع المدرسين منهم وتخرج على ايديهم اشهر ذكّارة الجيل الثالث عشر

خامساً : (السوروبون) . لقد أنشئت عدة مدارس أهلية على مثال الجامعات الرسمية . واشهر تلك المدارس تلك التي أنشأها

روبرت سوربون سنة ١٢٥٣ لتخريج رجال الدين والوعاظ
ومفري الكتاب المقدس . وكانت ابواب الكلية مفتوحة
للجمهور .

وين الدين اشتهروا من فلاسفة هذا الجيل

المكثرون دو هاليس Alexandre de Hales

لم نعلم شيئاً عن سني حياته الاولى وهو انكليزي الاصل
قدم باريس ليتلقى فيها العلم ثم انضم في سلك الرهبان الفرنسيين
سنة ١٢٢٢ وعين استاذاً للفلسفة في الجامعة سنة ١٢٣١ وكان
يلقب بالمعلم الذي لا يعارض . وفي تعليمه كان يمزج الفلسفة
باللاهوت ولف كتاباً سماه « المجموع » مقسم الى اربعة اقسام
تكلم في الاول عن الله ، وفي الثاني عن المخلوقات ، وفي الثالث
عن الكنيسة وفي الرابع عن الغايات الاخيرة

واغلب المؤلفين في الجيل الثالث عشر كانوا يتبعون هذا
التقسيم في مؤلفاتهم .

وكانت طريقته الجدلية لا غبار عليها . فيذكر في كل
قضية الادلة المؤيدة لها والتي تنفيها ثم يستخلص الحل الذي يجمع
الكل عليه انه الصحيح

وكانت الفلسفة المشائية عمدته في آرائه كما انه لم يهمل الاخذ

بشروحات العرب واخصها شروحات ابن سينا وكان ميالا الى التسليم
بالمذهب الواقعي بدون ان يلتفت الى نتائج المضرة .
ومات دوهاليس في ١٥ أغسطس سنة ١٢٤٥

غايوس دوفرنى Guillaume d'Auvergne

كان اسقفاً لباريس سنة ١٢٢٨ واستمر فيها حتى وفاته سنة
١٢٤٨ ولف كتاباً مشابهاً « لمجموع » دوهاليس أظهر فيه كل
حكمة وتروي قضت بها ضرورة هذا الجيل الفكرية . ولذلك
كان يجذب مذهب ارسطو ببعض تحفظ . ودرس أيضاً مؤلفات
العرب وساعد في نشرها واطلاع الباحثين عليها . غير انه كان
يقع في التناقض أحيانا عند ما دافع عن حرية الانسان ضد
المذهب الجبري

اما الراهب الدومنيكاني فنسان دي بوثيه الذي كان تابعا للملك
لويس التاسع فلم يكن فيلسوفا بالمعنى الصحيح وإنما يعزى اليه
انه قسم العلوم الى ثلاثة اقسام : العلم الطبيعي ، والعلم النظري
والعلم التاريخي

وهو الذي اثبت ان ارسطو كان تصوريا أي وسطا بين
الاسمين والواقعيين وترجم أيضا بعض الاصطلاحات الفلسفية

التي وردت في المذهب المشائي . ومات سنة ١٢٦٤

٤٨

البيير الكبير (١٢٠٥ — ١٢٨٠) Albert Le Grand

هو الابن البكري للكونت دي بولستاد صديق الامبراطور
فريدريك الثاني

ولد في لنجين احدى مدن دوقية سواب بجرمانيا وارسله
ابوه لتلقي العلم في يدوا بايطاليا ثم انتظم في سلك الرهبان
الدومنيكان سنة ١٢٢٣ وقام بالتعليم الديني في عدة مدن منها
كولونيا وراتسبون وستراسبورغ ثم قدم باريس مع تلميذه
القديس توما ومكث فيها ثلاثة سنوات من سنة ١٢٣٥ الى سنة
١٢٤٨ وقد دعي لان يسام اسقفا لراتسبون فرفض حتى لا تشغله
الرتبة الكهنوتية عن العلم ولبت في دير ولم يتركه سوى مرة
واحدة عام ١٢٧٧ حيث قصد باريس ليناضل عن تلميذه
القديس توما ضد بعض منتقديه . ومات سنة ١٢٨٠ بالفا من
العمر ٧٤ عاما وقد طوبته الكنيسة الكاثوليكية في ٢٧ نوفمبر
سنة ١٦٢٢

كان البيير الكبير واسع العلم كثير الاطلاع حتى عد ساحرا

كجربوت وكان خبيراً بجميع المعارف كالنفاك وتخطيط البلدان وطبقات الارض وعلم المعادن والكيمياء والطب . ومطلعاً على الكتب الفلسفية اللاتينية والعربية من متن وشرح ، وترك لنا مؤلفات كثيرة جمعة وجمع معلوماته كلها في دائرة معارف مرتبة ومبوبة في ثلاثة ابواب : العلوم المنطقية والطبيعية والادبية . كان مذهبه واقعياً وفلسفته مشائية وتمكن من ادخالها في المدارس بقوة نفوذه وتأثيره .

يرى ان النفس جوهر الجسم أي القوة الفاعلة فيه وعنصره الحيوي . ولم يبد فكره فيما اذا كانت النفس اتحدت بالجسم مباشرة أو بالواسطة . وقد ميز بين القوى وقسمها الى ثلاثة أنواع (١) القوة النباتية للتغذية والنمو والتناسل (٢) القوة الاحساسية . و (٣) القوة الفكرية . ويعتقد بخلود النفس . ولكنه لم يفضل القوة الفكرية كارسطو . ولا القوة الارادية كأغسطينوس . اما في العلم النظري والطبيعي فيرى ان الهولي الاولي لا تنفعل انفعالاً مجرداً بل تتضمن في ذاتها بذور التوليد على اشكال غير تامة تتحد بها بالتفاعل الطبيعي فتكون من ذلك الاجسام — وفي قضية الكلبيات يعيل الى المذهب الواقعي المعتدل ويقول ان الملائكة مكونة من صورة خاصة ومن جوهر واحد يدعوه (fundamentum) وهو يعيل الى الرأي القائل بان الخليقة حدثت من العدم — ويدحض نظرية « الصدور »



القديس توما الاكوييني (١٢٢٧ - ١٢٤٥)

St.Thomas d'Aquin

أما حكمنا على أشهر تلاميذ البير الكبير فيجب التحفظ فيه • ذلك لان حياته وأعماله جديرة بالاعجاب العظيم • ويصعب تصور كيف أمكنه في وقت وجيز ان يسطر المؤلفات العديدة في شتى المواضيع التي حاجها بدقة نظر وفهم صحيح ، بيد ان عجبنا ليزول اذا نظرنا الى ما اتاه فلاسفة العرب من الشروحات المطولة والمؤلفات الكثيرة التي دمجوها والجلد العظيم الذي اظروه في كتابة المجلدات الضخمة •

ولد توما حوالي سنة ١٢٢٧ في بلدة اكوينو لضواحي نابولي من عائلة شريفة وتلقى علومه على الرهبان البنادكتيين وفي جامعة نابولي ثم اندمج في سلك الرهبان الدومنيكان سنة ١٢٣٣ بالرغم من معارضة والده الشديدة فارسله رئيس الرهبنة للدرس في كولونيا حيث تتلمذ لالبيرالكبير من سنة ١٢٤٥ الى سنة ١٢٥١

ثم قصد باريس فنال من جامعتها درجة بكالوريوس وصار يعطي دروساً عمومية .

وكانت الجامعة في ذلك الحين في جدال حاد مع المدارس الدينية المزاحمة لها ، فآخذ البير الكبير والقديس توما وبونثنتورا يناضلون ضد سنتامور رئيس الجامعة واستمر الجدل سجالاتاً فتدخل البابا اسكندر الرابع في الامر وطوعاً لرغبته منحت الجامعة في ١٢٣ اكتوبر سنة ١٢٥٧ لقب استاذ لكل من القديسين بونافنتورا وتوما

وبعد ان علم صاحب الترجمة عدة سنين في مدارس ايطاليا عاد الى فرنسا وعلم فيها اللاهوت زهاء العامين وكان عضداً قوياً للحركة التي قامت ضد تعاليم بن رشد التي ادخلها دي برابنت في المدارس الباريسية

وفي يناير سنة ١٢٥٤ دعاه البابا جريجوار العاشر ليشارك في مجمع ليون وفيما هو ذاهب اليه اعتراه مرض اقعده عن متابعة سيره ولم يأت يوم ٧ مارس من السنة المذكورة حتى وافاه القدر المحتوم بالغاً من العمر ٤٨ سنة

وقد منحه البابا يوحنا الثاني والعشرين لقب قديس سنة ١٣٢٣ ولقبه البابا بيوس الخامس سنة ١٥٦٧ « المعلم الملائكي »

(فلفسفة) ان فاسفة القديس توما كفلسفة البير الكبير
 صورة منقولة عن فلسفة ارسطوا كما فهمها من الترجمات اللاتينية
 للترجمة العربية وهذه الفلسفة مبينة في مؤلفاته وعلى الخصوص
 في مجموعتيه : (المجموعة ضد الامم) والمجموعة اللاهوتية وهذا
 الكتاب الاخير منقسم الى ثلاثة أجزاء تبحث في الله ، وفي
 الانسان والوسيط ، والمسيح عيسى

اهتم أولاً بالتوفيق بين العقل والايان فيقول ان الحقيقة
 التي هي غرض المعرفة اما ان تكون فوق متناول العقل البشري
 فلا تدرك الا بالهام لا طبيعي اي بالايان . واما ان تكون مناسبة
 لكفاءة الانسان الطبيعية فيكون للعقل وحده قوة ادراكها
 كوجود الله وأحديته وصفاته والخليقة من العدم . وحرية
 النفس البشرية وروحانيتها وخالودها

وارتباط الفلسفة باللاهوت متباين لان غرض الاولى الحقائق
 المادية التي يدركها العقل وطريقه اليها البرهان . اما غرض الثاني
 فالحقائق النظرية الفائقة الطبيعة وهي الموحى بها من الله وطريقها
 التسليم بالوحى

كذلك يجب ان لا تخالف الفلسفة الدين في المواد المشتركة
 بينهما كوجود الله وأحديته وروحانية النفس الخ فهي مسائل موحى
 بها ويستطيع العقل حلها طبقا للوحى لان مصدرهما واحد وهو

الله موجد العقل وما نوح الوحي ومن الحال الظن بخطأ الله
 كذلك سائر نظريات ارسطو فهو يسلم بها كاثبات وجود الله
 من الحركة . ويقول ان كل موجود مؤلف من صورة وهيولي
 فصورة أي فرد انساني تختص بالجنس البشري وتتخذ منه الصفات
 العامة . واذا طبقنا هذه الصورة على أي مادة معينة وقلنا عن
 أي جسم مؤلف خاصة بكيفية دون أخرى ان هذا المركب
 ليس هو الانسان على وجه التعميم بل هو زيد أو بكر بالتخصيص
 ولكن قد يعترض بان هذا الجسم لا يمكن تخصيصه الا اذا
 تميز بصورته والالما صار زيدا أو بكراً من الناس بل هيولي
 بكل معنى الكلمة بدون ان تتميز الصورة وبذلك لن نحل مسألة
 التخصيص الشخصي individuation

فاجاب القديس توما على هذا الاعتراض بان تميز الاشخاص
 هو اثر من الخلقه أي من ارادة الله الذي شكل المادة بالاشكال
 المتكون منها العالم . فكان التخصيص نشأ من الصور التي تعين
 للمادة ان تتشكل بها

بقي معرفة ما اذا كانت المادة يمكنها قبول هذه التخصيصات
 أو ان التعيين المذكور موجود في ذاتها ومنضطرة للتشكل به
 هذه مسألة شغلت الفلاسفة ولا زالت ولن تزال شغلها
 اما في علم الاخلاق فالقديس توما يذهب الى ان الله هو
 الخير الاعظم . والحرية التي أوجدها الله في الانسان تسمح له ان

يعمل بتعقل للاقتراب والدنو من ذاك الخير في هذا العالم
ويظهر من ذلك ان هذا القديس جعل لنا كفاية لعمل الخير
أكثر مما تصرح به النظرية الغسطينية وهو في الوقت نفسه جعل
للحرية الالهية حداً ولقد قام الجدل بهذا الشأن بين انصار
القديس توما وبين انصار دنس سكوت أي بين الدومنيكان
والفرنسكان .



دانس سكوت (J. Duns Sco)

ولد في البلاد الانكليزية في السنة التي توفي فيها القديس
توما أي عام ١٢٢٤ ومات في كولونيا سنة ١٣٠٨ بالغاً من العمر
٣٤ عاماً . كان راهباً فرنسكانيا اشتهر بتعليمه في جامعة اكسفورد .
ثم شخّص الى باريس لينال من جامعتها اجازة الدكتوراة في
اللاهوت سنة ١٣٠٤

وبواسطته عاد مذهب الواقع الى الظهور بشدة ولكنه لم
يقع في نتائج الحلولية بفضل تمسكه بالايمان اليقيني . وبالرغم عن
قصر حياته فانه كتب عدة مجلدات باللغة اللاتينية
وقد كانت فلسفته مخالفة في كثير من المواضع لفلسفة البير.

الكبير والقديس توما وبشأنها احتدم الجدل بين رهبتي
الفرنسكان والدومنيكان اذ كانت كل رهبنة تعضد فلسفة زعيمها
وتسفه رأي خصمه . وقد كان أهم الخلاف في قيمة العقل فضيق
دائرته واعطى الاسبقية للقوة الارادية على القوة الفكرية . ومن
رأيه ان العقل لا يستطيع باي حال اثبات خلود النفس ولا يمكنه
ان يعرف عن يقين اذا كان الله هو غاية الانسان الطبيعية ولذلك
يجب ان تكون الفلسفة خاضعة للدين وان اللاهوت هو قبل
كل شيء علم عملي وأخلاقي

اما فلسفته بوجه عام فهي مشائية كفلسفة القديس توما مع
اختلاف بينهما في بعض المواضع ويرجع هذا الاختلاف الى
الوجهة التفسيرية التي يتخذها كل واحد منهما

٥١

الصوفيون

اشتهر في الجيل الثاني عشر المذهب الصوفي الذي يزعم ان
جميع القضايا التي يختص العقل بحلها . يجب تركها للوجدان .
وكان زعيما الصوفيين في ذلك العصر الراهبين هوج وريشار
من دير القديس فكتور بياريس فكانا مثال التقوى والتواضع
ولد الاول سنة ١٠٩٦ في هرتنجان بمملكة ساكس
تلقى دروسه في أحد الاديرة ثم اضطر لترك مسقط رأسه بسبب الحرب
ودخل دير سان فكتور ولم يلبث ان تولى التعليم فيه سنة ١١٢٥

والذي يهمننا من صفاته فلسفته التصوفية. قال ان للنفس قوى ثلاث
اصلية : (١) قوة طبيعية ومركزها الكبد و (٢) قوة حيوية
ومقرها القلب و (٣) قوة نفسية أو حيوانية ومركزها المخ .
وتصدر عن القوة الاخيرة الحركة والاحساس والفكر . ولا
يوجد في الانسان سوى عنصر واحد للحياة يسمى الروح اذا
نظر اليه مستقلا عن الجسم ، ويدعى نفساً باعتبار حلوله في الجسم
ومسبب الحركة الحيوية — اما النفس والجسد فيجوهرا ان مختلفان
لكنهما متحدان ، ورابطة هذا الاتحاد التخيل والاحساس

وأما ريسار فاسكتلندي الاصل تتلمذ لهوج وقد ولد سنة
١١٢٦ ومات سنة ١١٧٣ كتب جملة مؤلفات في المذهب الصوفي
وفي مصادر المعرفة (التجربة والعقل والايمان) وتكلم عن
الطبيعة والصفات الالهية

غير ان أشهر الصوفيين هو بلا مراء يوحنا الملقب بالقديس
بونافنتورا ولد سنة ١٢٢١ في مقاطعة توسكانا (بايطاليا) واندمج
في سلك الرهبنة وهو شاب . ثم قصد باريس سنة ١٢٤٣ ليتعلم
اللاهوت على اسكندر دوهاليس وحاز سنة ١٢٤٨ اجازة الليسانس
للتدريس وتألقت بينه وبين القديس توما صداقة متينة . ثم
انتخب رئيساً للرهبنة سنة ١٢٦٠ ومنح لقب كردينال واستقف
البانو سنة ١٢٧٣ ثم مات في السنة التالية اثناء انعقاد مجمع ليون
المسكوني . وكان يلقب بالمعلم المرافيتي

ألف القديس بوناقتورا مؤلفات كثيرة بعضها فلسفي وبعضها لاهوتي وفلسفي معاً ولكن أهمها كتاب طريقته لمعرفة الله

Itinerarium mentis in Deum

كان متشيعاً لمذهب القديس اغسطينوس وهو يعتبر ان افلاطون كان حكيماً . وارسطو عالماً . والقديس اغسطينوس جامعاً بين الحكمة والعلم

ومع تشييعه ذلك ، لم يكن متعصباً لفكره بل كان يوفق بين العقيدة الاغسطينية والمذهب المثالي . تاركاً لمعارضيه الحرية الفكرية التي جعلها مبدأ له حيث قال « اني في المسائل الصعبة المشكوك فيها التي لم استطع اكتشاف صحتها من فاسدها ووجدت الاختلاف بين العلماء بسببها قد اتخذت لي رأياً خاصاً بدون ان احتقر أو أسفه رأي الآخرين »

(فلسفته الخاصة) : يرى ان العقل ولو أن متناوله محدود لا يستطيع ادراك الاسرار الدينية الا ان في مقدرة ادراك الحقائق الاولية كوجود الله

وبينما انصار المذهب الاغسطيني لا يفرقون بين النفس وقواها مخالفين في ذلك مذهب القديس توما . نرى القديس بوناقتورا يتخذ رأياً بين المذهبيين ، ويتبع ارسطو في انكار وجود معاني غريزية من أصل الخلق . ولكنه يعترف بوجود عادة عقلية

يدعوها *Naturale Judicatorium* . وينتمي لاغسطنيوس
في قوله ان القوة الارادية اشرف من القوة الفكرية . ثم يقول
بتعدد الصور الجوهرية في الانسان

كما ان في العلم النظري يميز بين الهولي والصورة في جميع
المخلوقات وحتى في الملائكة أيضاً . وهذه النظرية «الايليمورفيه» (١)
أخذها عن ابن جبرول اليهودي

كذلك يرى رأي اسكندر دوهاليس في تعدد الصور الجوهرية
ليس فقط في الاجسام المختلطة (العضوية والغير عضوية) بل
وأيضاً في العوامل المكونة للطبيعة فلا يوجد فرق بين الجوهر
النوعي والجوهر الفردي . والاصل المميز لشخص عن شخص
آخر يصدر عن الهولي والصورة معا
اما فيما يختص بالمعاني الكلية العامة فهو ينتمي لرأي ارسطو
مخالفا افلاطون

٥٢ - المنشقون

انشق عن الفلسفة المدرسية التي كانت متبعة في الجيل الثالث

(١) هذه اللفظة مشتقة من كلمتين يونانيتين ايلى أي هولي .
ومورفي أي صورة)

عشر بعض المفكرين الاحرار اذ مزجوها بمقائد متفرقة لا
تجانس بينها .

وأشهر من شد : روجيه باكون . ورايمون لول .

روجيه باكون (١٢١٠ - ١٢٩٤) Roger Bacon

ولد بالثستر بانجلترا وعكف منذ صغره على تعلم اللغات
والعلوم في جامعتي اكسفورد وباريس وحاز من هذه الجامعة
الاخيرة اجازة الدكتوراه ثم علم فيها سنة ١٢٤٥ وتعرف
بعلماء عصره وبعد بضعة سنوات انتظم في الرهبنة . ونظراً
لا نقاداته المرة على الفلسفة المدرسية نبه عليه رؤساؤه ان لا ينشر
كتاباتة في الخارج ولكن لحسن حظه ارتقى صديقه « جي
دي فولك » السدة الباباوية باسم اكليمنضس الرابع وبعث اليه
برسالة حبرية يطالب فيها منه « ان يرسل له صورة من مؤلفه
رغماً عن كل تنبيه صدر أو يصدر اليه من رؤسائه .

فانتهز باكون هذه الفرصة وكتب مؤلفه « Opus Majus »

وارسله الى البابا سنة ١٢٦٧ مع تلميذه بان دي باريس

وما كاد البابا ينتقل الى جوار ربه حتى نال المترجم سخط وغضب
رؤسائه الذين لم يعبأ باوامرهم وقيل ان جيروم دسكولي رئيس
الرهبان الفرنسيسكان حكم عليه بالعزلة الانفرادية . ومات في ١١

يؤنيه سنة ١٢٩٤ في الرابعة والثمانين من عمره
 أما مؤلفه Opus Majus فكان مقسماً سبعة أقسام تبحث
 في اسباب الخطأ . وعلاقة الفلسفة بسائر العلوم وعلى الخصوص
 باللاهوت . وفي اللغات • والرياضيات والفلسفة الاخلاقية •
 والنظرية وغيرها

وكان ينظر الى ارسطو كأمر الفلاسفة على الاطلاق ولكنه
 كان يرى الترجمات اللاتينية لمؤلفات ذلك الفيلسوف مشوهة
 بالاغلاط وتمنى لو امكنه ان يحرقها كلها

(مؤلفه) كان جل اهتمامه باكون بالرياضيات وعلم الابصار
 والفلك وتقويم البلدان والكيمياء وعلم اللغات • وكثيراً ما عاب
 معاصريه على اهمالهم الملاحظة والاختبار • وقد اخص بعلم
 الابصار فشرح العين ووصف تأثيرات الانعكاس والانكسار
 وعرف خواص العدسات المقعرة والمحدبة • واظهر فطنة وحدقا
 في اوجه القمر وسائر الظواهر الجوية وقال خرسنوف كلبوس
 في بيان رسالته الى ملك اسبانيا انه انتفع براءه باكون فيما يختص
 بموضع الهند الغربية وقد ساعدته على اكتشاف امريكا • ومما
 يدل على نبوغه وابداعه انه فكر قبل ستة اجيال بالاكتشافات
 العظيمة وتنبأ بمحصولها كالسفن البخارية والسكك الحديدية •
 والمناطيد الهوائية • والنظارة الراصدة (تلسكوب) والنظارة

المكبرة (مكرسكوب) والسفر الجوي والكباري المعلقة الخ
كما انه أيضاً كان ملماً باللغات اليونانية والعبرية والكلدانية
واللاتينية وقارن بينها . وكان شديد اللهجة في نقده فلم يسلم منه
كبار الفلاسفة كاسكندر دوهاليس . والبير الكبير . وغيرهم

(فلسفته) كان يسلم بوجود مادة روحية خاصة بالانفس .

وبالملائكة ، وبتعدد الصور . فهو بذلك يتفق مع المذهب
الاغسطيني ومع الفلسفة المدرسية القديمة . ولكنه يختلف معها
في كثير من المسائل فمنها :

١ - انه يقول ان الصورة لا تعطي الهيولى شكلاً . ولا
الهيولى هي التي تشكل الصورة . انما هما مختلفان اختلافًا نوعياً
وذلك بعكس الاعتقاد السائد من ان الهيولى واحدة بالعدد في
سائر الموجودات

٢ - بينما الفلاسفة المدرسيون يعترفون بفائدة الفلسفة
وقيمتها الخاصتين بها مع خضوعها للايمان . كان باكون ينفي عنها
أي فائدة ذاتية بل يجعلها خادمة (ancilla) للدين ليس الا .
وخطأً باكون نشأ عن اعتقاده ان الوحي هو الطريق الضروري
الذي يوصل الانسان الى المعرفة والفلسفة

٣ - يميز المدرسيون في القوة الفكرية العقل الفاعل
والعقل المنفعل ولكن باكون ينفي ذلك ويقول ان العقل النفعال

ليس جزءاً من النفس بل هو جوهر منفصل عنها يهبه الله لكل شخص وتتفاوت درجة استنارته في كل انسان

٤ — كذلك في درجات المعرفة الثلاثة (التقليد والتروي والتجربة) يذهب الى ان التقليد أقل درجة من التروي اذ كثيراً ما يكون مشوهاً بالاغلاط . كذلك التروي الصرف ويدعوه يا كون (unda demonstratio) لا يؤدي الى المعرفة اليقينية التامة (non Plene certifiat) للحقيقة المجردة اذ لم يستمن بالتجربة . والتجربة على نوعين : خارجية وباطنية . وهذه تنشأ بالهام الهلي ، ولها سبع درجات

أما ريموند لول (١٢٣٥ — ١٣١٥) Raymond Lulle

فولد في بلما في جزيرة ماجوركة . ونشأ في بلاط جاك الاول ملك اراجون وقضى شببته في اللهو ولكنه ما كاد يبلغ الثلاثين من عمره حتى عكف على تعلم العلوم واللغات وعلى الخصوص اللغة العربية ثم اعتنق الرهينة وسافر جملة اسفار في أوروبا وافريقيا وجعل غرضه تعليم اللغة العربية في جميع المدارس المسيحية والقضاء على مذهب بن رشد . وتبشير المسلمين بأنجيل المسيح .

وكثيراً ما جادل علماء المسلمين وقد استشهد بتعديدهم له سنة
١٣١٥ في تونس

(*ارثو الفيلسوفية*) كان عدواً لدوداً لمذهب ابن رشد
ومعتنقيه من مسلمين ومسيحيين، وبينما هؤلاء يقولون بحقيقتين
متباينتين بمعنى ان ما هو حقيقي في الفلسفة يمكن ان يكون
خطأ في اللاهوت والعكس بالعكس . فان لول اراد تحكيم
العقل في كل شيء حتى في الاسرار الدينية الموحى بها التي
اعتبرها المدرسيون فوق متناول العقل ويجب التسليم بها بالايمان
ومن رأيه ان الايمان والعقل يتمشيان معاً بدون ان يختلطا كالزيت
يطفو فوق الماء ولا يختلط به

كذلك يضيف لول حس سادس على الحواس الخمسة ويدعوه
affatus ويستعمل للدلالة على الأشياء . وان الانسان مركب
من جسم ونفس وروح . وان السماء ذات لها نفس محركة .
وانه توجد صورة أولية مطلقة وعامة تأخذ عنها الاشكال
الخاصة صورها ، وهي باتحادها بالهيولى الاولى تكون الجوهر
العام للعالم .

اما كتابة الفن الاكبر (*Ars Magna*) فهو عبارة عن
آلة للفكر على نمط الآلة الحسائية توضح المعاني بدلاً من
الأعداد والأرقام . ويمكن للإنسان بدهاءة ان يتبين جميع الصور
التي يتخذها الفكر بطريقة صناعية



المدّة الثالثة

٥٣

انحطاط الفلسفة المدرسية

الجيل الرابع عشر ونصف الخامس عشر

تسنت الفلسفة الجدلية ذروتها في الجيل الثالث عشر ، عصر
القديس لويس . ثم اذ بلغت اوجها اخذت تتدرج الى الانحطاط
ويرجع ذلك الى الاسباب الآتية :

أولاً - (قلة النبوغ الشخصي) فكان الطلبة يتخرجون
من الجامعات ويمتحنون اجازاتهم بدون عناء متبعين خطة واحدة
وهي شرح المذاهب السالفة وتقييد الفكر بها

ثانياً - (الاسراف في الجدل) فكانت البراهين المنطقية
تستعمل في الجدل ليس كواسطة للوصول الى الحقيقة بل كغاية ،
واكثر ما كان يدور الجدل في الالفاظ دون النظر الى المعنى
المقصود .

ثالثاً - (الحروب المتواصلة) فقد ظلت مائة عام مع وجود
الانشقاقات الداخلية وثورات الفلاحين على اصحاب القصور
وتفكك اوصال الامبراطورية

نومع ذلك بينما كانت هذه الدلائل السيئة على وشك الظهور
والجدال بين انصار دنس سكوت وانصار القديس توما قائماً
نهض لناوأة هؤلاء واولئك الانصار : غليوم دوكام وتلميذاه
دوران دي سان لورسين ، وبوريدان



غليوم دوكام (Guillaume d'Occam) (١٢٨٠ — ١٣٤٧)

ولد في أوكام بـكـونـتية سوري (انكلترا) وسيم راهباً
فرنسكانيا . تلقى العلم على دنس سكوت في جامعة باريس ثم
تعين فيها مدرسا من سنة ١٣١٨ الى سنة ١٣٢٣ ويظهر ان التاريخ
يعيد نفسه : فكما انشق ايلاردس على استاذه دي شيمو كذلك
ناو أوكام استاذه سكوت . وكان أيضا معارضا للبابا بونيفاس
الثامن ومتشيعا للملك فيليب الجميل

ولما كانت فلسفته مخالفة للتقاليد السياسية والدينية والفلسفية
استدعي امام مجمع عقد في افنيون سنة ١٣٢٨ فلم يعبأ به والتجأ
الى لويس ملك بغاريا وقال له هذه الجملة المشهورة « دافع عني
بسيقك فادافع عنك بقلمي »

وكان منتصراً للمذهب «الاسمي» فيسلم بوجود جواهر شخصية • اما المعاني الكلية فليس لها وجود ذاتي بالجواهر وقد دحض أيضاً نظرية الاحساس • التي تذهب الى انه للتوصل الى المعرفة يقتضى وساطة الانواع *Especies* بين النفس والجسد : فالنوع المؤثر ينطبع على العضو الحساس والنوع المقوم هو ذات التأثير أو بالحري الصورة المتأثرة ويقول ان في الانسان ثلاثة صور متباينة: الصورة الجسمية والنفس أو الصورة الاحساسية وهي ذات هيولى وحيز ، والنفس الاخرى او الصورة الفكرية التي لها مادة ولا حيز لها وله رأي غير وجيه في السلطتين المدنية والدينية ويعطي التفضيل للاولى وان لها الحق في التداخل في الامور الدينية كما ان لكل واحد الطعن في احكام الرؤساء الدينيين حتى الحبر الاعظم ويمكن تسفيه رأيه اذا وجدته ليس على جادة الحق

اما دوران *Durand de St. Pourçain* الملقب بالمعلم حلال المشكلات نظراً الى مهارته في حل جميع المسائل فكان اسقفاً لبوي ومو . مع انتمائه لآراء دوكام . كذلك بوريدان *Jean Buridan* الذي ولد في ييشون في أواخر الجيل الثالث عشر فتلقى العلم على دوكام في جامعة باريس ثم علم فيها نحو العشرين عاماً ثم صار رئيساً لها سنة ١٣٥٨

ويعزى اليه المثل الشهير : وهو ان حماراً جائعاً وجد بين

حزمتين من العلف احدهما على يمينه والاخرى على يساره على
بعدين متساويين فلم يقدر يميز أيهما يأكل وأيهما يريد وظل
متردداً حتى مات جوعاً

ولا يتضمن الجيل الرابع عشر من الاسماء ما يستحق ان
يدعي فيلسوفاً اللهم اذا استثنينا بيير ديلى *Pierre d'Ailly*
(١٣٥٠ — ١٤٢٥) امين جامعة باريس ولقب بنسر فرنسا
(*Aquila Franciae*)

غير انه كان منطقياً بليغاً وانتدب مبعوثاً رسولياً إلى المانيا
ثم عين اسقفاً وكردينالاً وترأس الجلسة الثالثة لجمع كستانس
الاكليريكي والسبب في شهرته عدم وجود انداد له
واخص تلاميذه جرسن (١٣٦٢ — ١٤٢٩) *Gerson* لقب
دوراً مهماً في ذلك الوقت المضطرب الا انه كان صوفياً كما كان
الراهبان ايكار *Eckhart* وتولر *J. Tauler* غير ان تصوف
هذين حلولى فاعتقدا ان الله حل فيهما وفي العالم وانها في الله وقد
يصيرا لها وان الامل في الحياة الاخرى والتدين والقداسة
لا تؤثر على اعمال الانسان واراوته

المدّة الرابعة

٥٤

النهضة

من نصف الجيل الخامس عشر الى السادس عشر

يبدأ هذا الزمن من اوائل النصف الاخير من القرن الخامس عشر بانتهاء حرب المائة عام على يد جان دارك وبسقوط المملكة الشرقية وعاصمتها بيزنطيه (القسطنطينية) في يد الاتراك سنة ١٤٥٣

وقد اصاب المؤرخون في اختيار هذا التاريخ حداً فاصلاً بين العصور الوسطى والازمنة الحديثة ففضلاً عن ان ممالك أوروبا المختلفة قد تم تكوينها . فان حادثين آخرين كان لهما تأثير كبير على الفكر الانساني وهما اختراع آلة الطباعة واكتشاف خرسنوف كولبوس لامريكا في ١٢ اكتوبر سنة ١٤٩٢

٥٥ - اليونان في ايطاليا

لم تبدأ الفلسفة الحديثة بالظهور الا في اوائل الجيل السابع

عشر بواسطة بيكون الانكليزي وديكارت الفرنساوي ولكن
استيلاء العثمانيين على القسطنطينية كان السبب في مهاجرة
العديد العظيم من علماء اليونان الى ايطاليا فحملوا اليها مؤلفات
افلاطون واطلمعوا اوروبا الغربية للمرة الاولى عليها كاملة .

وحقيقة الواقع كانت توجد علاقات بين رومة وبيزنطية قبل
هذا التاريخ بزمن غير قصير . فقبل ان تحمل الفاجمة بالامبراطورية
الشرقية بخمسة عشر سنة حاول مجمع فلورنسا سنة ١٤٣٩ ضم
الكنيستين اليونانية واللاتينية فلم يفلح الا ان يمض اليونان الذين
جاؤا الى هذا المجمع ظلوا في ايطاليا واستوطنوها وكان بينهم
يساريون وبليتون المشيعمان لمذهب افلاطون كما ان ارسطو لم
يعدم انصاره من أولئك النزلاء مثل جورج دي تريذون
وتيودور غازا . ولذا قام المذهبان الافلاطوني والمشائي متناظرين
في أرض ايطاليا

وكانت فلورنسا مركز النهضة الفلسفية وبعثت اكاديمية أثينا

في هذه المدينة الزاهرة واشتهر منها مرسيل فيسين [Ficin] (١٤٣٣ - ١٤٨٩) وهو الذي ترجم مؤلفات افلاطون الى
اللاتينية وشرحها بما ذهب اليه الاسكندرليون ثم جان بيك
ميراندول [Mirandole] (١٤٦٣ - ١٤٩٤) الذي كان ذاعلم وافر
واطلاع غزير ومعرفة باللغات الشرقية والى كثير من الكتب .
أضف الى هؤلاء فرنسوا بتريتزي [Patrizzi] (١٥٢٩ - ١٥٩٧)

الذي صار من أشد انصار المذهب الافلاطوني بعد ان كان معجباً
بارسطو .

أما المدرسة المشائية فكان ممثلوها اسكندر اشيلني من بولونيا
واندرياسيزابيني (١٥١٩ — ١٦٠٣) الذي شرح مذهب ارسطو
على نمط ابن رشد ، وبيير پومبوناس Pomponace (١٤٦٢ —
١٥٢٥) الذي كان يفهم الفلسفة المشائية بحسب تفسير الاسكندر بين
وكريمونيني Cremonini (١٥٥٠ — ١٦٣١) الذي علم نحو
الخمسين عاماً في فرارى وفي بدوا

كذلك المدرسة الفيثاغورية أحيها نقولا دي كوزا
(Causa) الكردينال (١٤٠١ — ١٤٦٤) وحاول تفسير علم
ما بعد الطبيعة بالاعداد واكد بالطرق العامة حركة الارض حول
الشمس ، اما المدرسة الحلولية فكان لها ممثل شهير وهو الراهب
الدومنيكاني جوداني برونو (١٥٤٨ — ١٦٠٠) الذي هجر ديره
وطاف في انحاء أوروبا عشر سنوات وقد القي القبض عليه
في مدينة البندقية وحكم عليه بان يحرق حياً وتنفيذ الحكم في
روما سنة ١٦٠٠

وجاك بوهم (Boehm) (١٥٧٥ — ١٦٢٤) كان صانع احذية
من مدينة جورلتز وقال ان النعمة الالهية حلت عليه ثلاث
مرات وأوحى اليه ان يكشف للبشر سر جميع الاشياء وكان مذهبه
حلولياً أورى فيه كيف تصدر جميع الاشياء عن الله واليه تعود

بنفس المعنى الذي شرحه هيجل بعد ذلك بقرنين

٥٦ - الاحرار والشكاك

كان الجيل السادس عشر زمن النهضة والاصلاح وعصر
لاختراع حيث يعتبره المؤرخون تمهيداً للازمة الحديثة وحيث
اتضارت فيه الافكار المتباينة من خير وشر . ومن خطأ
وصواب . . .

وكان زعيما الحركة الدينية والحرية الفكرية لوتير (١٤٨٣ -
Luther ١٥٤٦ وكلفين (١٥٠٩ - ١٥٦٤) Calvin فانها
قاوما السلطة الدينية التي كانت متسلطة على العقول والاذهان .
ونفضا عنها غبار الاستكانة والتقليد . غير ان تاريخها ليس
من اختصاص هذا الكتاب وانما نوهنا بذكرهما هنا لانهما ايظا
الفكر من رقدة الغفلة والخضوع الاعمي . وكان للفلسفة حقل
وافر من هذا النشاط

وحذا حذوهما في حرية الفكر اراسم (١٤٦٧ - ١٥٣٦)
في مؤلفه « مديح الجنون » وتوماموروس (١٤٨٠ - ١٥٣٦)
في كتابه السياسي الانتقادي « الوهميات » اما راموس اوبطرس
الرامي (١٥١٥ - ١٥٧٢) فقد ناوا المشائين ورشقهم بالسنة
حداد حتى قام ضده . اغلب الرأي العام فقضي عليه في مذبح
سنت برتلمي .

وجاء مونتاني (١٥٣٣ - ١٥٩٢ Montaigne) ونخص في
جملته « ماذا اعرف » الشك الروحاني في كتبه المشحونة بالحقائق
وحذا حذوه صديقه وتلميذه شارون في انكاره معرفة حقائق
الاشياء بالرغم مما كتبه في مؤلفه « الحكمة »

أما العلماء فقد ولوا وجوههم شطر الطبيعة ونخص بالذكر
برندينو تليسيو « ١٥٠٨ - ١٥٨٨ Telesio » من كلابريا
فقد اوضح بجلاء ماهي الطريقة الحقيقية لدراسة العلوم وكبنيلا
« ١٥٦٨ - ١٦٣٩ Campanella » الذي قضى نحو السبعة
وعشرين عاماً في سجن نابولي فقد ألف كتاباً في « الفلسفة
الحقيقية » تتشابه في التبريب والتنسيق بالمؤلفات الحديثة .
وكذلك كتبه « مدينة السماء » تضمن اراً جديدة بالاعتبار

ولكن اشهر علماء ذلك الزمن هم بلا مراء : كوبرنيك
Copernic « ١٤٧٣ - ١٥٤٤ » كان عالماً فلكياً شرح النظرية
الحقيقية لحركة الارض

كذلك جليلي « ١٥٦٤ - ١٦٤٢ Galilée » الشهير مخترع
قوانين الثقل عضد كوبرنيك وانتصر له فكان جزاؤه الاضطهاد
حتى اجبر على الرجوع عن رأيه . ووضعت له الصيغة التي بها
يسفه رأيه فقالها ثم لفظ في ختامها هذه الكلمات الشهيرة « ومع
ذلك فهي تتحرك » يعني الارض e pur si muove

وفي ذلك الوقت أيضا قام كبلر « ١٥٧١ — ١٦٣٠ » Kepler
 أشهر بمؤلفيه عن « قوانين حركات الكواكب السيارة » وكانت
 أبحاثه في الفلك والطبيعة والميكانيكة سائرة على القاعدة الاختبارية
 التي سيشرح نظريتها باكون في بدء العصور الحديثة
 وأنا لنختم ذكر هذا الزمن بذكر جان بودين « ١٥٢٠ —
 ١٥٩٦ » من دلفت بهولندا فالاول مؤسس العلم السياسي ورأس
 الخطة التي اتبعها مونتسكيو فيما بعد ومؤسس فلسفة التاريخ في
 كتابه الجمهورية — والآخراول من كتب في حقوق الملل والدول
 في السلم والحرب

كل ما تقدم يدل على نضج الافكار ودنو امد جنيتها بالرغم
 عن بقاء الفلسفة والعلوم مختاطة ببعضها زمناً ولكن اقترب العصر
 الذي انصرفت فيه الميول الى درس الاثار الطبيعية وظواهر
 الكون بطريقة تجريبية مباشرة مقترنة بالتأمل الفكري الشخصي
 بدلا من التقييد بالتقليد

القسم الثالث

فلسفة العصور الحديثة

٥٧

تحررت الفلسفة في العصور الحديثة من سلطة القدماء وانفسح أمامها مجال التجربة والعقل ، وتاريخها في هذا العصر يتبدى من الجيل السابع عشر ولا يزال متمشياً مع العصر الحالي ، والنضال قائم بين المثاليين او العقليين وبين الحسيين او التجريبيين ففي الجيل السابع عشر انتصر المذهب العقلي مع ديكارت ولم يكن يمثل الحسيين سوى جصاصندي في فرنسا ، وبيكون وهوبز في انكلترا

وفي الجيل الثامن عشر انتقل المذهب الحسي مع فلسفة « لوك » الى فرنسا بواسطة « فولتير » وحل تدريجياً محل الفلسفة الديكارتية العقلية . غير ان هذا المذهب لم يتلاش بل انتقل الى ألمانيا بواسطة ليبنتز

وفي اواخر ذلك الجيل حصلت حركة رجعية ضد المذهب الحسي قام بها في انكلترا زعماء المدرسة الاسكتلندية « ريدوستوارت ميل وهملتون » ، وفي فرنسا دي بيران وكولاروز عماء المدرسة الانتحائية « كوزين . وجوفروا . وجوتيه » ، وقام بها في ألمانيا الفلاسفة كانت وفخته وشيلينج وهيغل

واستمرت هذه الحركة حتى منتصف انجيل السابع عشر ثم
استعاد المذهب الحسي نفوذه في انكلترا بواسطة دارون
وهربرت سبنسر وفي فرنسا بواسطة اوجست كونت ومدرسته
الوضعية .

ومع كل ذلك كانت المذاهب المتعارضة تتنازل لبعضها
البعض عن قسم من مزاعمها
وتنقسم الفلاسفة في هذا الدور الى ثلاثة مدد مطابقة للثلاثة
اجيال المذكورة أي السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر



المدرسة التجريدية

٥٨

بيكونه F. Bacon (١٥٦٠ - ١٦٢٦)

ولد فرنسيس بيكون في ٢٢ يناير سنة ١٥٦٠ في لندن وكان
ابوه اللورد تقولا بيكون وزيراً للعدلية مدة عشرين عاماً على عهد
الملكة اليبابات

أتم علومه في السادسة عشر من عمره في كلية كبريدج ثم التحق
بالسفارة الانكليزية في فرنسا . ولما مات أبوه ولم يترك له ثروة
اضطر الى العودة الى لندن وانتظم في سلك المحاماة وعينه الملكة
محامياً لجلسها الخاص .

وفي سنة ١٥٩٢ أنتخب نائباً عن كورتية مدلكس في مجلس
العموم . ولما ارتقى جاك الاول سريراً الملك أفرجت ضائقته
المالية اذ تمكن من اكتساب عطف الملك فتعين على التعاقب
محامياً عن الملكة فمدعياً صومياً فعضواً في المجلس الخاص فوزيراً
للحقانية وأخيراً مستشاراً خاصاً وكان ذلك سنة ١٦١٨ وقدم منح
لقب بارون فيرولام وفيكونت سنتلبان ، ورتبت له المرتبات
واصبح ذا جاه ونفوذ ومال .

١٤ فلسفة

ماذا حدث حينذاك ؟

سلك سلوكاً عاد عليه وعلى الملك ونديمه بوكنجهام بالفوائد المالية التي أضرت بمصالح الأمة . فثار عليه الرأي العام واتهمه أمام البرلمان بالارتشاء وبيع المصالح العمومية لبعض المقربين فحرصاً على شرف الملك لم يشأ المدافعة عن نفسه ولذلك حكم عليه بغرامة قدرها ٤٠٠٠٠ جنيهاً إنكليزياً وبالسجن في قلعة لندن سنة ١٦٢١ ولكن الملك عفى عنه متجاوزاً عن السجن وعن الغرامة .

فتخصص بكون اذ ذاك للبحث الفلسفي وظل الخمس سنوات الباقية من حياته مشغولاً بتأليف كتابه « الاصلاح الكبير » *Instauratio Magna* ، وكان يقسمه الي ستة أجزاء لم يتم منها سوى اثنين يصف في الجزء الاول أنواع العلوم وترتيبها . ويشرح في الثاني طريقته الجديدة *Novum Organum* . معارضاً به كتاب ارسطو « الاسلوب » أما باقي الاجزاء فلم يتم تأليفها وتوجد شذرات منها خاصة بالعلوم الطبيعية كتاريخ الرياح . وتاريخ الحياة والموت . والكثافة والندورة . والعقل والخفة الخ .

كان يكون متشرعاً . وسياسياً وخطيباً وكاتباً ومؤرخاً وفيلسوفاً . ونحن لا نتكلم عنه الا بصفته الاخيرة

فلسفة : أشهر نظريات يكون ثلاث وهي (١) تقسيم العلوم (٢) اسباب الخطأ ، (٣) موضوع العلوم الطبيعية وطريقتها (تقسيم العلوم) قسم يكون المعارف البشرية الى ثلاثة اقسام كبرى وهي التاريخ والشعر والفلسفة . تبعا للقوى الثلاث المتميزة في الانسان وهي الحفظ . والتخيل . والعقل ﴿ فالتاريخ ﴾ ينقسم الى طبيعي والى مدني ، ويتضمن المدني تاريخ الادب والتاريخ الديني . ﴿ اما الشعر ﴾ فيقسمه الى قصصي ووصفي وحماسي ورمزي .

﴿ والفلسفة ﴾ لها أغراض ثلاثة : الله والطبيعة والانسان غير انه يضع العلم الطبيعي في الصف الاول لان الطبيعة تؤثر على الفكر البشري بشعاع مستقيم . ونعرف الله بشعاع منكسر ، والانسان بشعاع منعكس فينبغي قبل كل شيء اصلاح الفلسفة الطبيعية أو بالحري تأسيسها من جديد .

(اسباب الخطأ) اكبر حائل دون رقي العلم الطبيعي هو الأوهام او الاشباح التي يدعوها يكون (idola) لانها تقف عثرة بين الفكر الانساني وبين حقائق الاشياء . وهي على اربعة انواع اوهام جنسية . ونوعية . وجمهورية . ومسرحية

فالأوهام الجنسية *idola tribus* هي التي تصدر عن طبيعة الانسان وتكون عامة بين الامرة أو القبيلة أو النوع الانساني جميعه وبذلك يصدر الانسان حكمه على طبيعة الاشياء بحسب طبيعته هو وليس بحسب طبائعها

والاوهام الخصوصية *idola Specus* تابعة لكل شخص وما يتصف به من الاخلاق والاميال والشهوات ولكل واحد شبه مغارة فلا يدخل اليها نور الطبيعة الا منكسراً مضطرباً والاهام العمومية *idola fori* تنشأ بواسطة الخطب والمنشورات فيظن الفكر انه يتصرف بالكلام مع انه خاضع له . فتارة تكون الالفاظ دالة على الاشياء الغير موجودة وتارة تكون الاماني التي تدل عليها تلك الالفاظ مشوشة مضطربة وقيلت صدفة أما الاوهام المسرحية *idola theatri* فهي اوهام أوجدتها المذاهب والنظم الفلسفية المختلفة وقد دحاها ليكون «مسرحية» لانه يشبهها بروايات تمثيلية ابتكرها الفلاسفة ومثلها كل واحد منهم بدوره ، وهي على ثلاثة أنواع : عقلية صرفة ، واختيارية صرفة ، وتصوفية .

(موضوع المعلوم الطبيعية) : متى تخلص العقل من جميع أوهامه أمكنه التخصص لدراسة الطبيعة . ولكن ما هو الغرض الذي يجعله نصب عينيه من هذا الدرس وكيف يصل اليه ؟

يتلخص رأيي بـ يكون في ثلاث نبذات :

- ١ - غاية العلم التسلط على الطبيعة أكثر من فهمها
- ٢ - لذلك لا يكون غرض الانسان معرفة العلة الغائية أو العلة الفاعلة ، إنما مقصده ان يعرف قوانين الظواهر الطبيعية أي العلة المشككة للأشياء

٣ - لا يمكن للعلم الوصول الى معرفة تلك القوانين الا بطريقة مغايرة تماما للاستنتاج البيولوجي أي بطريقة استدلالية تجريبية .

يقصد بـ يكون بنظريته تأسيس العلم على العمل فيكون قوة وعلم . وبعد ان كانت الفلسفة القديمة غنية فقط بالانفاظ ستكون غنية أيضا بالافعال وتجعل الانسان ليس فقط مبرأ عن الطبيعة بل مديراً لها أيضا .

ولكن ما الذي ينبغي معرفته لتسخير الطبيعة والتسلط عليها ؟

يكفي لذلك معرفة النواميس التي تهيمن على الطبيعة . فالمعرفة الحقيقية هي معرفة العلة *vere Scire Per causas scire* وصدق العلة هي الصورة المشككة

ولا يوجد في الطبيعة سوى كائنات وظواهر فردية ؟ الا ان هذه الكائنات صفات عامة وهذه الظواهر تحدث طبقاً

لقوانين عمومية

فالمعرفة لا تبحث في الأشخاص إنما موضوعها الصور
الجوهريّة للأشخاص . وليست هذه الصور خارجة عن الأشياء
بل هي صفات عمومية ثابتة ، بوجودها أو بنفيها تتعين وجود
أو عدم الظواهر المختلفة وخواصها

. ولكل مادة صورة ليست إلا حداً لمادة أعم منها بمعنى أنه
كلما كانت المادة الموجودة أسهل وأعم كانت الصور المكونة لها
بسيطة وعمامة ويمكن تخيل صورة واحدة تم كل الموجودات
وتكون بمثابة علة لوجودها ولما دلتها العمامة

بيد أن يكون يقول بأغلبية وجود عدد من الصور من
الدرجة الأولى Prima Classis يقارنها بحروف الهجاء ،
وباختلاف تركيبها تتألف جميع الشاظ اللغية

فمعرفة الصور هي خلاصة العلم . وهذه المعرفة دون غيرها
تبتكر جميع الموجودات التي يتخيل الينا أنها مختلفة

ومن رأيه أيضا أن لا معنى للصدفة أو الاتفاق حيث يقول
« لا يوجد في العالم الطبيعي كبير أو صغير إلا وله سبب ولا
يوجد شيء في الوجود أشبه بجزيرة وسط المحيط لا اتصال بينها
وبين اليابسة »

والطرق التي يجب ملاحظتها للوصول إلى المعرفة ثلاثة
أولاً — الملاحظة والاختبار وفيد الحوادث كما تحصل وهذه

الظواهر المستجمعة هي ما يدعواها يكون *instantia naturae* ثانياً — ترتيب تلك الظواهر في جداول ثلاثة وهي جدول الحضور وجدول الغياب وجدول الدرجات ومن أقواله بيكون أن العمل هو المقصد الأساسي للعلم وأن المعرفة هي القدرة. والحقيقة بنت البحث الزمني وليست وليدة التقليد. وأن العصر الذهبي نستقبله دائماً لأنه أمامنا ولم نخلفه وراءنا فيكون العقل في رقي وليس في تقهقر كما أن القليل من الفلسفة يؤدي إلى الإلحاد ولكن التبصر فيها يعيد الملحد إلى التدين.

النقد

مما لا نزاع فيه أن يكون مؤسس الطريقة الواجب اتباعها في العلوم الطبيعية ويرجع إليه فضل رقيها غير أن تلك الطريقة لا يجب تطبيقها على العلوم النظرية وأخطأ يكون أيضاً في عدم تطبيقه طريقته على العلوم النفسية إذ أنه أهمل ملاحظة الظواهر الباطنية ولا نظن أنه أنكر وجود الله كما يزعم بعض خصومه بل أنه يسلم أيضاً بالوحي أما تقسيم العلوم بالنظر إلى ترتيب قومي النفس فقد طرحت في

زوايا النسيان بعد ان طارت شهرته في الجيل الماضي
 ويلحق بمدرسة بيكون التجريبية هوبس وجاسندي ولوك
 ويمكن لنا ان نقول ان هؤلاء الرجال الثلاثة نشروا روح
 بيكون في جميع اقسام الفلسفة وكأنهم تقاسموا فيما بينهم نظريات
 مدرستهم : فهوبس رجلها الاخلاقي والسياسي ، وجاسندي
 علامتها وطبيعتها . ولوك عالمها النظري .

٥٩

هوبس (١٥٨٨ - ١٦٧٩) Hobbes

ولد توماس هوبس في مومسبري Malmesbury بكونتية
 ويلت وتلقى العلم في جامعة اكسفورد وكانت له صلة بجاسندي
 وغليلي وديكارت ولكنه كان قبل كل شيء تلميذاً ومعاوناً لبيكون
 في ابحاثه . وكان يستخدم التعليل الاستنتاجي
 أهم مؤلفاته كتاب « الانسان المدني » De Cive مؤلف من
 ثلاثة اقسام تبحث في الحرية والدولة والدين ، وكتاب لفياتان
 Leviathan أو كتاب المدنية طبع سنة ١٦٥١
 وألف أيضاً كتاب في الطبيعة البشرية وكتاب في المنطق

مذهب : ان الجواس مصدر المعرفة . وكل شيء ، ما عدا
الجسم ، وهم لا يتناولوه الفهم . فالفلسفة على هذا المبدأ هي علم
الاجسام ، والاجسام اما طبيعية واما سياسية . فالاولى تتضمن
الاجسام نفسها وما ندعوه نحن بالنفوس أيضاً ، والثانية تؤلف
الجمعيات البشرية

وقال ان جميع معارفنا تصدر عن الجواس ولكن لا شيء
يؤكد لنا ان الاحساسات والمشاعر تطابق اشياء حقيقية موجودة
فالحقيقة اذن ليست الا الفاظا والتعليل ما هو الا حساب عمل بناء
على علامات لا ثبات لها

وينشأ عن الاحساس الرغبة أو الخوف فهما المحركان الخفيان
لكافة أعمال الانسان

والتردد بين الرغبة والكراهة نحو شيء واحد يسمى
المدارسة . وبعد هذه المداولة اذا تفاضل أحد هذين الدافعين
على الآخر دعي التفاضل ارادة . وإمكان تنفيذ هذه الارادة
يدعى هزيمة .

كذلك مصدر الخير والشر يوجد في القوة الاحساسية .
فالانسان يعمل خيراً كلما سعى نحو اللذة وكبما ابتعد عن الألم .
فعلى رايه الغاية تبرر الوسطة .
ولقد بنى هوبس مذهبه السياسي على هذه الانانية . قال ان

الانسان للانسان عدو مبن *Lupus homo homini* وكل واحد يرغب في كل شيء لنفسه خاصة ويريد الحصول عليه والاستئثار به دون غيره. ولما كان الجميع يرغبون مثل بعضهم نشأت عن ذلك حالة حرب فيما بينهم *Bellum omnium contra omnes* فهذه الحالة التي يكون فيها الحق للقوة هي حالة الطبيعة. غير انها لا تشمل. فلكي يوضع لها حد يجب على الناس ان يتنازلوا لبعضهم البعض عن حقوقهم ويؤسسوا سلطة قوية لتضغط على القوات الشخصية وتسيطر عليها.

هذا أساس تأليف الهيئة الاجتماعية فخضعت كل هيئة لسلطان قوي يجب اطاعته مهما عمل

اما الدين فيجب ان يكون تابعا للدولة

وقد نلخص فيكتور كوزين مذهب هوبس فيما يأتي « انه مادي في العلم النظري . احساسى وارتيازي في المنطق قدرى واناني في الاخلاق . وحكم مطلق في السياسة .



جاسندي (Gassendi ١٥٩٢ - ١٦٥٦)

ولد بطرس جاسندي بالقرب من دني Digne بفرنسا
 ويعتبر زعيم المدرسة التجريبية في فرنسا في الجيل السابع عشر
 اندمج في سلك الكهنوت وعلم الفلسفة فاللاهوت فالرياضيات
 ذاع صيته حتى أنه عد أكثر الفلاسفة علما . وأكثر العلماء
 فلاسفة في الجيل السابع عشر .

كان متفقا مع ديكارت على ضرورة استبدال الأسلوب
 السلوجسي بأسلوب آخر . ولكنه اتخذ فلسفة مناقضة لفلسفة
 ديكارت وقام بينها جدال عنيف كان بدء العراك الطويل الذي
 انتشب بين المذهب الحسي والمذهب التصوري أو المثالي في
 العصور الحديثة .

كتب مؤلفاته باللاتينية

مذهبه : اراد جاسندي تمييز مذهب ابيقور . واعتناق
 مبادئه التي لا تتعارض مع الدين المسيحي ففلسفته توصف بأنها
 ابيقورية مسيحية

وفي المنطق يذهب الى ان المعرفة تصدر عن الحواس . والقوة .

الفكرية لا عمل لها الا تحصيل الظواهر التي تأتي بها الحواس .
ومقارنتها ببعضها البعض لترتقي من الخاص الى العام .
وفي العلم الطبيعي : يسلم بمبدئي ايتقور وهما الفضاء والذرات
ويبنى عليها جميع النظريات العلمية . بيد انه يعترف ان الله
خالق العالم وأول محرك له .

اما في الاخلاق : فمع تسليمه بالاصول المسيحية السامية
يقول أيضاً « ان الغاية من الحياة نوال المرغوب أي السعادة »
فهو بهذا المبدأ يمهّد الطريق لنظرية «المنفعة بمعناها الحقيقي»
التي كانت عقيدة الجيلين الثامن عشر والتاسع عشر .



٦١

لوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤) Locke

يعد مؤلف كتاب «مبحث في العقل البشري» الزعيم الحقيقي
للمدرسة التجريبية التي انتشر مذهبها في الجيل الثامن عشر في
انكلترا وفرنسا وكانت سببا في ظهور مذهب (كانت) الانتقادي
ولد جون لوك في التاسع والعشرين من شهر اغسطس سنة
١٦٣٢ في مدينة رنجتون Wrington بالقرب من برستول بكونتية
سومرست . كان والده من شيعة المطهرين واشترك في الحرب

الاهلية التي انتشرت أيام اضطراب حكم شارل الاول
اما لوك فظل منتصباً للحزب الحر

تلقى دروسه الثانوية في مدرسة وستمنستر بلندن ثم التحق
بجامعة اكسفورد . ولما بلغ السابعة والعشرين من عمره قرأ للمرة
الاولى مؤلفات ديكارت فاثرت فيه تأثيراً كبيراً

ومنذ ذلك الحين عدل عن اعتناق الرهبنة التي كانت مطمح
انظاره وعزم على ان يكون طبيباً

رحل الى فرنسا واقام فيها من سنة ١٦٧٢ الى سنة ١٦٧٩
وزار مدينة مونبلييه . ولما عاد الى انكلترا كان موضع ريبة
عائلة ستوارت الحاكمة فالتجأ الى هولنده وبقي فيها حتى ثورة
عام ١٦٨٨ فعينه غليوم دورانج معتمداً للامانة على التجارة
والمستعمرات . ومات في مدينة وطن Oates في ٢٨ اكتوبر
سنة ١٧٠٤ بالغاً من العمر اثنين وسبعين سنة

(مؤلفاته) — ترك لوك مؤلفات تتفاوت في القيمة . منها

كتاب « فحص رأي ملبرانش في الابصار بالله » ورسالة في
التساهل . وكتاب في تربية الاطفال . ومبحث في الحكومة
المدنية .

يبدأ ان مؤلفه الشهير الذي بدأه في اكسفورد وأتمه أثناء
تفقيه ونشره في لندن سنة ١٦٩٠ هو كتاب « اختبار العقل

البشري *Essai sur L'entendement humain* ويقصد فيه « ارشادنا الى الوسائل التي بها يدرك العقل معاني الاشياء وما هي حدود المعرفة اليقينية وما هي الاساسات التي تبنى عليها الآراء السائدة بين الناس »

(فلسفته) : تلخص في نظرياته (١) النفسية والنظرية (٢)

نظرياته الاخلاقية والسياسية

اما الاولى فنجدها مشروحة في كتابه « اختبار العقل البشري وهو مقسم الى اربعة كتب تبحث (١) في المعاني الغريزية (٢) في صور الاشياء (٣) في الالفاظ (٤) في المعرفة

(الكتاب الاول) في المعاني الغريزية :

خصص لوك هذا الكتاب لدحض نظرية الغريزة ، قال ان المعنى الغريزي يجب ان يكون أصلياً وعماماً شاملاً بيد ان الاختبار أظهر لنا ان الاصول الاولى سواء كانت نظرية أو عملية ، ليست أصلية منذ الخليقة بما ان الاطفال غير حاصلين عليها ولا يفهمونها وليست أيضاً عامة شاملة لانها لا توجد عند البلهاء ولا المتوحشين فهي اذن مكتسبة كالصور التي تحتذيها — وقد بين في الكتاب الثاني كيف تكتسب

(الكتاب الثاني) في الصور :

يفترض لوك ان نفسنا في بدئها كلوحة بيضاء خالية من كل

معنى ذهنى . اما الصور التي ترسم عليها فيما بعد فهي ثمرة التجربة
ومما لا شك فيه ان تصوراتنا على نوعين تصورات بسيطة
وتصورات مركبة

وتشتق التصورات البسيطة من مصدرين وهما الاحساس اذا
كان موضوعها الصفات المحسوسة كاللون والسمع وغيره ، والتأمل
اذا كانت تتعلق بالنفس كالتفكير والارادة.

اما التصورات المركبة فهي نتيجة مزج او تعميم التصورات
البسيطة فهي بهذا الاعتبار تصدر عن الاختبار
وبهذا يفسر لوك معنى العلة والجوهر والسرمدى الخ ويرجعها
الى معاني التوارث والتجميع واللامحدود الخ
(الكتاب الثالث) فى الالفاظ :

قال لوك ان المعرفة تتألف من جمل فيحسن اذن قبل كل
شئء التكلم عن الالفاظ التي تتكون منها الجمل
وقد تضمن هذا الكتاب مباحث شيقه لاستعمال الكلام
وما يؤديه من الخدمات للفكر . غير ان لوك لم ينحرف عن مذهبه
الحسي فيقول ان جميع الالفاظ « الاصلية » تدل على معان
حسية وان جميع اغلاطنا على وجه التقريب ترجع الى اغلاط
لفظية وان جميع الجمل العمومية مجرد اصطلاحات لا ترتبط باي
حقيقة واقعية

(الكتاب الرابع) في المعرفة :

تتناول المعرفة العالم المحسوس أو الآنية الشخصية . أو
الارواح أو الله .

فنحن لا نعرف العالم الخارجي الا بالتصورات التي نتصوره
بها فلذلك لا تكون معرفتنا صحيحة الا اذا كانت تصوراتنا
مطابقة لموضوعها . ولحل مسألة مطابقة التصورات على الاشياء
تميز لوك بين نوعين من الصفات توجد في الاجسام ، وهي اما
صفات أولية ، أو صفات ثانوية . فنحن لا نستطيع معرفة الصفات
الثانوية مباشرة . بل الاولى فقط هي التي تنتقش على الذهن
بواسطة صورة تماثلها

اما الآنية الشخصية فنعرفها من تلقاء الذات وهذه المعرفة
واضحة كوضوح الشمس في رابعة النهار
اما الارواح لا يمكن ان ندركها بدواتنا ولا يمكن تمثيلها بأي
صورة، والوحي هو الذي يؤكدها لنا وجودها . اما ماهيتها فليس
لنا بها علم لان الله كان في مقدوره ان يعطي المادة قوة التفكير
ومعرفتنا بالله تكون بواسطة البراهين الطبيعية ، أما الدلائل
الديكارتية فلاقيمة لها .

نظرياته الانفردية والمياسية: يخالف لوك مذهب هوبس
في السياسة . ويحبد مباديء الحرية فالناس احرار بالطبع ولا

يمكن ان يخضعوا لاي سلطة الا بمحض رغبتهم فيجب اذن ان يكون حصل التعاقد قبل كل اجتماع مدني بيد ان موضوع ذلك العقد هو ضمان الحقوق الطبيعية السابقة لكل حق اجتماعي ويجب على الجمعية البشرية ان تحترمها فحسب بل وتدافع عنها من كل اعتداء

ولما كان الناس متساوين واحراراً فحقهم الاساسي هو اتمام حريتهم ويتعلق بالحرية حق الملك وأساسه العمل ، وحق الدفاع عن النفس

والفرد بدخوله في الجمعية البشرية لا يتنازل عن تلك الحقوق انما يترك للسلطة الاجتماعية حق الدفاع عن النفس فيتحول في يدها الي حق العقوبة

والحاكم وكيل الامة التي تستطيع في كل وقت استرداد الوكالة اذا رأت اساء التصرف

كذلك يجب على الحكومة ان تتساهل لجميع المحكومين فيما يختص بمعتقداتهم واديانهم

أما مذهبه الخلقى فيؤول الى نظرية السعادة الذاتية أو

المنفعة لان الخير في نظره كل ما يؤدي الى استحقاق مكافأة
والشر ما يستوجب العقاب . فالحرية الخلقية هي لا تتخطى حرية
العمل .

المنقل تعد فلسفة لوك بدء المقابضة ضد مذهب ديكارت

العقلي الذي كان له السيطرة على العقول في الجيل الثامن عشر .
ولو ان لوك كان متأثراً اكثر من سيكون بفلسفة ديكارت .

لقد اخطأ الفيلسوف في نظريته في أصل المعرفة وقيمتها اذ
جعلها تابعة للتجربة وهي تؤدي بلا شك الى فلسفة بركلي الارتيازية
من الواضح ان افكارنا الحسية لا تتفق في شيء مع المادة
نفسها ولو فرضنا ان افكارنا تتشابه مع موضوعاتها فلا يمكننا ان
نعرف اذا كانت تلك الافكار تمثل حقيقة الصور الواقعية

اما الحرية فلا تكفي لانتاج الحق كما ان تراضي الطرفين لا
تتولد عنه السيادة

اما نظريته الخلقية والنفسية فقد اثرت على الخصوص على
مونتسكيو في كتابه «الحكومة المدنية» وعلى روسو في رسائله
في التربية



المدرسة العقلية

٦٢



ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠)

Descartes

في متحف مدينة الهاي La Haye رسم صنعه المصور الشهير ومبرانت سنة ١٦٣٢. يمثل الاستاذ «ظولب» يلقي درساً في التشریح على الوف الطلبة المحيطين به المعجبين بعلمه

فهذا الرسم البديع يمثل لنا شهرة ديكارت وتأثير فلسفته على العلماء والمفكرين بالرغم عن كرهه للتظاهر ومحبته للعزلة والانفراد ولد رينيه ديكارت في ٣١ مارس سنة ١٥٩٦ في مدينة الهاي وكان ابوه مستشاراً في برلمان رينس Rennes أم دروسه في كلية اليسوعيين في فليش بمقاطعة انجو سنة ١٦١٢ ثم شخص الى باريس في السنة التالية وانكب على درس الرياضيات مع رفيقه في التلمذة الاب مرسين. ثم درس الحقوق وحاز اجازتها سنة ١٦١٦ وكان عمره حينذاك عشرين ربيعاً. وبعد ذلك انتظم

في الجندية كما هي عادة الاشراف في ذلك الوقت وقد وقع اختياره على فرقه موريس دي ناسو التي كانت معسكرة في بريداه هولندا فظل فيها عامين ثم حضر تتويج الملك فرديناند الثاني في مدينه فرنكفورت في ٩ سبتمبر سنة ١٦١٩ مع انه كان ممنوع دخول الاجانب الى المدينه في ايام الاحتفالات

واخيرا قضى الشتاء في نويرج على نهر الطونه ويرجع الى خلوته في تلك المدينه اكتشافه « اسلوبه المنطقي » الذي اهمه الله اليه كما يقول . وكان سروره بذلك عظيما حتى انه نذر الحج الى كنيسة العذراء في لوريت وكان قد بلغ الثالثة والعشرين من عمره

ترك ديكرت جيش موريس دي ناسو وتطوع في جيش دوق بنغاريافحضر موقعة الجبل الابيض التي استولى فيها الجيش على مدينة براغ . ثم انتقل الى جيش الكونت بوكوا ولما قتل الكونت وانهزم الجيش طلق ديكرت الجندية بعد ان خدم فيها اربع سنوات وطاد الى تحصيل العلوم وقد آل على نفسه « ان لا يطلب من المعرفة الا التي يجدها في نفسه وفي كتاب العالم » وهو لذلك سافر كثيراً وتجول في انحاء مختلفة مجتهدا ان يكون كشاهد اكثر مما يكون كمثل للروايات التي تمثل في العالم »

وبقي ديكرت حتى سنة ١٦٢٩ متردداً في اختيار مهنة له . واعتقد في ذلك الحين « ان لا شيء أحسن له من ان يقضي حياته

في تهذيب عقله والتبحر بقدر إمكانه في معرفة الحقيقة «
 فأقام في هولنده بأمل ان يجد فيها العزلة والحرية اللتين هو في
 أشد الحاجة اليهما فمكث فيها زهاء العشرين عاماً يكتب مؤلفاته
 ويتخبر بواسطة الاب مرسين مع جميع علماء زمنه

وفي سنة ١٦٤٩ شخص الى ستوكهولم (بالسويد) بناء على
 دعوة من الملكة كرسديانة الا ان البرد كان قارصاً فرض بذات
 الرثة وتوفي بها في الحادي عشر من شهر فبراير سنة ١٦٥٠
 بالغا من العمر اربعة وخمسين عاماً . ونقلت رفاة الى فرنسا بعد
 ستة عشر عاماً فدفنت في باريس في كنيسة سانت اتيان دي مونت
 (مؤلفاته) كتاب الاسلوب . وشهوات النفس — كتابا

وطبعا باللغة الفرنسية . تأملات في الفلسفة الاولى . ومبادئ
 الفلسفة كتابا باللاتينية وترجمها بعض اصدقاء المؤلف في حياته
 كتاب العالم . والانسان والرسائل طبعت بعد موت المؤلف .
 أضف الى ذلك مصنفاته الكثيرة في الرياضيات والعلم الطبيعي
 (فلسفة) تتضمن الفلسفة الديكارتية الغرض الذي قصده
 والنقطة التي بدأ منها فلسفته . وأسلوبه . ورأيه في النفس .
 وفي الله وفي العالم . وفي علاقة النفس بالجسد .

فغرضه تشييد بناء المعارف البشرية على أسس جديدة لان
 المعرفة بالحالة التي كانت عليها في عصره لم ترو غليله فهي غير

مؤكدة باصولها وعقيدة بنتائجها

فبعد ان ابقى علي حدة الحقائق الخاصة بالدين ووضع لنفسه
بعض قواعد اخلاقية ليسلك موقفا بمقتضاها « طرح ظهرياً كلاماً
يمكن ان يلحق به ادنى ريب كأنه غير صحيح » فحواسه وذاكرته
وعقليته ، تخدعه احياناً وهو يريد الافتراض ان هذه القوى
تخدعه دوماً حتى انه افترض أيضاً وجود روح خبيث يسره ان
يهيء له الشيء على غير حقيقة . فبدأوه « الشك في كل شيء »
انما ارتيابه هذا ليس الا وسيلة يرتقي منها للوصول الى الحقيقة
وهذه الحقيقة ممكن ادراكها وهي تتألف من أصول معدودة
واضحة يجدها العقل في ذاته ولا تخرج عن ثلاث تصورات وهي
الفكر والامتداد والكمال

اسلوبه يتلخص اسلوبه في اربعة قواعد اساسية وهي

أولاً - (الوضوح) للوصول الى الحقيقة « لا اسلم بصحة
أى شيء الا اذا اتضح لي جلياً انه صحيح »

كل خطأ فهو اختياري ، فنحن نخطيء لان الارادة تصدق
مالا يدركه الفهم جلياً

ثانياً - (التحليل) تقسيم كل صعوبة تعترض بحثي الى
اقصى ما يمكن من الاجزاء لحلها على أحسن وجه

ثالثاً - (التركيب) ترتيب افكارى مبتدئاً باساليبها
معرفة مرتقياً الى الاصعب فالاصعب

رابعاً - التجزئة تجزئي الشيء تجزئاً تاماً وفاحصاً كل
جزء على حدة بحيث لا يفوتني واحد منها

فهذه القواعد هي ملخص أسلوب المهندسين غير ان ديكارت
ظن ان في امكانه تطبيقها « على جميع الاشياء التي تتناولها
معرفة الناس »

(فلسفة النفسانية) بدأ ديكارت يطبق أسلوبه على الآنية
أو النفس البشرية فهو اذا شك وارتاب في كل شيء يبقى أمامه
شيء واحد لا يتطرق اليه شكه وهو الفكر وقد استخلص
من التفكير معنى الوجود : قال انا افكر اذن انا موجود
Cogito, ergo Sum

وعلى ذلك يكون الانسان في النفس ، والنفس ليست سوى
الفكر لانه اذا فرض ان ما نسميه جسداً لا وجود له في الواقع
فالروح مع ذلك تستمر في التفكير والعكس بالعكس اذا بطل
التفكير انعدم الوجود حتى لو بقي الجسد في الواقع
فالفكر هو جوهر الوجود بمعنى ان الروح التي بها تظهر
هويتي وتتميز آنيته تخالف الجسم في الجوهر . فهذا مادة
وتلك جوهر

وجميع طرق التفكير التي نلاحظها في ذواتنا ترجع الى
طريقتين عامتين احدهما الادراك بالفهم . والآخر توجيه الارادة
فالحالة الاولى انفعالية والتغيرات التي تطرأ على الفهم عند
ادراك الاشياء تدعى « صوراً idée » وهذه التصورات على

(١) عرضية adventice وهي التي تتولد في النفس من
مراى الاشياء الخارجيه كالالوان والاصوات وغيرها
(٢) صناعية أو تخيلية factices وهي التي توجد في النفس
بتحليل أو بتأليف تصورات اخرى ببعضها البعض كتصور جبل
من ذهب وتوهم نهر من لبن

(٣) غريزية او مطبوعة innées وهي التي تجدها النفس
مهيأة في ذاتها من أصل الخلقه ، ومن خاصتها الفكرية
كالامتداد والكمال

وتدعى تلك التغيرات أيضاً « شهوات » اذا كانت مظهراً
لحركات الاعضاء الباطنية وترجع الى ستة أصلية وهي التعجب
أو الدهشة ، والسرور ، والكدر ، والحب ، والبغض ، والرغبة
اما همل الارادة فعلى نوعين وهما « الحكم » الذي بموجبه
نوافق أولاً نوافق على عمل ما + وذات الفعل

ويرى ديكرت ان الحكم أثر من اثار الارادة فيقول ان
بالعقل وحده لا أثبت ولا أنقضى أي شيء انما ادرك به معنى
الاشياء التي يتسنى لي اثباتها او نفيها

فالارادة اذن لا رابطة ولا حد لها . بما اننا نستطيع ان نريد
أو لا نريد . ونؤكداً وننكر كل شيء

اما العقل فمحدود ، والخطأ ينشأ من عدم وجود نسبة بين

هتين القوتين اللتين تتقاسمان طبيعتنا

فالنفس تتجاوز في حكمها الاشياء التي تراها ولذلك تخطيء
فلو انها حصرت تأكيداتها في التصورات الظاهرة الجلية الوضوح
لما اخطأت مطلقاً

فيكون التسرع الاختياري في الحكم هو سبب الخطأ . كما
ان الارتياب او بالحري التروي الاختياري في الحكم هو
التحرز من الخطأ .

والحرية معناها اننا نستطيع ان نعمل الشيء أولاً نعمله . بيد
ان كمال هذه الحرية في مطابقة العمل على مدركات العقل الواضحة
بمعنى ان حرية الانسان تكون في العمل كما يقتضيه الحق

وللارادة الحرة قوة التأثير على نزعات النفس فتسود عليها
وتصلحها أو تعدها . ولذلك يتبرر علم الاخلاق

وقد استعار ديكارت مذهبه الخلقى من مبادئ الرواقيين
كما يفهم ذلك من رسائله الى الاميرة اليصابات فالخير المطلق هو
ما تستطيع عمله وتصمم على فعله وتجد مسرة في تنفيذه وهذه
المسرة تكون في ما تحكم على فعل بانه حسن وتعمله

(فلسفة في الله) استخلص ديكارت من نفسه وتفكيره

وجود الله وآتى براهين ثلاثة على وجوده قال :

(١) انا موجود ولست كاملاً . فاننا لم أوجد ذاتي فاذن الله

موجدني فهو موجود

(٢) ان ذاتي مدركة للكمال . فالذات الكاملة هي التي اوحى الى بوجودها فالله اذن موجود بكماله لانني لو كنت السبب في وجودي لما تصورت في تقصاؤا لأعطيت ذاتي الكمال مع الوجود .
(٣) الوجود ملازم للكمال وتصور الكمال يتضمن الوجود الحاضر الذي هو في الكمال فاذا كانت الذات الكاملة موجودة

ولكي نتبين صفات الله يكفي ان نسائل انفسنا عن كل تصور نتصوره : هل من الكمال ان نحوزه أم لا وبذلك ينتفي من دوية الله كل تركيب وبالتالي كل مادة فالله ليس مثلنا مركب من امتداد وفكر إنما هو فكر صرف وأهم صفات الله ثلاثة وهي القدرة او الحرية المطلقة والثبات أو عدم التغير . والصدق

(١) الله مطلق الحرية وقادر على كل شيء لا حصر لارادته وما الصدق والكذب . والخير والشر الا من خليقته * وقد تكون الرياضيات وعلم الاخلاق غير ماهي عليه لو اراد الله ان لا تكون كذلك . . والحقائق المنطقية والرياضية المحتمة علينا ليست الا عرضية بالنسبة له . كذلك كل موجود مرتبط بارادته الحرة وما العالم يباقي الا لان الله حافظ له وهذا الحفظ كخلاقة مستمرة

(٢) اذا كان ينافي الكمال الالهي تملق الله بقوة خارجة عن ارادته الذاتية كذلك أيضا ينافي كماله الافتراض بأنه يمكن ان يغير في او امره فهو اذن ثابت غير متغير والحقيقة ايضا واحدة لا تتغير . وهذا الثبات الالهي يظهر في العالم بوجود النواميس المنظمة له على حالة واحدة وعلى الخصوص قوانين الحركة العامة التي لا تفارق حركة واحدة

(٣) كذلك أيضاً ينافي كماله الافتراض بأنه يريد خداعنا ولذلك تظهر لنا الحقيقة كما هي بغير تبديل لأنها مؤسسة على الصدق الالهي

(العالم الطبيعي) وعلى نظرية الصدق الالهي توصل ديكارت الى اثبات وجود العالم الطبيعي :

فالعالم يتكون من الامتداد . اما جميع الصفات الاخرى كاللون والصوت والرائحة الخ لا توجد فيه بل في نفوسنا لانها في الحقيقة ليست سوى معاني حسية ونتيجة ذلك تفسير العالم بقضية هندسية وميكانيكية

فطريقة ديكارت في الطبيعة طريقة بديهية بها تتولد النتائج عن الاسباب أو المعلولات عن العلل ، فعوضاً عن ملاحظة العالم كما يترأى لنا . يخلقه من جديد بواسطة الفكر ولا يستخدم التجربة الا لتحقيق الافتراضات التفصيلية

يبعث الله الحركة في الامتداد وباستمرارها تتألف الكواكب
وتتحرك وتتوازن . والنباتات والحيوانات تنظم وتعيش
وتنتج انواعها

وليس من الضروري افتراض وجود علل غائية

فالحركة الاولى بقوانينها الحافظة لها والمهيمنة عليها تكفي
لتفسير كل شيء . والكون آلة لا يلتفت النظر الا الى اشكالها
وحركاتها . والحياة الظاهرة آلية . وما البهائم الا آلات متحركة
بذاتها لا نفوس لها لان ارواحها ليست سوى اجزاء دقيقة من
الدم تحركها حرارة القلب

اما أهم المبادئ الطبيعية فهي

١ - كل شيء يثبت على الحالة التي هو عليها طالما لا يطرأ
عليه شيء آخر يغيره

٢ - كل جسم يتحرك يميل بذاته الى التحرك في اتجاه مستقيم
٣ - كل جسم يصطدم بجسم اقوى منه يفقد اتجاهه
وليس حركته

٤ - كل جسم يتقابل بجسم آخر اضعف منه وقادر على
تحريكه يفقد من الحركة بقدر ما يطيئه منها لذلك الجسم

٥ - مقدار الحركة تظل كما هي بدون زيادة ولا نقصان

(معرفة الله من بالجسد يرى ديكارت ان الفرق في الصفات

الجوهريّة يستلزم التمييز بين الجواهر . فاذن تتميز النفس عن الجسد الا ان هذين الجوهرين متحدان بالقدرة الالهية . ومستقر النفس في الغدة الصنوبرية الكائنة في وسط المخ . ومنها تتشعب في سائر اجزاء الجسم بواسطة الاعصاب والارواح الحيوية وينطبع عليها ما يأتيها من الخارج من التأثيرات المختلفة التي تنقلها اليها تلك الاعصاب . وليس لاحد الجوهرين تأثير في فعله على الآخر .

(نقد فلسفتهم) ليس من غرض هذا التاريخ نقد

جميع النظريات التي قال بها هذا الفيلسوف . ولكننا نكتفي بابداء بعض ملاحظات

(١) ليس ديكارت مرتاباً غير ان شكه الترتيبي غير

معقول ومضر .

من المسلم به ان ديكارت لعزمه على ان لا يقبل الا الحقائق التي لا نزاع فيها . نبذ كل معرفة يمكن للعقل ان يرتاب بها . ولكن هل من المعقول ان يشك في صحة قوانا . وان يقول بافترضه بوجود روح خبيثة تمخدع ؟

ان مثل هذا الشك يؤدي حتماً الى السفسة Scepticisme

ومها كان وضوح قاعدة « انا افكر اذن انا موجود » فلا

استطيع التثبت منها اذا كان عقلي مخادعاً

(٢) ان لقاعدة الوضوح التي هي اساس اليقين . موانع خطيرة
فالوضوح في نظر ديكارت شيء بايني وبذلك لا يكون اليقين الا
تبعياً . بالاضافة الى المفكر . فمن ذا الذي يؤكد لنا مطابقة ذات
الشيء على الفكر الخاص به :

يقول الفيلسوف . ان الصدق الالهي هو الضامن لهذه المطابقة
فكأنه لا يعلم الا بالوضوح النظري . ويميل الى جعل جميع
القضايا الفلسفية مما كانت الى مسألة علاقة بمتعلق أو بالحرى
الى ان يطبق الطريقة الهندسية على جميع الموضوعات ويهمل
طريقة الاستقراء .

فخطر قاعدة الوضوح كما وصفها ديكارت هي ان يحمل العقل
على نبذ كل سلطة فلا يعلم الا بالوضوح الذاتي الشخصي
٣ — جعل ديكارت وحدة المركب الانساني والشخصية
البشرية جعلها اثينية

فبقتصر الروح على الفكر . والجسم على الامتداد . جرد
هذين الجوهرين من كل عمل شخصي ومهد الطريق للمذهب الحلولي
الذي يزعم ان الله دون غيره هو الموجود . وان الله وحده
هو الفاعل

كذلك نظرية الحكم والخطأ . ونظرية الافكار الفرزية .
وتحرك الحيوانات الآلى . كل هذه اظهر معظم الفلاسفة خطأها
غير ان مجدد ديكارت في مذهبه الروحاني وفي التحكيم

بالقوانين الطبيعية الحديثة كما انه هو أول من طبق الجبر
على الهندسة

خلفاء ديكارت

٦٣

ارنو (١٦١٢ - ١٦٩٤) Arnauld

ونيقول (١٦٢٥ - ١٦٩٥) Nicole

هما مؤلفا منطق بورت رويال

فهذا المنطق الذي اختلطت فيه مبادئ ديكارت مع مبادئ
ارسطو له شهرة يستحقها ومقسم الى اربعة اقسام تبحث في المعاني
وفي الحكم وفي التعليل وفي الاسلوب

بسكال (١٦٢٣ - ١٦٦٢) B. Pascal

ولد في كليرمون وكانت له يد فعالة في النضال الذي اقامه
الجانسنست ضد اليسوعيين

وقد اشتهر بسكال بذكائه وفطنته وثاقب فكره . ويجب

ان نيمر زمنين في حياته الفلسفيه

ففي المدة الاولى (١٦٢٣ — ١٦٥٤) كان متشيعاً لمذهب
ديكارت وكان يفرق بين الايمان وبين العقل وقد مجد العقل
وقوته ورقيه

وفي المدة الثانية (١٦٥٤ — ١٦٦٢) كان متشيعاً
لجانسيوس واوجد باباً للشك • وكان ينفض من قيمه "العقل
ويشنع بالطبيعة البشرية

بوسوييه (١٦٢٧ — ١٧٠٤) Bossuet

هو اسقف مو • وقد استعان بنظريات ارسطو والقديس
توما وديكارت لتعليم ولي عهد فرنسا واهم كتبه • كتاب حرية
الاختيار وكتاب المنطق « ومعرفة الله والنفس »

وهذا الكتاب الاخير يحتوي على خمسة فصول تبحث في
النفس وفي الجسم وفي اتحاد النفس بالجسد • وفي الله • والفرق
العظيم بين الانسان والحيوان

ولو ان بوسوييه متأثر بفلسفة ديكارت الا انه يخالف هذا
الاخير في بعض مسائل منها انه يقول باتحاد النفس بالجسد اتحاداً
جوهرياً ويشرح شرحاً مستفيضاً العلاقات التي بينها اما في مسألة
نفوس الحيوانات فانه يمنحهم نفساً حسية

فنيلون Fenelon

هو مطران كبراي له جملة كتب فلسفية اهمها كتاب «وجود
الله وصفاته» قسمه الى قسمين
شرح في القسم الاول أدلة وجود الله من النظام الحسن الذي
يسود في العالم . ودحض مذهب ابيقور
واتبع في القسم الثاني اسلوب الشك الترتيبي وابتان البراهين
على وجود الله من المعاني العقلية ودحض مذهب اسبينوزا الحلوي
ثم ختم الكتاب بفصل بليغ في ماهية الله وصفاته
ومن رأي توماس ريد أن شرح فنيلون للاسلوب الشكي
الذي ابتكره ديكارت هو أوفي وأظهر شرح

كلارك (١٦٧٥ - ١٧٢٩) Clarke

هو فيلسوف انجليزي تخرج من جامعة كبريدج وكان تلميذا
لنيوتن . ومن رأيه ان المكان والزمان من صفات الله واستخلص
من هذين المعنيين برهاناً جديداً لاثبات وجود الله . غير ان ليبنز
ناقضه في ذلك

ملبرانش (Malbranche (١٧١٥ - ١٦٣٨)

ترجمته : ولد نقولا ملبرانش في باريس واندسج في سلك
رهبنة اخوية الاوراتوار وعمره اذ ذاك اثنين وعشرين سنة .
وكانت قرأته لكتاب ديكارت « في الانسان » الباعث له على اعتناق
الفلسفة . وبعد دراسته للعقيدة الديكارتية نحو العشرة سنوات
كتب مؤلفاته التي هذب فيها نظريات زعيمه . وأحياناً كان
يناقضها .

وطالما جادل علماء عصره نذكر من بينهم بوسويه وارنو .

مؤلفاته : أهم مؤلفاته هي : كتاب الطبيعة والنعمة . وكتاب
مباحث في العلم النظري والدين . وكتاب في الاخلاق . ثم
كتاب البحث عن الحقيقة مقسماً الى ستة أبواب تبحث في
الحواس . والتخيل . والعقل . والميول . والاهواء . والاسلوب
وجميع مؤلفاته هذه كتبت بانشاء جزل وأسلوب راقى ،
وفكر عال ، تؤثر في نفس القاريء كما أثر كتاب الانسان
ديكارت في نفس ملبرانش

ويعد ملبرانش فيلسوفاً نظرياً واخلاقياً

أما مذهبه اللاطبيعي فيتلخص في ثلاثة نظريات وهي
الإبصار في الله . والعلل العرضية . والتفاوت الحسن

(١) الإبصار في الله Vision en Dieu

يقول ملبرانش اننا نعرف اربعة انواع للكائنات وهي الله .
ونفسنا . والأرواح الاخرى . والجسم
فالله يعرفنا بذاته ونبصره مباشرة لانه لا يوجد أي مثال
يمثل ذاته العلية .

ونعرف أنفسنا بالوجدان أو بالشعور الذي نحس به بتغيرات
تلك النفس .

ولا نعرف باقي الأرواح الا بطريق الظن أو المقارنة . أما
الاجسام فنعرفها بمثلها

ولكن يجب التمييز في هذه المثل بين « الشعور » الذي هو
حالة من حالات نفسنا وأوجده الله فينا ، وبين المثال السرف
فمن أين يأتي لنا هذا المثال .

يقول ملبرانش « انه من الضروري حتماً ان هذه المثل اما
تأتي من الاشياء المادية . واما ان للنفس قوة لابتكار هذه المثل
كما ذهب الى ذلك ديكارت . ولكن يصعب على النفس ان تتخيل
صور أشياء مادية لا وجود لها كما ان المصور لا يستطيع ان يرسم
على لوحته أشياء لم ترها عينه من قبل

واما ان الله أوجدها في نفسنا وقت خلقها . بيد انه كيف
يسوغ افتراض خلق مُثُل لاعدادها بينما توجد طريقة ابسط
من ذلك تليق بجلال الخالق في ايجاده من العدم تلك المثل
واما انه يوجد هذا المثل في ذات الوقت الذي تفكر فيه
بشيء ما — ولكن يجب ان تكون الاشياء التي تفكر بِمُثُلِها
موجودة . واما ان النفس تجرد في ذاتها جميع الكلمات التي تراها
في هذه الاجسام . وهذا يستحيل لانه لا يوجد تشابه بين كمال
النفس وبين جواهر الاجسام

بقي الحل السادس وهو ان النفس متحدة بذات كاملة .
تتضمن جميع مُثُل المخلوقات وهذه الذات تكشف للنفس عن
تلك المثل لمناسبة التأمل فيها

فهذا الحل هو الانسب ويدعى ذلك الابصار في الله .
فحقيقة الاشياء الظاهرة ليست مؤكدة لنا الا بالوحي .

(٦) العال المرصية

كما ان الله دون غيره موضوع المعرفة كذلك هو أيضاً العلة
الحقيقية الوحيدة .

لم يكن الامتداد في نظر ديكارت سوى الاستعداد لقبول
الحركة . ولا قدرة له على التجزء الى ما لا نهاية . وينتج عن ذلك
ان الجسم غير كفاء لان يؤثر على جسم آخر وان المادة منفصلة

بنوع عام

كذلك الفكر لا يمكن له التأثير . وقد قال ملبرانش في كتابه « البحث عن الحقيقة » انه لا يمكن للأجسام ان تكون علة حقيقية لاي شيء كان . وكذلك الأرواح مهما كانت سامية فليس لها قوة ما »

فالنفس لا تفعل بل تنفعل . وبداهة لا تؤثر نفس على نفس كما يرشدنا اليه عقلنا . غير ان الاختبار أظهر لنا عكس ذلك فكيف تفسر هذا التناقض ؟

لم ينكر ديكارت اتصال الجواهر ببعضها البعض . ولكنه صرح بأنها منفصلة عن بعضها بدون ان يرشدنا الى كيفية اتصالها أما ملبرانش فقد ذهب الى ان العدم من استاذة . فانه وضع نصب عينيه تعاريف ديكارت في النفس والجسد واستنتج منها عدم قدرة الفكر والامتداد على العمل بالذات

هنا تتداخل الذات العلية لحل مسألة اتحاد النفس بالجسد . فالحل وحده مصدر الحركة وهو العلة الفاعلة لكل ما يحدث . اما الخلائق ، عديدة الحركة ، فهي أسباب عرضية حدثت اتفاقاً بفعل الله .

فمناسبة الاحساسات والافكار والرغبات النفسية . يثير الله الحركة في الجسم . ومناسبة حركات الجسم يثير الله في النفس الاحساسات والافكار والارادات .

فكل من ينظر الى العالم نظرة سطحية يرى ان لكل شيء سبباً . اما من يتأمل ويتمعن فلا يجد سوى الله علة كل شيء .
 وعدة اتفاقات أو بالحري حوادث عرضية فلا ينبغي ان يتصور
 الانسان ان الله يعطي قدرته للخلائق ويجعلها اسباباً حقيقية تفعل
 في غيرها كما لو كانت آلهة

فبهذه النظرية أوجد ملبرانث هوة سحيفة تفصل النفس
 عن الجسد وعضواً عن ان يفسر اتحادهما يقول ان كل اتحاد
 بينها محال .

(٣) نظرية الاستحسان Optimisme

لما كان على الله — على رأي ملبرانث — ان يعمل كل شيء بالجده
 اضطر بالطبع ان يختار بين جميع العوام الممكن ايجادها ، احسنها
 أو اكثرها استعداداً لاظهار كالاته

غير انه في اختياره راعى المسالك التي يسلكها كما راعى
 ذات العمل الذي يعمله . فينبغي ان تكون تلك المسالك كما يكون
 العمل . تظهر آثار حكمته أو بعبارة أخرى قد فضل أحياناً ان
 يعمل عملاً حسناً — ولو كان قليلاً بذاته — بالطرق الأكثر
 سهولة وبأعم النواميس وأكثرها اتجاهاً ومن هنا نشأ أصل
 الشر الذي نلاقه في الوجود

نظريات اللهوتية

ترتبط نظريات مبرائش الاخلاقية بنظريته في المعرفة .
التي تتلخص في ان تصوراتنا هي تصورات الله ذاته فالتصورات
المفهومة الموجودة في الكلمة يوجد بينها نوعان من العلاقات وهما
علاقات عظمة وعلاقات كمال . وعلى هذه العلاقات الاخيرة دون
غيرها يبني مبرائش نظرية الخير الادبي

فالله بحبته الضرورية لذاته يجب الاشياء بنسبة درجة الكمال
التي تتصف بها تلك الاشياء . واننا اذا سرنا على هذا المثال فان
ارادتنا تكون صالحة ان احببنا كما يحب الله

والنظام يكون في وجود علاقات الكمال بين الكائنات ناذن
المحبة بحسب العلاقات هي محبة النظام . وعلى ذلك يعرف مبرائش
الفضيلة بانها محبة النظام الدائم محبة متواصلة فوق كل شيء .

وتطابق نظرية الارادة ، نظرية الفهم . فكما ان الله علة عقلمانا
وغرضه . هو أيضاً علة حبنا وغايته . فحسب الخيراً و الارادة فينا
ليست سوى دافع الحب الذي به يجب الله ذاته كما ان معرفة الحق
ليست سوى اتصال التصورات التي بها يعرف ذاته

ان رغباتنا الخاصة هي السبب العرضي للخير الذي يتولد فينا
كما ان انتباهنا هو السبب العرضي للنور الذي يضيء نفسنا . وليست
الحرية التي لنا الا مقدرتنا في حصر عملنا على الخيرات الخصوصية

تقدم فلسفتهم، وصف بوسويه خلاصة آراء ملبرانش

في كتاب الطبيعة والنعمة بانها «عجيبة . جديدة . مضاة»

Pulchra, nova, falsa ويمكن تطبيق هذا الحكم على مجموع نظريات ملبرانش . نعم ان لا نزاع في سمو أفكاره ورشاقته أسلوبه ولا بدع اذا لقبوه بافلاطون المسيحي . غير ان مذهبه يتضمن بدع خطيرة لا ينبغي الاخذ بها

فعلى زعمه ان وجود الاجسام لا يسند لا على العقيدة الفطرية ولا على البراهين الفلسفية . وعقلياً ربما لا توجد جواهر مادية بل حقائق تصورية خارجة عنا ويوجد فينا تصورات ذاتية تمثلها وهذا هو المذهب المثالي

ومن وجهة أخرى لا تستطيع خليفة ان تؤثر على خليفة أخرى لان الله وحده هو الفاعل في الطبيعة وفي الانسان . والانسان الذي « ليس بفاعل بل مفعول فيه » هل له وجود خاص حقيقي ؟ اليست العلة الوحيدة هي الموجود الوحيد والجوهر الفرد ؟

هذه أول خطوة لنظرية المذهب الحلولي



سبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧)

Spinoza

ولد باروخ سبينوزا في امستردام من عائلة اسرائيلية
برتغالية الاصل . ولما شجبتة المشيخة اليهودية عام ١٦٣٦ نظراً
لارائه الحرة اضطر لهجر وطنه والنزوح الى مدينة الهاي واستبدل
اسمه باسم بنديكت فقضى حياته بقناعة وكفاف مشغولاً في
الزجاج للنظارات ، رافضاً المعاش الذي رتب له صديقه جان
دي ويت ، والميراث الذي اوصى به سيمون أرييس . ولم يقبل
أيضاً وظيفة التدريس في جامعة هيدلبرج حباً في الاستقلال
الذي كان ينشده . ومات مصدوراً في ٢٣ فبراير سنة ١٦٧٧ غير
متجاوز الرابعة والاربعين من عمره . وفي عام ١٨٧٧ أقيم له نصب
في أحد ميادين الهاي يمثله جالساً متعمقاً في افكاره .

(مؤلفاته) لم ينشر سبينوزا في حياته سوى كتاب مبادئ

الفلسفة الديكارتية على نسق هندسي وكتاب اللاهوت السياسي
ثم قام اثنان من أصدقائه في العام الذي توفي فيه بطبع كتابه

الاخلاق Ethica مؤلفاً على شكل نظريات هندسية ومقسماً الى
خمس أقسام تبعت في ذات الله • وماهية الروح ومصدره •
وماهية الشهوات ومصدرها • والرق البشري أو قوة الشهوات
وقدرة العقل أو الحرية الانسانية

وله أيضاً كتاب في السياسة وآخر يشمل على رسائله الخصوصية
(فلسفة) يرفض سبينوزا المذهب التجريبي رفضاً باتاً ورأيه

ان العلم الحقيقي لا يدرك الا بالعقل المجرد بداهة ويرتقي
بالتحليل الهندسي

وتتلخص فلسفته في أربعة أقسام : نظري • ونفسي

وخالقي وسياسي

الفلسفة النظرية : اول موضوع يتلقنه العقل بداهة هو

معنى الكائن او الجوهر لان هذين المعنيين على رأي سبينوزا
مترادفان •

قال ديكارت « ان الجوهر هو الكائن في ذاته والمدرك بذاته

اي الذي لا يحتاج لشيء آخر لوجوده »

وكان انصاره يفسرون هذا التعريف للجوهر تفسيراً مستقيماً

ويعارضونه بالحال Modalité

ولكن سبينوزا اخذه بمعنى مطلق للكائن الذي له في ذاته

علة وجوده • فهو علة نفسه Causa Sui والذي « يفهم معناه

بدون احتياج لمعنى شيء آخر» واستنتج من ذلك ان هذا الكائن
ازلي سرمدي

فاذا كان هذا الكائن سرمدياً غير متناه فيجب ان يكون
أيضاً واحداً لا ثان له . لان وجود اثنين حقيقيين غير متناهيين
غير معقول والقول بوجود جواهر متناهية ، مخلوقة ، محال
لانه اما ان يكون للجوهر الخالق والجوهر المخلوق صفات
متباينة واما ان تكون لها صفات واحدة ففي الحالة الاولى ينتج
السبب ما ليس منه وهذا متناقض . وفي الحالة الثانية لا يمكن
تمييز الجواهر بعضها عن بعض بما ان اختلاف الصفات هو الاساس
الوحيد في التمييز بين الجواهر

فهذا الجوهر الوحيد السرمدي يظهر لنا بصفات تمثله لنا
بأكمله .

ويريد سبينوزا بالصفات « ما يستخلصه العقل من الجوهر
بأنه المكون لروحه أو هويته »
فهذه الصفات لانهاية غير ان لانهايتها اضافة تبعية لانها
تدل على الجوهر من وجهة خاصة واحدة .
وهي لا اعداد لها لانها تدل على جوهر غير متناه وغير فان
والصفات ذاتها تظهر على شكل حالات متناهية ولكن
باعداد غير متناهية

ويريد سبينوزا بالحالة ما يطرأ على الجوهر من التغيير أو ما

يوجد في شيء ما ولا يدرك الا بذلك الشيء »

فلو كانت الحالات لا نهائية اكانت الصفات ذاتها جواهر .
ولو لم تكن أعدادها غير متناهية لما كانت تمثل اللانهائية
النسبية للصفة

فالجوهر والصفات والحالات متباينة ولكنها غير منفصلة
عن بعضها البعض لان الجوهر من طبيعته ان ينمو بالضرورة
بصفات لا نهائية لا عدد لها وتتعدل وتتغير بغير تناء
فهذه الجملة على رأي سينيوزا تفسر معنى الله

ونحن لا نعرف من صفات الله الغير محدودة سوى اثنتين
وهما الفكر والامتداد ، بمعنى ان الله بالنسبة لنا هو الكائن
المفكر والمنتشر بدرجة لا نهائية

فصفتي الفكر والامتداد تنتشران بالضرورة في عدد غير
محدود من الحالات المتناهية وهي النفوس المفكرة . والاجسام
المنتشرة .

وهاتان المجموعتان للحالتين المتقابلتين مترابطتان متلازمتان
بمعنى ان كل فكر تقابله حركة وكل حركة يقابلها فكر . فهما
وجهان غير منفصلين لوجود واحد ينمو بالضرورة وبدون غاية
أما الاوجه الاخرى المتعددة فلا نعرفها

قاله يمتزج اذن بالطبيعة . ولكن يمكن التمييز بين الطبيعة الطابعة
Natura naturans أي الجوهر أو العلة الفعالة المطلقة لكل

المظاهر . وبين الطبيعة المطبوعة *natura naturata* أي مجموع الحالات التي يتكيف بها الجوهر الغير متناهي ، المفكر الممتد

ولا يسلم سبينوزا مطلقاً بوجود علل غائية اذ يقول «الكائن السرمدى الغير متناهي يفعل كما هو كائن بضرورة متساوية» .
« وان ما ندعوه علة غائية ليس الا الرغبة التي لنا في شي عما . »
« نفترض أحياناً ان الطبيعة تعمل لغاية وتتخذ رغباتنا مقياساً للاشياء »

علم النفس يمزج سبينوزا الروح بالجسم ويعتبرهما واحداً فيرى ان النفس البشرية ليست في الواقع الا مجموعة من حالات الفكر الإلهي . وما الجسم الا مجموع من حالات الامتداد اللانهائي . وهاتان المجموعتان — المتميزتان عن بعضهما البعض بالنظر الى انها يمثلان الكمال الإلهي في مظهرين مختلفين — هما متماثلان بالنظر الا انها يمثلان ذلك الكمال في وقت واحد من أوقات نموه الأزلي

والنفس — وهي جاهلة العمل التي تدفعها الى العمل — تظن انها حرة بيد انها « تحلم في اليقظة »

انها ليست حرة ولا هي « مملكة في مملكة » بل هي آلة روحية . وليس لها وحدة حقيقية لانها فكر مؤلف من جملة

أفكار كما ان الجسم بمجموع ذرات ممتدة
وهي ليست خالدة بما انها شكل عرضي زائل للجوهر
الابدئى. ولا يعترف سبينوزا لتلك النفس بقوى متميزة اذ لا
شيء حقيقي خارجا عن الفكر. والتأكد بوجوده هو الارادة
فلا فكر بغير ارادة • ولا ارادة بدون فكر.

اما الاهواء والشهوات فهي ليست الاميولاً الغرض منها خير
الجسد والنفس • فالهوى المدرك يدعى رغبة • واذا تحققت
الرغبة صارت فرحا • اما اذا لم تتحقق دعيت غماً
واذا اُضيف الى ذلك الهوى فكر خارجي سمي حباً
أو كراهة

علم الوجود : يدعو اسبينوزا كتابه « الاخلاق »

بالرغم عن مذهبه الجبري : وهذه خلاصة اخلاقياته :
يميل كل كائن الى حفظ كيانه • هذا هو المبدأ الاساسي •
والنفس درجة معينة في الوجود وفي الكمال وتميل بذاتها الى
استبقاء كيانه ونموه

وكل زيادة في نمو النفس أو كمالها ويسبب لها فرحا ويكون
لها نافعاً يدعى خيراً • وكل نقص في ذلك النمو أو الكمال فيسبب
لها حزناً او يضر بها يدعى شراً

واذ تقرر ذلك تكون النفس - التي من أهم صفاتها التفكير -

أكثر كما لا طالما كان موضوع فكرها كاملاً

فمعرفة الله • ومحبته • والحياة فيه • كل ذلك في نظرها كمال الحياة
لأن هذه الحياة تهب كيانها أكثر مما تهب حياة أخرى وتنبئها
الرغبة الأساسية التي فطرت عليها • وقال ان غاية المعرفة الوصول
الى كمال الطبيعة البشرية • كما ان الفرق بين الكامل والناقص •
او الخير والشر هو معنى اضافي لان ذلك سبب للتفكير
والاستدلال بمقارنة الاشياء ببعضها البعض « فلا شيء يضر في
ممكن جوتهير »

والشيء يكون خيراً أو شراً تبعاً لنتفه او لضرره للانسان
وبمعنى آخر كل ما يزيد أو ينقص قدرتنا على العمل —
ويساعدها او يباعد عنها، يعد خيراً او شراً وبالتالي يسبب لنا فرحاً
او غمًا •

ولما كان كمالنا بعقولنا فيجب ان نرقي العقل ونوسع الادراك
فنجعل اذ ذاك على اغتباط النفس ومسرته • وما الغبطة في
الواقع الا راحة النفس الناشئة عن عرفان ذات الله وصفاته وهذا
هو سر الفضيلة والسعادة

ثم قال سبينوزا في موضع آخر من كتابه « فالاصول التي ذكرتها
تدل صراحة على فضل الحكيم وعلو قدره على الجاهل الذي

تقوده شهواته العمياء . فتتلاعب به الأهواء فلا يجد لنفسه
سلاماً فيهما . وينسى خالقه ويجهل الأشياء المحيطة به . ويكون
الوجود والعدم في نظره سواء ، بعكس الحكيم الذي لا يمس
الاضطراب نفسه اذ بالضرورة يدرك ذاته ويدرك صفات الله
وما يحيط به من الأشياء فيحصل على الدوام على سلام النفس .
كل كائن بصفته جزء من الله يتمتع بحق عمومي يقاس على
قدرته تماماً . وبذلك نشأت حالة حرب شديدة ولو أنها
طبيعية .

فلتجنب ذلك الف الناس المحكومة أساس كل عدل
وكل ملكية

ولكن يتحرر سبينوزا من مذهب هوبس الاستبدادي .
اجتهد ان يبرهن على ان السلطة لا يمكن ان تكون قوية الا
اذا احترمت ، ولا يمكن ان تكون محترمة الا اذا كانت ضمن
الحدود المعقولة ، ولا تكون كذلك الا اذا تركت الناس ناساً أي .
ترك لهم حرية الرأي «

ثم اضاف الى ذلك قوله « اذا كان كل شيء هو كولا لارادة
شخص واحد . فلا يمكن وجوده على حالة واحدة »

(تقدم فلسفة سيدنوزا) لهذه الفلسفة جميع أغلاط المذهب

الحلولى : فطريقته يابها العقل اذ يرفض التجربة ويبدأ بتعريفات
تحكيمية . ويمثل لنا الله بأراء متناقضة أي ممتد ومفكر وبسيط
ومركب أما الانسان فينكر عليه الحرية والشخصية والخلود
الروحي

كذلك ليس لمذهبه الاخلاقي الصفة الالزامية . وسلطة
الحكومة هي بالضرورة استبدادية ومطلقة

ثالثاً - ألمانيون في الفلسفة

٦٦



ليبنيز

Leibniz

في أواخر الجيل السابع عشر آل مذهب « بيكون » التجريبي
الى مذهب « لوك » الحسي ، ونحول مذهب « ديكارت » العقلي
الى رأي ملبرانش التصوري

وفي وسط النضال الذي قام بين هذين المذهبين المتناظرين
المتطرفين قام « ليبنيز » الألماني يناضل الواحد والآخر ليسد
الثغرات التي أوجدها بمذهب جديد يحاول فيه التوفيق بين
افلاطون وديموقريطس ، وبين ارسطو وديكارت وبين المدرسين
والمحدثين . ويوفق العلم الالهي والاخلاق مع العقل

ولد جودفروا غليوم ليبنيز في أول يولييه سنة ١٦٤٦ في
مدينة ليبنيز وكان أبوه متشرعاً ومدرساً للفلسفة الاخلاقية في
جامعة تلك المدينة .

درس الحقوق والتاريخ والسياسة وعلم اللغة والرياضيات
والفلسفة بكل سهولة ولكنه كان نابهاً في العلمين الاخيرين
وفي سنة ١٦٦٧ تمين مستشاراً لمنتخب « ماينس » وظل في
وظيفته حتى سنة ١٦٧٢ ثم سافر في مهمة سياسية الى باريس وظل
فيها اربعة أعوام تعرف على كبار مفكرينها . وانتقل الى هولندا
فتقابل مع سبينوزا ثم رحل الى انكرا حيث كانت له فيها علاقة
بجمعياتها العلمية .

وفي سنة ١٦٧٦ عينه الدوق دي برنسويك اميناً لمكتبته
هنوفر فبقي متقلداً منصبه زهاء الاربعين عاماً الى ان توفي
عام ١٧١٦ .

كان ليبنز صديقاً ومشيراً لدوقات هنوفر وله ضلع في جميع
الحوادث السياسية ، واليه يرجع فضل تأسيس جامعة العلوم
ببرلين وقد حاول برسائله المتعددة مع بوسويه تقريب الكنائس
الكاثوليكية والبروتستانتية ببعضها البعض . وكثيراً ما استنار
قيصر روسيا بطرس الاكبر ، وامبراطور النمسا بمشوراته
وآرائه السديدة

كان عالماً بكل العلوم ويعد دائرة معارف لا يضارعه فيها
الا ارسطو ، كما ان مؤلفاته كانت كثيرة بيد ان اهمها ثلاثة وهي :

- ١ - البحث الجديد في العقل البشري ظهر سنة ١٧٠٤
- ٢ - مقالات لاهوتية في صلاح الله وحرية الانسان

ومصدر الشر ظهرت سنة ١٧١٠

٣ — نظرية الجواهر الروحية Mondologie طبع سنة

١٧١٤

فالكتاب الاول يعارض به كتاب « لوك » في الموضوع ذاته . ويتضمن الكتاب الثاني عقيدته في مذهبي الجبر والتماثل . ويشتمل الكتاب الثالث على موجز فلسفته

وله عدا ذلك مقالات ممتعة نشرت في جريدة العلماء تبحث في « المعرفة • والحقيقة • واصلاح الفلسفة الاولى • ومعنى الجواهر » اُضف الى ذلك رسائله مع الفيلسوفين ارنو . وكلارك وقد حاول عقد تحالف بين القطر المصري وبين فرنسا بخطاب ارسله الى لويس الرابع عشر . كذلك توهم ان يوطد السلام العام بين جميع الممالك المتحالفة تحت سلطة الامبراطور الزمنية . وسلطة البابا الروحية .

وان تنشأ لغة عامة لجميع الشعوب تؤسس على قاعدة مشابهة للرموز الجبرية

(فلسفة) توصف فلسفة ليبنز بانها انتخابية مختارة من

آراء الفلاسفة المتقدمين وادمجها في سلك واحد

وكانت فلسفة ديكارت الاساس الذي بنى عليه ليبنز مذهبه الجديد بعد ان عدل اساوئها واصولها حتى لا يقع في اغلاط

سبينوزا

نظرية الجواهر : (١) ماهيتها

قال ديكارت ان جوهر المادة الروحانية هو الفكر وجوهر
المادة المادية في الامتداد

فناقض ليبنز الشرط الاخير من رأي ديكارت وقال : الادعاء
بان المادة ليست سوى امتداد ، هو الحكم على الكون بالجمود
والجمول . ونكران وجود القوات الطبيعية ، ونسبة جميع
التغيرات الحسية الى فعل الله . فيؤدي كل ذلك الى مذهب
سبينوزا الخلوئي

وقد نشأ الخطأ الاصيل لمذهب ديكارت من الخطأ في تعريف
الجوهر ولذلك صححه ليبنز بقوله ان حقيقة الجواهر هي القوة
كما يعيش لنا وجداننا وكما نتمشها في الاشياء بطريق المقارنة
القوة هي كل الوجود يتوافق فيها الواحد والكثير ، الممكن
والواقع . وهي ليست خاصة تحتاج الى دافع خارجي للتحويل
من امكان حصول الشيء ، الى حصوله فعلاً . انما هي استعداد
دائم للفعل لعمله بغير انقطاع بفضيلة خاصة بها

وهذه القوة بسيطة بطبيعتها ولها فعل ذاتي صرف وغير
قابلة للتلاشي بطبيعتها وهي واحدة بالجواهر ولذلك اطلق ليبنز
عليها اسم Monade أي واحدة

والوحدات Monades لا حصر لعددتها أو بالتحري لاعداد

لها وكلها مختلفة عن بعضها . لانه لو كان يوجد شيئاً لا يتميزان
عن بعضها البعض لما وجد الله سبباً كافياً لان يخلقها في ازمنة
وامكنة مختلفة

ولكل الوحدات الروحية المذكورة خاصتان وهما «الشوق
appétition والتمثيل Perception

فالشوق ميل شديد للتغير ، اي التحول من تمثيل لآخر .

التمثيل هو ادماج الشيء الظاهري في الباطني وتمثيل
المركب في البسيط والتعدد في الواحد

ولكل وحدة روحية خاصة التشكل بجميع الكائنات
الممكن وجودها وبذلك تكون ممثلة للكون باجمعه . ولكنها
مع ذلك لا تدرك مباشرة سوى ذلك الجزء من العالم الذي له
علاقة مباشرة بالجسم (١) الذي هي له الكمال والغاية
entelechie

(٢) انواع الوحدات - للوحدات الروحية درجات
متعددة سائرة الى الكمال ، غير ان وحدات هذا العالم تنقسم

(١) لكل وحدة ولو كانت ملائكية — — جسم ما عدا

الذات الالهية

ألى ثلاث طوائف وهي

أولاً — الذات البسيطة او المادية يصكون تمثيل فيها
مشوشاً مبهماً لا ادراك له وتتألف الاجسام من هذه الوحدات
ثانياً — الوحدات الراقية ذات ادراك وتذكر . وهي نفوس
الحيوانات ، وتمثيلها يطلق عليه لفظ « احساسات » تستمر على
التكرار فتظهر كسلوك صادر عن تعقل وترو

ثالثاً — الوحدات السامية التي يصحب تمثيلها فهم أى معرفة
استقائى العامة الضرورية . وهي النفوس البشرية وتمثيلها يدعى
« ادراك الادراك perception » أى انها تدرك الاشياء وتعلم
انها تدركها .

ويفعل الله بالذرعين الاولين كما يستعمل المهندس آتته ويعامل
النوع الثالث حافظاً شخصيته ومرتقياً درجات الكمال
وجميع الأنواع الثلاثة وجدت منذ بدء الخليقة

عند خلق الوهات الروحية ببعضها البعض

بأحد الوحدات البسيطة ببعضها البعض تتألف الاجسام
الجامدة .

والاجسام العضوية هي مجموع افراد سادت عليها واحدة منها
ووحدة بينها

اما الوحدات السامية فبانضمامها الى الاجسام العضوية يتركب

الإنسان . غير ان تلك العلاقات التي تؤلف بين جميع الوحدات
تنشأ عنها صعوبات كثيرة

قيل ان الاجسام ممتدة . فكيف يفسر هذا الامتداد اذا
كان كل مادة مركبة من عناصر بسيطة ؟
يجيب ليبنز على ذلك ناكراً ان الامتداد خاصة حقيقية للمادة
فما هو الا الحالة التي تتمثل بها القوات المرجوة معها ولنا بها علاقة
فهذه القوات — اذا اعتبرت في ذاتها — ليست ممتدة ولا
متجزئة . وانما تنظيم هذه القوات وعلاقتها باعضائها تظهر لنا بما
ندعوه امتداداً

لم يمس ليبنز جميع مبادئ ديكارت الخاصة بتفسير الظواهرات
الحسية . ولكنه لم يسلم بالتحرك الآلي الصرف لان هذا التحرك
لا يبين سبب الحركة . فقال ليبنز ان السبب يوجد في القوة
الحاصلة عليها كل الكائنات بدون استثناء

كل وحدة تنمو تبماً لقانون خاص بها ولا يمكنها ان تؤثر
بأي حال على وحدات اخرى ، فكيف يمكن اذن وجود تألف
وتجانس بين مجموع الوحدات المختلفة

يجيب ليبنز على ذلك بان نمو كل وحدة ملازم لنمو الوحدات
الاخرى وبنأ على هذا المبدأ تعمل الوحدات المتحركة التي تتألف
منها الاجسام طبقاً للقوة التي تحركها كما لو لم يكن بها روح مطلقاً
كذلك الوحدات التي تشعر باذراكها أي النفوس ، فانها تعمل كما

لو كانت بغير أجسام

الا انه بناً على الائتلاف الذي أوجده الله من قبل فمجموعتنا
الافعال المذكورة — ولو انها مستقلتان عن بعضها تماماً —
متفقتان بمعنى ان في الانسان مثلاً، تقابل حركاته الجسمية بعض
احساسات في النفس . كما انه يقابل افكار النفس بعض تعديلات
في الجسم

علم النفس : النفس قوة بسيطة فاعلة ومنكرة على
الدوام . غير ان افكارها على نوعين : أحدهما أفكار مبهمه
عديمة الحس وهي المدركة . وثانيها أفكار متميزة وتشعر بأدراكها
ويدعوها لبرز «apercption ادراك الادراك»
وأهم نظرياته النفسية ترجع الي اثنتين وهما نظرية العقل
ونظرية الحرية .

نظرية العقل : كان لوك يقول ان نظرية النفس أشبه
بصحيفة بيضاء تنتش عليها التجربة جميع انواع الصفات .
أما ليبنز فانه يشبهها برخامة بيضاء منقوش عليها من الاصل
شكل التمثال وخطوطه والتجربة هي التي تزيد وضوحاً وجلالاً
وتظهره تماماً كاملاً

قال لوك العقل لا يدرك الاشياء الا عن طريق الحواس

Nil est in intellectu quod non prius fuerit
in sensu

فصحيح ليبنز هذا المثل بهذه الكلمات التي أضافها عليه :

nisi ipse intellectus

يوجد فيما شيء غريزي وهو العقل وقوانينه

وهذه القوانين التي تجري تطبيقها عند ما تسمح لنا بها التجربة

قسمان أحدهما مبدأ التناقض والآخر مبدأ السبب الكافي

فالأول يقابل الممكن ، والثاني يؤدي بنا الى الوجود الفعلي

وتشتق من المبدأ الثاني المبادئ الأخرى الأساسية الآتية .

(١) مبدأ السببية : لكل شيء يبدأ في الوجود ، سبب

(٢) مبدأ الغاية : لكل ناتج غاية

(٣) مبدأ الأصلح : اذا كان شيء احسن من غيره ممكن

حصوله . فلا معنى لبقاء الأقل صلاحية

(٤) مبدأ الاستمرار — الفراغ في الزمان أو في المكان —

وفي كمية الكائنات او كمالها . ليس له سبب كاف مادام

الاستمرار ممكنا

نظرية الحرية : قال ليبنز « توجد الحرية في الفهم الذي

يتضمن معرفة متميزة عن ذات الشيء وعن التعليل ، وتوجد

في الذاتية Spontanité التي بها نعين لنا شيئاً خاصاً — ويجعلها

ايضاً في الحدوث Contingence أي في استبعاد الضرورة .

المنطقية او النظرية

فالخاصة الذاتية والحادث تتقابل في جميع افعال
الوحدات • وينشأ عن ذلك ان الفهم يكون كروح الحرية والاصل
الذي تبنى عليه

وحریتنا ليست في حرية عدم الاهتمام بعمل بدون سبب إنما
هي مسيرة بالخير الأعظم

واذا كانت ارادة الانسان العاقل تنطبق دوما على الاسباب
الدافعة لها فلا يفهم من ذلك ان تلك الارادة متميدة ؟ كلا • لان
الاسباب التي تدفعني على العمل هي اسبابي وباطاعتها اطيع نفسي
فاذن ما دامت تبعيتي لذاتي فانا حر

هذا هو مذهب ليبنز الجبري Determinisme الذي يتعارض
مع تعريف المسيو جانبيه للحرية حيث يقول انها خاصة بالعمل عند
الميل الدافع

ويستخلص ليبنز من مذهبه هذا ان عمل الانسان خاضع دائما
للعقل وانه اذا ارتكب الشر فللظن انه خير • فالانسان لا يفعل
الشر الا عن خطأ

يرى من ذلك ان لبنز اعتنق رأي سقراط وافلاطون
في الفضيلة

العلم الداربي : الله هو السبب الكافي لوجود جميع الكائنات التي نراها . وهو السبب الكافي للائتلاف السائد بينها ويضيف لبز الى هذين الدليلين . برهان القديس الساس الذي اخذ به ديكرت — ثم حاول ان يرد عنه كل نقد ان كمالات الله هي كمالات نفوسنا غير انه تعالى يجوزها بغير حد — وتوجد فينا بعض القوة وبعض المعرفة وبعض الصلاح . ولكنه الكلي القدرة والفهم والصلاح ومن ذلك يستخلص لبز نظرية التفاضل قال « الحكمة السامية مضافة الى الصلاح الذي لا يقل عنها لا تنهاياً لم يمكنها الا اختيار أصلح الاشياء فاذن يكون العالم الحالي أحسن العوالم الممكنة وكمال هو سبب كاف لوجوده

لم يكتف لبز باثبات تفاؤله بداهة a Priori بل اراد أيضاً التحقق من صحة مذهبه اختياريًا Posteriori والتوفيق بين وجود الشر مع القول بكمال العالم ولهذا الغرض يميز بين ثلاث انواع للشر

(١) الضرر النظري . والضرر الطبيعي الجسمي . والضرر الخلقى الادبى . ولاحظ انه لا يجب النظر الى العالم في وقت معين من اوقات الوجود بل في مجموع زمن وجوده الذي يتناول ابدية الاجيال المستقبلية

(نقد فلسفة لينز) لتقدير هذه الفلسفة يجب ان لا يبرح
 عن البال انها اصلاً لمذهب لوك الحسي من جهة ولبعض اصول
 العقيدة الديكارتية من جهة أخرى
 ولا ننكر انها تتضمن بعض الحقائق السامية غير ان بها
 أيضاً بعض أغلاط جسمية : فلينز يخلط بين الحرية والارادة ،
 وينكر حقيقة السبب الموحد بين النفس والجسم
 اما نظريته في التفاؤل فيل الى نكران القدرة الالهية الكلية
 والتحتيم بضرورة الخليفة
 ومع ان هذا المذهب في مجموعها معارضة واضحة للمذهب الحمي
 فهو لم يخل أيضاً من اضرار المذهب التصوري

٦٧

انصار لينز

يسوغ اننا ان نعبر من انصار حركة لينز الفلسفية
 كريستيان تومازيوس (١٦٥٥ — ١٧٢٨) الذي تم تعريف
 معنى الجوهر ولكن كان أهم اشتغاله بالحق الطبيعي

و كريستان ولف (١٧٥٤ ١٦ ٩) الذي نشر فلسفة لبنزفي
 المانيا — والاب بسكوفتش (١٧١١ — ١٧٨٧) الذي عدل
 نظرية الوحدة . فارتأى ان الاركان الاخيرة للجسم هي نقط
 حقيقية لا تتجزأ ولا تمتد وضعت احداها على مسافة من الاخرى
 ولها قوتا الجذب والدفع
 فهذان القانونان يكفيان لتفسير جميع الظواهر الطبيعية
 والصفات الجسمية
 وجان باتست فيكو (١٦٦٣ — ١٧٤٤) من مدينة نابولي
 اشتهر بمؤلفه « العلم الجديد » ذكر فيه المباديء الاولى لفلسفة
 التاريخ .

الفترة الثانية

الجيل الثامن عشر

للحركة الفلسفية في هذا الجيل ثلاثة مراكز وهي (١) فرنسا
(٢) انكلترا واسكتلنده (٣) ألمانيا

الفلسفة في فرنسا

تكاثرت في فرنسا المذاهب الفلسفية فبعضها تجريبي ومادي
وبعضها عقلي والحادي . وبعضها اجتماعي واقتصادي

٦٨

المذهب الحسي

كندلياك

ولد اتيان بونو دي كندلياك Condillac

(١٧١٥ — ١٧٨٠) في مدينة جرينوبل وتعين مؤدباً لدوق

دي پارما حفيد لويس الخامس عشر فألف له سلسلة دروس خاصة

اما اهم مؤلفاته فهي « مبحث في اصل المعارف البشرية طبع سنة ١٧٤٦ — وكتاب المذاهب (١٧٤٩) وكتاب الاحساسات (١٧٥٤) وكتاب لغة الاعداد ظهر بعد وفاته

ففي المؤلفين الاولين نقل كندلياك وأتم آراء لوك في مصدر اللغة وعلاقتها بالفكر . اما في الكتابين الاخيرين فقد خالف استاذة فيها وحاول ان يثبت صدور معارفنا وقوانا من الاحساس دون غيره قال « لنفرض تمثالاً مركباً مثلنا وله عقل خال من كل فكر

فمعد حصول الرائحة الاولى ، تكون اهلية التمثال لتشم منحصرة كلها في التأثير الذي يحدث في العضو . وهذا ما ادعوه بالانتباه »

فالانتباه اذن هو المصدر الذي تشتق منه كل قوى الادراك : فالمقارنة ليست سوى انتباه مزدوج والذاكرة هي ما تبقى من احساس ماض ، والحكم ينشأ عن المقارنة ، والتروي ليس الا سلسلة احكام قد تدعي التخيل لو كان غرضها الصور ، كما ان التعليل استنتاج حكم من حكم آخر يتضمنه

اذن لا يوجد سوى احساسات في تعليلاتنا كما في احكامنا واذا اعتبرنا احساساتنا كتمثيلية فاننا قد رأينا ان جميع ملكات العقل مشتقة منها . واذا اعتبرناها واقعية فسرى انه يتولد عنها جميع القوى التي نعلقها بالارادة

فالالم الذي ينشأ عن الحرمان من شيء مسري يدعى (الاحتياج)
فالاحتياج يوجه جمع قواني الى غرض وهذا التوجيه هو (الرغبة)
والرغبة التي تصبح عادة تدعى الهوى واذا كانت شديدة

تصير امر

اما الرغبة المطلقة فهي الارادة بمحصر الكلمة . ويجمل القول
يطلق العقل على اجتماع الحس والمقارنة الخ — والارادة هي مجموع
الاحساس المسر أو المكدر . والحاجة والرغبة الخ

اما كلمة الفكر فتشتمل قوى العقل والارادة ولما كانت هذه
القوى جميعها تتولد بالضرورة من الاحساس كان الفكر على أي
حالة . احساسا تغير شكله

اما مسألة اللغة فقد وقع كندلياك في أغلاط جسيمة لم يقع
فيها لوك . فعلى رأيه تكون اللغة مبدأ جميع قواني المختلفة
والعلوم ليست سوى سلسلة جمل متشابهة وعلى ذلك تكون
اجادة العلم في اجادة اللغة

ملحوظة — يرتكز مذهب كندلياك على مبدأ ان النفس
لا تعرف الاشياء الخارجية الا بواسطة الاحساس . وهذا اعظم
خطأ . لان الانسان الذي لا تكون له سوى خاصية الشعور .
لا يعرف شيئا

وليس الانتباه — على رأي كندلياك الا احساسا خاصا
فهذا الرأي هو أضعف نقطة في مذهبه لان الاحساس شيء
إتفعالي والانتباه فعلي والفرق بين الاثنين لا يمكن تجاوزه
كذلك توجد أغلاط كثيرة في باقي آرائه

فالمقارنة ليست انتباهها مزدوجا . والحكم ليس مقارنة في جميع
الاحوال . اما نظرية قوى الارادة ففسادة فساداً مطلقاً
ومن الخطأ البين الذي وقع فيه كندلياك تكيف الهوى
بالامل . والامل بالارادة

كما اننا لا نفسر كيف نبى كندلياك التكلم عن الحرية ضمن
نظريته في قوى النفس . ولا يستبعد انه ربما يكون مزجها
بالغريزة أو بالرغبة

٦٩

المذهب المادي

المذهب المادي نتيجة طبيعية للمذهب الحسي المتقدم واشهر
معتنقيه هم : هلفتيوس (١٧١٥ — ١٧٧١) الذي علم به في
كتايبه الروح والانسان

والبارون دي هلباش (١٧٢٣ — ١٧٨٩) الذي كتب عدة

مؤلفات في المادية والاحاد واهمها « المذهب الطبيعي »
 وسان لمبير (١٧١٧ - ١٨٠٣) الذي اوجز اخلاقيات
 هلمتيوس في بضعة قواعد دعاها باسم « التعلم الديني العام » .
 ولامتري (١٧٠٩ - ١٧٥١) مؤلف كتاب « الانسان
 النباتي » والانسان الآلي

٧٠

المذهب العقلي

بجانب الحركة المادية التي مال كثيرون من الانسكليويين الى نشرها . قام الفلاسفة العقليون الذين اتفقوا مع الماديين في نظرية الاخلاق يخالفونهم في جميع المسائل اللاطبيعية وقد نصبوا انفسهم مدافعين عن حقوق العقل . فتولى زعامتهم فولتير وروسو بيد ان هذا الاخير اشتهر بتأثيره في المسائل الاقتصادية الاجتماعية اكثر من الفلسفة الصرفة

فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨) Voltaire

تلقى العلم على اليسوعيين في كلية لويس العظيم ثم تعين ملحقا
 بسفارة فرنسا في هولنده . ثم نفي الى انكلترا على اثر مشاجرة

حصلت بينه وبين الشفالييه دي روهان

كانت رواياته : هزياد • وهيكل الذوق وغيرها سببا في
شهرة الادبية • ورسائله الفلسفية رفعتة الى رأس انقلاسة
المعاصرين

ليس لقولتير فلسفة خاصة وإنما اعتنق مذهب لوك بدون
بحث وكان يعتقد بمخلود الروح وبوجود الله • وفي رسائله الى
فريدريك الثاني انتصر ببلاغة لنظرية الحرية البشرية • ودحض
مذهب لوك في المنفعة

غير ان اعترافه بوجود الله يناقض عقيدته فيما كتبه في رواية
« كانديد » وفي قصيدته عن زلزلة ارض اشبونه فقد انكر وجود
عناية ربانية • وفناء الكون

٧١

المذهب الاقتصادي

أخذ المفكرون في الاهتمام بالمسائل الاجتماعية والاقتصادية
في الجيل الثامن عشر ولنذكر بين الذين اشتهروا باصلاحاتهم :

مونتسكيو (١٦٨٩ - ١٧٥٥) Montesquieu

فكان تأثيره عظيماً في الاقتصاد السياسي واشتهر على الخصوص
بمؤلفه « روح الشرائع » مؤسساً على مبدأ « ان القوانين هي
العلاقات الضرورية المشتقة من طبيعة الاشياء » وقد اوضح فيه
ان الاجتماع طبيعي في الانسان وان القوانين الاجتماعية ليست
اتفاقات تحكيمية وانما هي مؤسسة على العلاقات الضرورية للاشياء
وهو بذلك يخالف مذهب هوبز . ثم تكلم عن جميع اشكال
الحكومات المختلفة وقال انها لا تخرج عن اربعة : الحكومة
الاستبدادية القائمة على الخوف ، والحكومة الملكية ومبدأؤها
الشرف . والحكومة الجمهورية ومبدأؤها الفضيلة ، والحكومة
المختلطة الشورية ومؤسسة على تقسيم السلطات وهي أفضل
الحكومات لانها تمثيلية

ومن رأيه الغاء العقوبات التعذيبية التي كانت شائعة في عصره
والغاء الرقيق ، والتساهل الديني . وايجاد محلفين في المحاكم





جان جاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨)

J. J. Rousseau

كانت حياته مملوءة بجلائل الاعمال وهو يعد من أعظم مشاهير
عصره وممهدي الثورة الفرنسية . وله مؤلفات كثيرة أشهرها
كتاب « العقد الاجتماعي » في الحقوق السياسية . وكتاب « ميل
في التربية »

أما رأيه في السياسة فينحصر في « ان حالة الطبيعة للانسان
ان يعيش في وسط عائلة بتواضع حر . وان الجمعية المدنية اصبحت
من الضروري وجودها نظراً لما طرأ على الاخلاق من الفساد .
والملكية ضرر ناشيء عن حالة لا طبيعية وضد الاجتماع فالحر
مشاع للجميع واما الارض فليست لاحد — الجمعية المدنية
والسياسية مؤسسة على اتفاق معقود بحرية . العقد الاجتماعي لا
ينتج عنه تنازل الافراد عن حريتهم وكل عقدي يخالف ذلك يكون
لاغياً . انما هو عقد مساواة بين الجميع — بعد التعاقد الاجتماعي
تظل السيادة من حق الشعب — وليس الحكام ملوكاً انما هم وكلاء
عن الشعب — لهذا الاخير الحق في كل وقت ان يعزلهم . ومن الاصول
والمستحسن ان تقسم المملكة الكبيرة الى عدة حكومات صغيرة

متحدة فيما بينها . ويجب ان تنفصل الحكومة عن كل دين سماوي
بل تتخذ لها ديناً طبيعياً مدنياً تؤلف الامة مواده
اما تربية الطفل فتجب ان تكون سلبية أي خالية فقط من
العيوب والاغلاط.

فهذه الآراء الفلسفية السياسية التي قيلت منذ نيف ومائة
وخمسين سنة كان لها أعظم التأثير حتى الان في حياة الشعوب
قاطبة .

كِنَاي (١٦٩٤ — ١٧٧٤) Quesnay

هو مؤسس المدرسة الاقتصادية المعروفة بمدرسة الطبيعيين
Physiocrates اذ كان يعتبر ان الارض مصدر جميع الارزاق
واستنتج من ذلك ان الضرائب يجب ان توحد وتقوم تبعاً
لنتاح الارض وغلتها وان مالك العقار هو الملزم دون غيره
بدفعها .

تِرْجُو (١٧٢٧ — ١٧٨١) Turgot

نشأت شهرته من خطابين القاها سنة ١٧٥٠ في السوربون
احدهما عن المنافع التي أدتها الديانة المسيحية للجنس البشري .
والثاني عن تقدم الفكر الانساني

وقد تعين في القضاء فكان وكيلاً للنائب العمومي فمستشاراً
 في مجلس الشورى (البرلمان) فوكيلاً للعالية فوزيراً لها
 وقد رفعه كتابه « تكوين الارزاق وتوزيعها » في مصاف
 الاقتصاديين وكان مشاركا لكناي في مذهبه

كوندورسييه Condorce (١٧٤٣ - ١٧٩٤)

كان سكرتيراً لأكاديمية العلوم . فنائباً في الجمعية التشريعية
 ثم انتخبته سبع مديريات في حكومة « الاتفاق »
 ولكنه سقط مع حزب الجيرونديين وتفتته الحكومة فاختلف ثمانية
 اشهر في منزل مدام فرنيه ولكن القي القبض عليه بعد ذلك
 واقتيد الى السجن فتجرغ السم من تلقاء نفسه
 كان يرى ترقى الفكر البشري وتدرجه الى الكمال كلما تقدم
 في المدينة

الفلسفة في انكلترا واسكتلندة

تعتبر الفلسفة في انكلترا واسكتلندة في الجيل الثامن عشر
مناظرة لفلسفة لوك ولانتاج المادية التي استخلصها منها فلاسفة
فرنسا. فالمقاومة كانت بالغة اشدها تارة ونتج عنها في الفرع
النظري المذهبان: التصوري والارتيابي
و-أوراً كانت غير تامة فأدت في فرع الاخلاق الى المذهب
الوجداني أو المنفعة بمعناها الصحيح
وتارة كانت على أتمها وفي حدودها المعقولة فادت الى المذهب
الاسكتلندي أي الى الذوق الفطري. وسنتكلم عن كل مذهب
من هذه المذاهب المتعددة

٧٢ - المذهب التصوري Idealisme

جورج بركلي (١٦٨٤ - ١٧٥٣) Berkeley

ولد في كيلرين بالقرب من توماستاون في الجنوب الشرقي
من ارلنده

تلقى دروسه في مدرسة « الثالوث » بدوبلين وتخرج منها وهو
في الرابعة والعشرين من عمره . وقد صنف المؤلفات التي خلدت
اسمه واهمها كتاب محاورات هيلاس وفيلونائوس

سافر كثيرا في ايطاليا وامريكا وبعد اوبته تعين اسقفاً
لكلويين Cloyne في جنوب ايرلندة . وبعد ذلك بثمانية سنوات
اعتزل العمل فمات في اكتوبر سنة ١٧٥٣

(مترجم) بنى بركلي فلسفته على نظرية لوك في المعرفة :
نحن لا نعرف الاشياء الا بالصور التي تتخيلها لها . فنحن لا
نعرفها مباشرة

فهل هذه الاشياء ، التي تتمثلها مواد تحدث الظاهرات ، وجود
فعلي ؟

لا يمكن لنا التثبت من ذلك بما اننا لا نعرف الا ما فينا أي
تعوداتنا ، ولا شيء يؤكده لنا مطابقتها هذه التصورات على
موضوعاتها

غير ان بركلي يقول « ان لا وجود للتصورات الا اذا
كانت مدركة فيجب ان نكون اذن موجودين نحن الذين ندرك
هذه التصورات

ولكن هل نحن الموجودون في العالم دون غيرنا ؟
يجيب بركلي على ذلك نقياً لان تصوراتنا لمختمة علينا في اغلب
الاحيان . وهي تحصل فينا بنظام متآلف لا يتعلق بنا . اذن يوجد
روح آخر يخلق فينا هذه التصورات

فالعالم هو مجموع ظاهرات لا يتعلق بنا احداً منها او ارتباطها

ولا يوجد هذا العالم الا في الادراك البشرى الذي يتخيله •
وفي الادراك الالهي الذي يتضمنه ويجعله قائماً

انقد اراد بركلي دحض المذهب المادي فوقع في التصوري
ولا اعتبره الظاهرات الطبيعية تتابع بغير غاية مهد الطريق
لمدرسة ستوارت ميل التجريبية

وقال فكتور كوزين « ان الانسان باعترافه مذهب بركلي
التصوري يؤمن بوجود الروح مصدر كل التصورات وبوجود
الله العلة الاولى لجميع هذه التصورات

فجاء هيوم ولاشي هذه الاعتقادات ونهى وجود الروح
كما نفى بركلي من المادة صفاتها الاولية وازال لوك صفاتها
الثانوية من معرفتنا

٧٣ - المذهب الارتياحي Scepticisme

دافيرهيوم (١٧١١ - ١٧٩٦) Hume

ولد في مدينة نين ولسن بكونتية برويك جنوبي ادمبورغ
رشح نفسه للمحاماة فلم ينجح فيها • فإراد الاشتغال بالتجارة
فولته ظهرها • فقصد فرنسا واقام بها ثلاث سنوات في المدينة
التي نشأ فيها ديكارت

وفي عام ١٧٣٩ نشر الاجزاء الاولى من مؤلفه « الطبيعة »

البشرية» وظهر الجزء الخاص بالاخلاق سنة ١٧٤٠
ولما لم ينل كتابه رواجاً رافق الجنرال سنت كبير بصفة سكرتير
لما كان سفيراً في ايطاليا والمانيا

وعندما عاد الى وطنه نشر كتابه «مباحث في العقل البشري»
وفي سنة ١٧٥٧ تعين أميناً لمكتبة المحامين بادمبورغ . ثم ألف
كتاباً في تاريخ انكلترا كان السبب في شهرته

(مزهيم) استخلص بركلي من المباديء التي قررها لوك
عدم وجود العالم الظاهري . اما هيوم فقد استخلص عدم وجود
الجوهر جسمياً كان او روحياً

والغرض من الفلسفة نقد قوتنا المدركة التي تعلمنا ان الاشياء
موجودة فينا ولنا

نحن لا نعرف سوى حالات وجداننا والعلاقات التي تربط
بعضها ببعض

فحالات الوجدان او الظاهرات الباطنية على نوعين
(١) التأثيرات او المدركات الحالية وهي تشتمل الاحساسات
والاهواء والمشاعر التي نشعر بها

(٢) المثل او الصور الضعيفة للتأثيرات التي تحدث لنا بواسطة
التذكر او التخيل

وما العلاقات التي تربط هذه الحالات الوجدانية ببعضها

البعض . الا التي تكون اساساً لتداعي المعاني : أي علاقات
المشابهة أو المناقضة وتلازم الزمان او المكان والتعاقب المستمر
وقال هيوم : « زعموا ان الروح يوجد كسبب وكماة
جوهرية لتصوراتنا . غير انه لا توجد علة ولا مادة جوهرية
لان الاختبار لم يوقفنا على أثر لها . فلا ينطبق عليها لا معنى
الحس ولا معنى التأمل

فليست المادة الجوهرية في الواقع الا مجموعة مدركات مختلفة
فالتأثرات ذاتها هي ما ندعوه بالعالم الخارجي وتصور هذه
التأثرات هو الذي ندعوه بالعالم الباطني

اما معنى السببية فهو مظهر التعاقب الضروري الذي يتخيله
العقل طبقاً للمادة

هذا هو مذهب الشك المطلق وقد حاول هيوم عبثاً التخلص
منه بوضع اعتقادات احتمالية في النظام المنطقي والاخلاقي
للسكوك بمقتضاها



٧١

المذهب الوجداني Sentimentalisme

١ - انطون اشلي كونت شفتسبري (١٦٧١ - ١٧١٣)

Shaftesbury لا يعلم بوجود الخير لذاته فلا يجعل فارقا جوهريا بين الخير والشر فالذي يدفعنا لتحبيد بعض الاعمال كأنها خيرة وللأشياء من بعضها كأنها مضره . هي حاسة ادبية أي صادرة عن ترو وتأمل

٢ - فرانسيس هتشنسون (١٦٩٤ - ١٧٤٧)

Hutcheson

ارلندي الاصل صار في الخامسة والثلاثين من عمره استادا في جامعة غلاسجو باسكتلنده وظل فيها حتى توفي .
اما مذهبه . في علم النفس فيتقارب من مذهب لوك ولكن رأيه الأخلاقي يرتكز على قوة خاصة في النفس تدعى الحس الادبي مضافا اليها معنى العاطفة والانعطاف

٣ - آدم سميث (١٧٢٣ - ١٧٩٠) Adam Smith

اسكتلندي الجنس كان مدرسا في جامعة غلاسجو أيضا .
 اما نظريته في العواطف الاديبة تدبجه ضمن فلاسفة المدرسة
 الاخلاقية الوجدانية . غير ان مباحثه في ماهية ثروة الام واسبابها
 تجعله في أول صفوف الاقتصاديين

ففي الاخلاق يقرر آدم سميث مبدأ الجاذبية او الائتناس
 Sympathie . ويزعم ان كل فعل تأنس به او تنجذب اليه هو
 خير وللحكم على اعمالنا الخاصة يجب ان نقف عندها موقف
 الغير متحيز

وفي الاقتصاد السياسي يدحض آدم سميث نظرية «الطبيعيين»
 Physiocrates . وقرر ان العمل مصدر الثروة والارزاق .
 وان شروط اجادة العمل وانتاجه بكثرة هو تجزئته والحرية في
 المبادلة أو في حمايته



٧٥

مذهب المنفعة Morale Utilitaire

جيرمي بنتام (١٧٣٢ - ١٧٩٨) Jeremie Bentham

ولد ومات في لندن وقد أوصى بتشريح جسمه

سار بنتام على مبدأ هويز من ان الانسان بطبيعته اناني
 « محب لذاته » فقال « لا يعمل الانسان قيد اصبع لآخر الا
 اذا كان له في ذلك اعظم منفعة واكبر فائدة »
 وما علم الاخلاق الا تنظيم الاثره . وهو يأمر باستعراض
 اللذات المختلفة ويقارنها ببعضها البعض ويختار منها الاكبر في
 المقدار والكمية

هذه هي نظرية المنفعة التي وضع اساسها بنتام ونشرتها
 المدرسة الانجليزية الحديثة وقد اضافت عليها عاملاً آخر وهو
 صفة اللذات

المدرسة الاسكتلندية

أربعة فلاسفة يمثلون هذه المدرسة التي يدعوها فكتور كوزين « اعتراض الذوق الفطري للإنسانية ضد افراط المذهب الحسي وضد المذهب الارتياحي . أولئك الفلاسفة هم توماس ريد . ودوجلد ستوارت . ورويه كولار . وهملتون

١ - توماس ريد (١٧١٠ - ١٧٩٦ Reid

كان ابن أحد القسوس المطهرين - وبعد ان كان راعياً لاحد الكنائس الصغرى . صار استاذاً في ابردين . ثم في غلاسجو حيث أخلف آدم سميث
أما مؤلفاته فهي مباحث في العقل البشري . ورسائل في القوى العقلية . وفي القوى الفاعلة

وهو يرى ان الافراط في البحث النظري يؤدي الى الشك ويبعد المرء عن الذوق الفطري

فأول شيء يجب ان تبحث فيه الفلسفة هو النفس وأصح طريقة تتبع في هذا البحث هي تطبيق طريقة الملاحظة التي شرحها ليكون علي الافعال الباطنية وبذلك نتوصل الى معرفة التاريخ

الطبيعي للنفس

اما المسائل النظرية الخاصة بالعلة والغاية والمصدر والجوهر
 فيجب التواكل فيها على الهام الذوق الفطري
 واذ وضع « ريد » هذه المبادئ أخذ في وصف قوى
 النفس فقسمها الى قوى عقلية (حس وذاكرة وادراك وتجريد .
 وحكم . وتعليل . وذوق . ووجدان) والى قوى فاعلة (غرائز .
 وعادات . واهواء . ورغبات وانفعالات ومنفعة وواجب) ووضع
 للقوى الفاعلة ثلاث مبادئ وهي : مبدأ آلي . ومبدأ حيواني .
 ومبدأ عقلي

وهو لا يسلم بنظرية « صور — المعاني » وهي نوع من
 الوسائط الازامية بيننا وبين الاشياء . ويزعم اننا ندرك فوراً
 ومباشرة تلك الاشياء بغير توسط شيء آخر —
 وانكر ريد ما ذهب اليه لوك من ان الحكم هو دائماً ادراك
 ما بين رأيين من الاتفاق أو الاختلاف — لان هذا الرأي تنقضه
 التجربة فقال « ان أول عملية لنا هي الحكم الطبيعي الابتدائي
 الذي نقرره على وجود الاشياء التي تستوقف نظرنا . فبتحليل
 هذا الحكم نتصور لكل شيء المعاني التي لها في ذاتنا . — فعلى
 أي شيء ترتكز أحكامنا الاصلية ؟ يقول ديكارت انها مؤسسة
 على مبدأ التناقض » — ولكن توماس ريد يؤسس معارفنا على
 خلاف ذلك فيقول « الاحكام الاولية — الواضحة بذاتها —

هي التي تصدر منا من تلقاء الذات بمقتضى نوع من الحس الطبيعي المشترك بين جميع الناس . وبالرغم عن جميع مجهوداتنا لا يمكننا الارتياح بتلك الاحكام اذ تظهر لنا اكثر وضوحاً من أى برهان أو دليل —

توماس ريد رجل ذو ملاحظة دقيقة ضحيحة وهو ليس عالماً نظرياً — فهو يصف الظواهر ، ولا يفسرها . ويعدد جميع قوى النفس وجميع احكام العقل الاولية ولا يرتبها ولا يبين الاتحاد بينها

(٢) — دوغالد ستوارت (1753 — 1828) Dugald-Stewart

أشهر تلاميذ ريد وسار على خطة وتعاليم استاذه وقد شرحها في كتابه « مبادئ فلسفة العقل البشري »

(٣) — روييه كولارد (1753 — 1845) Royer-Collard

علم في باريس مذاهب المدرسة الاسكتلندية وكان من تلاميذه فكتور كوزين وداميون . وجوفروا

(٤) — ويليم هاملتون (1788 — 1856) William Hamilton

« كتب محاورات في الفلسفة » « ودروس المنطق » والدروس

« النظرية اللاتبيعية » وفي كتاباته اثار من فلسفة الفيلسوف
الالماني « كانت »

كل معرفة هي علاقة بين الفكر وموضوع التفكير فتكون
اذن معارفنا تبعية وليست مطلقة وقد قال هملتون « التفكير هو
اشتراط او تحديد أي اخضاع الشيء لشروط أو لحدود ولو
تكون شروط او حدود فكرنا ذاته »

وتتج عن ذلك ان اللانهائي او المطلق لا يدركه العقل ولا
يمكن ان يكون الا غرض الايمان — اذ انه في الواقع غير مستطاع
ادراك شيء حقيقي بدون تعيينه او وضعه في فصيلة من الفصائل
ومتى تعين الشيء أو تخصص بفعل صار خاصا او مضافاً لجنس
اما المطاق أي الذي لا ينسب لشيء خاص يكون مجردا عن
كل تعيين ونقي كل ادراك

ولسكنا نلاحظ على هذا القول ان المطلق لا يمكن تعيينه
لانه كامل انما هو في أقصى حدود التعيين لانه في اسمى درجة
من الكمال

الفلسفة في ألمانيا

٧٧



عما نويل كانت (١٧٢٤ - ١٨٠٤)

Kant

ولد هذا الفيلسوف في كنجسبرج بروسيا الشرقية في ٢٢
أبريل سنة ١٧٢٤ • وتلقى دروسه في جامعة تلك المدينة حيث
تعلم فلسفة لينز كما شرحها ولف ثم تعين مدرسا فيها زهاء الستين
عاما فكان يدرس الفلك والرياضيات والفلسفة

وقد تأثرت افكاره الفلسفية بكتابة « هيوم » الذي ايقظه
من ثباته اليقيني ، و « روسو » الذي أوحى اليه ببعض عقائده
الادبية •

وقد قال عنه المورخ ميشليه ما يأتي « كان يوجد على شواطئ
بحر البلطيق خليقة غريبة قادرة قل عنها ما شئت • فهي السان
بل مذهب بل مدرسة جدلية • بل صخرة صلبة رسخت في
وسط البحر • وكل فلسفة حاولت الدنومن ذلك الشبح ارتطمت
وظل هو باق فدعوه « كانت » ولكنه في الواقع يدعى « النقد »

ظل هذا الكائن المجرد زهاء الستين عاماً بدون رابطة بشرية يخرج في ساعة معلومة ليدور دورته المعتادة دون ان يكلم أحداً ثم يعود من حيث خرج

أما أهم مؤلفاته فثلاثة وهي : نقد العقل المجرد أو النظري (سنة ١٧٨١) ونقد العقل العملي (١٧٨٨) ونقد الحكم (١٧٩٠) ويصدق على هذه المؤلفات قول «جويرت» انها جبل اتوس صيغ من الفلسفة وعنده ترتطم الرووس البشرية

الفلسفة الروتقارية ، ليست القضية التي حاول (كانت)

حلها جديدة ، انما هي اساس الفلسفة الحديثة وقد تساءل عنها ديكرت للمرة الاولى في هذا السؤال « ما هي قيمة المعرفة ؟ »

كان العقليون يقولون بإمكان المعرفة بواسطة العقل الصرف بدون احتياج الى أي اختبار أو تجربة

فخالفهم التجريبيون في ذلك وذهبوا الى ان التجربة اساس كل معرفة ، والخواس اداتها

فاعترى المفكرون الشك من هذا التناقض والتعارض وكاد يتجدد عهد السوفسطائيين (المغالطين) بروغوراس وغورغياس فقام « كانت » مقام سقراط في ذلك العصر واراد وضع حد لهذه الحال المريية فبحث في مصدر المعرفة واصلها والشروط

التي تحصل بواسطتها

ولم يتخذ لذلك اساساً : « ان المعرفة يجب ان تنظم مسندة الى الاشياء » بل أسسها على « ان الاشياء يجب تنظيمها تبعاً للقوانين العقلية

وتنحصر فلسفته في الثلاث مسائل الآتية

(١) ماذا يمكننا ان نعرف

(٢) ماذا ينبغي ان نعمل

(٣) ماذا نستطيع ان نأمل

وكان غرضه من دراسة المعرفة الوقوف على عواملها المختلفة

ومقدار نصيبها من الصحة وقيمتها

نقد العقل النظري : بهذا النقد يحاول « كانت » الوصول

الى الغاية الاخيرة من عقائدنا

فبعد ان ميز بين الاحكام التحليلية والاحكام التركيبية

analytique & Synthetiques اثبت ان التركيبية هي التي

توصلنا الى بعض المعرفة وهي أيضاً مدار العلوم

وهذه الاحكام — بحسب اعتقاده — على نوعين ، تالية

وأولية .

فلاحكام التالية Pesteriori من السهل ادراكها لانها

نتيجة الاختبار

ولكن كيف يمكن معرفة الاحكام التركيبية الاولى

Priori ؟ هذه هي المسألة الواجب حلها

وللاجابة على هذا السؤال يميز « كانت » بين عاملين مهمين

موجودين في كل معرفة : أحدهما اختباري تجريبي . والآخر

عقلي بديهي

فالاول يأتي من الخارج وما على العقل الا تحصيله . وهو

بطبيعته متغير وخاص ويدعوه « كانت » المادة أو العامل المادي

والثاني يأتي من العقل ذاته فيأخذه العقل من ذاته ويضيفه

الى العامل الاول . وذلك العامل مستقر على حالة واحدة لا يتغير

وعام ويدعى العامل الصوري

ويلاحظ كانت ان العامل الثاني المذكور هو الاساس

الحقيقي للمعرفة . فالمادة من تلقاء ذاتها لا تتجاوز النظام الظاهري

الصرف . ولا تصير شيئاً الا اذا اتخذت صورة، أي تطبق عليها

قوانين العقل

فمسألة الارتيايين تنحصر فيما يأتي : ماهي العوامل الاولى

لكل معرفة وما قيمة تلك العوامل ؟

ان مرجع كل معرفة اما الى الاحساس أو الى الفهم أو الى

العقل السامي

نظرية القوة الحسية:

القوة الاحساسية هي الامكان الذي أودع في الانسان ليشر

بالتأثيرات التي تحدثها فينا الأشياء المختلفة وهذه التأثيرات تسمى « ادراك عقلي » intuitions وهي مادة لمعرفة الحسية والعوامل الأولية aPriori أو الصور الحسية التي بمقتضاها تتخيل للظواهرات حقيقة واقعية ، تتلخص في أمرين : المكان والزمان — و اراد « كانت » تعين قيمة كل منها فقال انها صورتان يتخيلها العقل ولا مسوغ لنا يجعلنا ان نضعها في الأشياء. وينتج عن ذلك ان ليس في وسعنا معرفة الأشياء في ذاتها noumenes وإنما « ظواهر الأشياء » Phenomenes

نظريته العلم العام Kant's Transcendental

غرضه ان يشكل معلومات القوة الاحساسية الى معان notion أي مدركات تتكون منها الاحكام . فالمعلومات الحسية هي العامل التبعية Posteriori أو بالحري مادة أحكامنا . أما العوامل الأولية Priori الذي يطلق عليها هنا لفظ « الكليات Categories فهي القوانين الاصلية التي بمقتضاها يفكر الفكر أو يحكم وعددها اثني عشر وهذا بيانها

الوحدة

التعدد

الجمع

الكيفية

الايجاب	الكيفية
السلب	
التحديد	

الاستقلال	الاضافة
التبعية	
التبادل	

الامكان	الحوال
الوجود	
الضرورة	

فالكيفية في الحكم تعين الشيء بكثرته أو قلته
والكيفية تبين العلاقة بين الصفة والموصوف
والاضافة تبين ماهية العلاقة التي تجمع بين الشيء الموصوف
وصفته .

اما الحال فهو الصورة التي عليها انتقشت تلك العلاقة
في الذهن .

ويحصل تطبيق هذه الكليات على المعلومات الحسية بواسطة
حد أوسط وهو الزمان وهذا الحد هو الذي يدعوه « كانت » .

Sheme transcendantal

باسم

ولكن ما هي قيمة الاحكام الناشئة عن تطبيق الكلليات
على « المعلومات الحسية » ؟

من الواضح ان هذه الاحكام ، باعتبار انها قوانين لعقلنا ،
تؤدي الى اليقين . ولكن هل في استطاعتنا معرفة شيء آخر
غير تلك القوانين ، وهل للاحكام التي تصدرها قيمة حقيقية
خارجة عنا ؟

كلا بما ان المعلومات ، مادة احكامنا ، ليس لها في ذاتها قيمة
وعند ما يكون للمك المعلومات قيمة "خارجية" فاحكام الفهم لا
يكون لها سوى ظاهرات باطنية "صرفة" بما ان الكلليات التي
بواسطتها نضع تلك الاحكام لا يجب اعتبارها الا كقوانين
مكونة لقوتنا الفكرية اذ ليس لها أي علاقة بالاشياء الحقيقية .

نظريّة المنطق الاسمي Dialectique Transcendantal

العقل هو خاصه "استنتاج حكم من حكم آخر . ويؤدي بجميع
مدركات الفهم الى التعميم الكامل أو الى اسمى وحدة ممكنة"
والاحكام هي مادة هذه المعارف الجديدة والعوامل الاولية
التي تدير العقل في هذا العمل الاسمي هي المعاني الثلاث الاساسية
للنفس والعالم والله . تلك المعاني التي تقف عندها جميع معارف

الفكر الانساني

فما هي قيمتها؟ وبمعنى آخر هل ممكن البحث في علوم ما بعد الطبيعة؟

يجيب « كانت » على ذلك سلباً

لان البسيكو لوجية النظرية تؤدي الى قياسات باطلة Paralogisme التي حاولت اثبات وجود نفس بسيطة متماثلة مرتكنة على وحدة وتماثل الفكر لان الوحدة والتماثل المذكورين اما علم التكوين النظري فلا يؤدي الا الى متناقضات ضرورية antinomies لا تؤدي الى حل القضايا الآتية : هل للعالم بداية أو هو ازلي قديم . هل هو لانهائي أو انه محدود المكان؟ هل هو مؤلف من عناصر بسيطة أو قابل التجزئة بغير حد؟ هل يحتوي على اسباب حرة أو كل شئ فيه معين ومحدود كذلك اللاهوت النظري يزعم امكان اثبات وجود الله أي الكائن المطلق الكامل . غير ان البراهين التي قيلت للتدليل على ذلك لا تستطيع تخطي المثل الى الواقع

واننا باعتقادنا بوجود النفس والكون والله نصف الاشياء بما يصوره لنا الذهن فننتقل من الفكر الى الواقع بدون حق اذن لا يمكننا معرفة الاشياء في ذاتها ولكن ظواهرها فقط . وهذه هي نتيجة العقل المجرد

نقر العقل العملي : تناول « كانت » هذا النقد توصلنا
الى غرضين أولهما تعيين الاصل الاساسي الذي تبنى عليه الاخلاقية
الانسانية وثانيهما تقرير بعض ما انكره العقل المجرد اخص بالحرية
وبوجود الله وبخلود النفس وبذلك يكون اجاب على هذين
السؤالين : ماذا يجب ان نعمل . وماذا نستطيع ان نأمل

يمز « كانت » في كل عمل كافي كل معرفة بين المادة والصورة
فالمادة مجموع الظروف التي يتنوع بها العمل والصورة المبدأ
العمومي الذي يعيننا على تميم ذلك العمل
وغاية « كانت » ان يبحث بين المبادئ المختلفة التي تلزمنا
على العمل وبين مختلف صور ميولنا ، تلك المبادئ المشروعة التي
تنطبق على طبيعتنا ولهذا الغرض قسم الفيلسوف نقده الى قسمين
أحدهما تحليلي . والآخر جدلي

القسم التحليلي : (الواجب) ليحل كانت المسألة التي وصفها
لنفسه — جاهلاً ما اذا كان يوجد شيء حقيقي — . أخذ في تحليل
معنى الغاية . فأول ما لاحظ ان هذا المعنى يحتم معاني القوة والحرية
والادراك ، ثم تساءل ما هو السبب المشروع الذي يقضي بتلك
العلة . فوجد انه يشتق من سبب الزامي وعام وهو الواجب أو
بالحري الامر القطعي imperatif Categorique فهو اسمي
قاعدة للسلوك وأصل الخير
ولكن أعرف اذا كان العزم الذي نويت عليه شرعياً من

عدمه فما عليّ الا ان أطبق عليه مبدأي الالزام والتعميم او ان

اتبع هاتين القاعدتين العمليتين

(١) « اعمل ما يقرره لك عقلك انه الزامي »

(٢) اعمل ما يمكن اعتباره قانوناً عاماً لكل عاقل وحر

وإذا سألنا كانت عن مبدأ الواجب الذي يقول عنه انه

« أمر قطعي » فتارة يجيبنا انه لا يعرف عنه شيئاً وطوراً يقول

انه « استقلال الارادة » الذي يكون في ان كل انسان يجب ان

يعتبر انه غاية في ذاته . وعلى ذلك تكون الارادة المطلقة قاعدة

ومبدأ الاخلاقية

القسم الثاني — المباديء المسلم بها Postulat ليس لنقد العقل

العملي الا قيمة باطنية لا تتناول الاشياء الحقيقية ولكن

« كانت » يحاول به الوصول الى نقله الى الظاهر . لست محتاجاً

للخروج من دائرة العقل لاجد معنى الالزام الحقيقي لان عقلي

يعطيني هذا المعنى ويعلي أيضاً عليّ هذا الامر : (يجب ان تعمل

هذا أو ذاك) فاستخلص من ذلك اني موجود لان الالزام الحقيقي

يستلزم وجود العلة الملزمة

واذ ثبت الوجود الذاتي . نتج عنه أيضاً الحقائق الآتية

الواجب هو قانوني ولكي يكون له معنى حقيقي يجب ان

استطيع عمله اذ من المستحيل الزام انسان بعمل شيء لا يتعلق به

فالحرية اذن شرط من شروط الاخلاقية

ومن الامتهان قصر الاخلاقية على الفضيلة كما توجد
على الارض لانها بالضرورة ناقصة وتبعد عن الاخلاقية الكاملة
وعن القداسة التي تتطلع اليها الارادة القويمة فيستخلص من ذلك
الخلود وهو الشرط الثاني للاخلاق

اذا كان الانسان لا يمكنه في هذه الحياة الدنيا ان ينال
السعادة والفضيلة • هل في استطاعته نوالها بذاته في الحياة الاخرى؟
يظهر ان هذا غير مستطاع بل يلزم موضة العلة الاولى

فالله اذن هو شرط ثالث للاخلاق

كتب « كانت » في أحد المواضع « اضطررت ان اتقي العلم
لاثبت الايمان » ففسرت هذه الجملة التناقض الذي احتوى عليه
مذهبه . وظل الواجب الاساس الذي لا يتزعزع لجميع المعقدات
التي لا يتناولها الاختبار

(٣) الواجبات — تكلم الفيلسوف في أحد مباحثه عن
الواجبات وقسمها الى طائفتين : واجبات حق ، وواجبات فضيلة
فالاولى قد تتحتم علينا بضغط خارجي . والثانية لا نلتزم بها الا
في الباطن

والحق ، اساس الواجبات الدقيقة ، يتضمن الحق الطبيعي
والحق الوضعي . فالحق الطبيعي غريزي أو مكتسب . وخاص أو
مشترك أو عام اما الحق الوضعي فيتضمن القوانين المشروعة
وتتعلق واجبات الفضيلة بنا أو بغيرنا . اما الواجبات الدينية

فهي في المرتبة الثانية في نظر « كانت »

نهر الحكم : يراد هنا بالحكم قوة خاصة من وظيفتها اثبات
علاقة بين معلومات العقل المجرد ومعلومات العقل العملي والتوفيق
بين عالم المادة وعالم الحرية^١
ولهذا الحكم حالتان : حكم الجمال (استيتيكي) وموضوعه
الجميل والسامي — وحكم العلة الغائية teleologique — الذي
يبحث في غاية الكائنات

١ — حكم الجمال — ذكر « كانت » عدة تعريفات للجميل
نذكر منها هذا التعريف : الجميل هو كل ما يؤدي الى اغتباط
المخيلة الحرة بدون ان يتعارض مع قوانين الفهم
والسامي ينشأ من اختلاف المخيلة والفهم بخصوص شيء ليس
له شكل محدود . فاذا وجدت للمناظر عظمة كالسماوات النجوم
الزاهية فهذه هي القوة السامية

وكذلك يعترف كانت بالسمو الفكري . والسمو الاخلاقي
٢ — حكم العلة الغائية — لنا على الطبيعة احكام منطقية
بمقتضاها نجعل للكائنات غايتين احدهما باطنية خاصة بذات
الكائنات . والاخرى تبعية او خارجية
فنحن نؤكد تأكيذاً عاماً ضرورياً ان لكل عضو في
الكائنات غاية يسعى اليها . وانه لا يحصل شيء في العالم بطريق

الصدفة او الاتفاق . وبذلك تظهر لنا كجموع عظيم من الغايات
تسمى كلها الي غاية أخيرة

بيد ان كل هذه التعليلات باطنية تتصورها في ذواتنا .
والعقل العملي الذي يرشدنا الى الخير الاعظم هو الذي يؤكد
لنا ان الله هو حقيقة الغاية الاخيرة لكل موجود

(نقد فلسفة كانت) اظهر لنا كانت قدرته الفائقة في التحليل
ولكنه اخطأ في كثير من المسائل مثل تأكيده بان العقل هو
الذي ارشدنا عن حقيقة ذاتنا البشرية مع انها لم تعرف الا بالضمير
أو الوجدان . وقد وقع في أغاليط المذهب الارتيابي بالرغم عما
أظهره من البراعة في نقد العقل العملي لانه اذا كان العقل المجرد
(النظري) غير قادر على الوصول الى المعرفة اليقينية فالتعليلات
التي استخلصها من معنى السبب الحر . هي بالضرورة بدون قيمة
ويمكننا ان نلخص فلسفته في كلمتين : فلسفة ارتيابية في
حقائق الاشياء . وفلسفة يقينية في الاخلاق

٧٨

خلفاء كانت

وفلسفة الحلول

قام في وجه كانت اثناء حياته معارضون مشهورون منهم
 برهارد (١٧٣٩ - ١٨٠٩) وبلا تر (١٧٤٤ - ١٨١٨)
 اللذين دافعا عن مباديء لبنز ، ثم هررد الذي عارضه فلسفة باكون
 بيد ان الفلسفة « الكانتية » لم تلبث ان انتشرت في جامعات
 المانيا وتبوأت عرش السيادة بدون نزاع اثناء الثلث الاول من
 القرن التاسع عشر ولكنها تطورت الى فلسفة حلولية مع فخته
 وهيغل وشيلنغ

ان الفلسفة النقدية اذا فهمت على حقيقتها توصلنا بنظرية
 «المعرفة الصحيحة الى اليقين . لانها اعطت لكل من المذهب
 التجريبي والمذهب العقلي نصيبه الذي يخصه . وقد تصير في
 مستقبل الايام الفلسفة الصحيحة أي تلك التي تعتبر كعلم ثابت
 القواعد والاصول .

فالعمل الذي بدأه او تصوره « ديكارت » وأتم بعضه
 « كانت » يكون حينذاك بلغ النهاية ويكون لنتائجه أعظم تأثير

على المدنية فاطبة

وما كان في وسع « كانت » بالرغم من نبوغه ان يقوم بايصال هذا العمل الى حد الكمال من النظرة الاولى لانه تشرب بمبدأ لبرز ، وحبه للترتيب التحكيمي الذي تركه يتغلغل في استنتاجه «الكليات» جعل فلسفته النتمدية غير مستوفاة فتسرب اليها الخطأ وكان نجل خطاه انه لم ينظر الى تلك الكليات كقواعد الغرض منها ربط الافكار ببعضها البعض في نفوسنا ولم يقدر لظواهر الاشياء قدرها الحقيقي فأدبت فلسفته بداهة وبالرغم منه الى مذهب المثل الباطني أي الى المذهب القائل بان لا وجود للاشياء «العالمية الا في الفكر وبواسطته

ولقد قام فيلسوف يشبه « روسو » من وجوه كثيرة ويشبه أيضاً الفلاسفة الاسكتلنديين واطهرها لشهادة الذوق الفطري والوجدان من القيمة التي ينكرها « كانت »

ذلك الفيلسوف هو «هاكوبى» (١٧٤٣ — ١٨١٩)

المولود في مدينة دسلدروف . فقد جعل منزله منتدى الادباء والفلاسفة . وقد انتخب عضواً في اكااديمية ميخ سنة ١٨٠٤ وألف روايته الفلسفية Woldemar التي كانت سبباً في شهرته وله أيضاً رسائل في فلسفة سبينوزا ومحاوراة بين المذهب التصوري ومذهب الواقع

اما رأيه في المعرفة فهي تصدر عن بصيرة السريرة وعن

الحواس ومن قوله : « اني ارى الشمس فهي اذن موجودة »
 وافكر في الروح السامي فهو اذن كائن »
 وقد وجه سؤالاً الى « كانت » وهو بأي عقل يثبت ان
 عقله مخطيء !

اما في علم الاخلاق فيرى جاكوبي ان الخير والشر تابعان
 للشعور .

فيه (١٧٦٢ — ١٨١٤) Fichte

تلميذ « كانت » — تلقى العلم في مدينة (يانا iéna) ثم
 تعين مدرساً فيها ثم في جامعة برلين . اراد ان يصحح مذهب
 استاذه بالتوفيق بين بواطن الاشياء وظواهرها . فقال
 بما انه لا تكون ظواهر الا بوجود شيء ، فما لا فائدة منه
 افترض « ذوات اشياء Noumenes » متعددة تحت جميع
 الظواهر . فلا يوجد سوى جوهر واحد هو (الآنية) Moi
 ومنها تصدر جميع الظواهر . فالآنية وحدها المفكرة وتعرف
 ذاتها وتستقر ثم تنفصل عن فكرها وتعارضه
 ذلك ان الفكر يتوهم وجود شيء آخر غير آنيته أي عالم
 خارجي . بيد ان هذا التخيل هو عمل الآنية ومظهرها
 فالآنية هي اذن كل شيء وهي الموجودة دون غيرها ويعتمد

تفكيرها الى كل شيء لتحقيق واجبها التصوري
ولما كانت اعمالنا كلها ترمي الي الفضيلة وهذه تكون في
نسيان المرء كفرد لمنفعة وسلام المجموع . فعلى ذلك ينبغي علينا
ان نشغل بقدر استطاعتنا في اصلاح الجميع وفي نصرة العقل
وسيادة الحرية

وشرح (فخته) هذه النظرية في كثير من مؤلفاته واخصها
كتاب نظرية العلم ومصير الانسان
وقد عمل بمبادئه الاخلاقية هذه ، خصوصاً وقت الكوارث
التي حلت بالمانيا فذهب ضحيتها اذ كان يواسي الجرحى الذين
يسقطوا في ميادين القتال فاصابته عدوى اودت بحياته

قلنا ان نظرية (فخته) الاخلاقية حسنة جداً ولكن كيف
توفق بينها وبين المذهب المثالي الذي يجعل للآنية ذاتا مطلقة أو
بالحرى الهاً خالقاً كل موجود

ان اول واجب على الفيلسوف ان يراعي عدم التناقض
ومن التناقض الجمع في شيء واحد بين الوحدة والكثرة
والخير والشر . فيظهر ان المانيا حكم عليها بان تكون بلد المتناقضات

هربرت (١٧٧٦ - ١٨٤١) Herbart

شعاليه في مدينة كتنج كما في مؤلفاته أيضاً يستطع التخلص

من ذلك التناقض

بيد ان هذا الفيلسوف بذل جهداً عظيماً للتوفيق بين التجربة
والتأمل واعطاء كل منهما نصيبه الشرعي وهو يعد تجريبياً بالنظر
الى معاصريه الذين بهر ابصارهم الموجود المطلق



غبراره هيجل (١٧٧٠ - ١٨٣١)

Hegel

تجاوز حد المتناقضات

ولدهذا الفيلسوف في استتجار وعلم الفلسفة في جامعة هيدلبرج
ثم في جامعة برلين ومات بالوباء في هذه المدينة الاخيرة بعد ان
بلغ ذروة المجد والشهرة والنفوذ . فكان ذا مقدرة عقلية
وعارضة جدلية

يقول هيجل ان الفكر والكائن شيء واحد « كل معقول
هو موجود حقيقي وكل حقيقي معقول »
لقد أخطأ « كانت » في التفريق بين الهيوولي أي الشيء المحتوي
وبين الصورة أي المحل

وعلى رأي هيجل تخرج الصورة بالهيوولي ، وقوانين الفكر
هي قوانين الواقع ، الا ان المثال او المطلق دائم الحركة والترقي

فيشكل الى انواع مختلفة

ولكى يتم وجود أي شيء يجب ان تتعاقب عليه ثلاث حالات وهي :

١ حالة وضعية ايجابية these و٢ حالة تعارضها سلبية antithese
و٣ حالة تؤلف بينها Synthese

فالاجاب بوضعه ، والسلب بمعارضته يتألفان في اجاب اسمي
منهما وهذا التألف يصير وضعاً جديداً ينتهي بسلبه ليتكون
منهما تأليف ثان وهكذا على التعاقب

فكل شيء يحدث ويترقى طبقاً للحالات الثلاثة فاذا تم
التطور اللانهائي للمثل . نتج عنه الغير متناه اي الله
الا ان هذا الغير متناه هو الحد الذي يدنو منه الفكر
والواقع بدون ان يدركاه قط ولذلك يكون الله متجدد المصير
وابدى التكوين

تلك هي نظرية المثال المطلق الذي يقوده الفكر البشري .
وبه يوجد لنفسه شبه عالم نرى فيه ان كل الاشياء موجودة
وليست بموجودة . بل هي غير موجودة أكثر مما هي موجودة
بما انها « هي » وليست شيئاً « مما هي »

هذا هو جوهر المذهب الحلولي الذي يوحد بين الخطأ
والصواب ويجمع بين الخير والشر . فاذا كل ما هو عدل وظلم
يجب ان يتلاشى امام تلك الضرورة المطلقة ويأتعسا المغلوب فالحق

ثلقوة وحدها ولها السياسة والغلبة ! .

اما فلسفة شيلنغ (١٧٧٥ - ١٨٥٤) Schelling

ففي جوهرها مماثلة لفلسفة هيغل

ولد غليوم شيلنغ في دوقية ورتمبرغ وعلم فيها ثم في مونيخ فبرلين .
اعتنق المذهب المثالي المطلق ونظرية استاذة الحلولية ولكنه
ميز بين الآنية وغيرها وجعلها كوجهي قطعة من النقود وموضوعه
في (المطلق العام)

فما هو هذا المطلق العام ؟

هو العقل المطلق او المطلق اللاشخصي أو المصير العام
هو الجوهر الوحيد الذي يتحول الى هيولى . او اجسام
عديمة الادراك هذا من جهة

ومن جهة أخرى هو الروح او الفكر او الآنية المدركة
وللحياة الفكرية ثلاث درجات :

(العلم) وهو ادراك المطلق ادراكاً باطنياً

(والفن) وهو مظهر للمطلق بصفته الفردية

(والدين) وبه تتحد الروح بالحقيقة المطلقة راجعة بذلك

الى المبدأ الذي صدرت منه

هذه هي نظرية المثال الخارجى او الظاهرى

المدرة الثالثة

الجيل التاسع عشر

وعلى عتبة القرن العشرين

ليس في وسعنا ان نذكر في هذا الموجز جميع فلاسفة هذا العصر وانما سنلخص هنا المذاهب الجديدة التي كانت نتيجة تفكير كبار العقول في فرنسا ، وإنكلترا ، والمانيا ، وايطاليا ، واسبانيا .

الفلسفة في فرنسا

لفلسفة في فرنسا مذاهب اربعة وهي المذهب المادي ، والمذهب الروحاني ، والمذهب الاشتراكي والاقتصادي والمذهب الوضعي واليك نبذة عن كل مذهب



٧٦

الماديون

لامارك (١٧٤٤ - ١٨٢١) Lamarck

يزعم ان العادات الناشئة عن الاحتياجات التي اوجدتها الظروف والمؤثرات الخارجية تنتج أعضاء جديدة . وان الانواع الحية يمكنها ان تتحول وتندمج بعضها الى بعض وفي بعض وهو يفسر الحياة بتأثير سائل ساخن تتناسل منه الكائنات التي تتولد بذاتها وتنشأ عن التهيج والشعور والحاجة والعضو المغذي .

ويعتبر لامارك مهياً الطريق لدارون

جال (١٧٥٨ - ١٨٢٨) Gall

أصله من دوقية باد - شرح مبادئه وملاحظاته في مؤلفين .
دعى أحدهما تشريح ووظائف المجموع العصبي ، ودعى الثاني «وظائف المخ»

وهو القائل بان جميع أعضاء القوى والصفات توجد في

الدماغ . ووجد في الجمجمة النتوءات التي تدل على جميع أعضاء
الدماغ .

سبورزهايم (١٧٧٦ — ١٨٣٢) Spurzheim

تلميذ جال . بذل جهداً عظيماً في نشر مبادئ استاذة في
جميع أنحاء أوروبا وعلى الخصوص في انكلترا

بروسيه (١٧٧٢ — ١٨٤٠) Broussais

علم بالمذهب المادي في كتابه « التهييج والجنون » وقال ان
جميع الظواهر الحسية والادوية والعقلية التي تم فينا تصدر
عن المخ



المذهب الروحاني

Spiritualisme

حصلت في فرنسا في اوائل هذا الجيل نهضة قوية تحت
تأثيرات مختلفة ضد المذاهب المادية قام بها انصار المذاهب
الروحانية القائلة بان العقل وحده هو الواسطة في اكتساب
المعرفة الصحيحة

فدستوت دي تراسي ولاروميغيير يوصفان بأنها نقطة
الاتصال بين مذهب كندلياك الحسي والمذهب العقلي

كان دستوت دي تراسي (١٧٥٤ — ١٨٣٦) Destutt de
Tracy سجيناً أيام الثورة الفرنسية واطلق سراحه في ٩
تميدور. ثم تعين مدرساً للفلسفة فنشر دروسه بعنوان
« المبادئ الفكرية التصورية »

ومن رأيه ان الفكر يصدر عن الاحساس والوجدان مرتكنا
على المبدأ القائل (ان التفكير هو الشعور)

فالاحساسات والتذكريات والعلاقات والرغبات ، كلها وظائف
تلقوى الاحساسية والذاكرة والحكم والارادة

أما لاروميغيير (١٧٥٦ — ١٨٣٦) Laromiguiere فقد

تقدم خطوة أوسع من دي ترامي فالدروس التي القاها في كلية
الاداب بباريس من سنة ١٨١١ الى سنة ١٨١٣ وطبعها بعنوان
(الدروس الفلسفية) تذهب الى ان جميع قوى النفس تصدر من
الانتباه اذ يقول (يتضمن الفهم الانساني ثلاث قوى وهي :

الانتباه او الالتفات الذي يهب لنا المعاني

والمقارنة التي تصل تلك المعاني ببعضها البعض

والتعليل او التروي الذي ينظر في العلاقات الاكثر تعقيدا

هذه هي قوى الادراك الثلاثة ولا يوجد غيرها لان القوة

الاحساسية ما هي الا استمدادا بسيطاً

اما الذاكرة ، فهي نتأج الانتباه او ما يتبقى من الاحساس

الشديد .

والحكم اذا اعتبر انه ادراك علاقة بمتعلق . فهو شيء انفعالي

يتبع المقارنة بالضرورة

والتروي والتخيل هما بلا شك قوتان . غير ان التخيل نوع

من التروي في الشكل . والتروي ذاته يتألف من التعليلات

والمقارنات وأعمال الانتباه . فهو اذن لا يتميز عن احدى

تلك القوى

اذن لا يوجد في النفس سوى ثلاث قوى . ولكن ليس

هذا كل ما في الامر

يريد الانسان ان يكون سعيداً . فاذا احتاج الى شيء مشترك
جميع تلك القوى في العمل . واتجاهها الى الغرض الذي نشعر
بالاحتياج اليه يدعى رغبة

والرغبة اذا استقرت على شيء اختارته بين جملة أشياء
عد تفضيل

والتفضيل بعد المداولة يسمى حرية

ويطلق على مجموع تلك القوى الثلاثة اسم الإرادة . كذلك

الإرادة والفهم يجمعهما لفظ الفكر

تتولد الحرية عن التفضيل . والتفضيل عن الرغبة ، والرغبة
عن المقارنة . والمقارنة عن الانتباه .

فثبت اذن ان الفكر او قوة التفكير التي تشمل جميع قوى
النفس تصدر عن الانتباه

نقد هذه الفلسفة

نلاحظ معكتور كوزين انه يستحيل ان الفكر البشري
ينحصر باجمعه في هذه القوى الثلاثة أي الانتباه والمقارنة
والتعليل أو التروي

نعم ان الانتباه شرط للادراك ولكنه ليس الادراك
ويلزم للمقارنة استطاعة الحكم . ولكنها ليست ادراك الحقيقة

وإذا كان التروي هو الذي يسمح للعقل ادراك بعض الحقائق الخفية . فليس هو الذي يدركها

فادن لاروجبيرنسي القوة الاساسية التي تدرك الحقيقة هما عطي لها من الاسماء : الفكر او العقل او الفهم كذلك من الخطأ القول ان الرغبة تنشأ عن القوى العقلية ولا هي اساس التفضيل والحرية

كما ان تعريف الحرية ناقص . وما كل تفضيل يدعى عملاً حراً اذ لو كان كذلك لكان الشر الذي يفعل عن طيب خاطر وبمسرة قلب بدون ترو . يكفي لرفع كل مسئولية ادبية عن الفاعل



فيكتور كوزين (١٨٦٧ - ١٧٩٢) V. Cousin

هو مؤسس ورئيس المدرسة الانتحائية تلقى الفلسفة عن روييه كولار ثم اخلفه في تدريس تاريخ الفلسفة فنبغ في ذلك وطارت شهرته واعتزل التدريس سنة ١٨٢٠ ثم عاد اليه في سنة ١٨٢٨ على عهد وزارة مرتدياك ثم عين على التعاقب مستشاراً للحكومة فعضواً في المجلس الملكي للمعارف العمومية فعضواً في المجمع العلمي الفرنسي ففى اكااديمية العلوم الادبية والسياسية فديراً لدار العلوم فاستاذاً اعظم في الجامعة

أما أهم مؤلفاته فهي دروس تاريخ الفلسفة فكتاب الحق
والجميل والخير ، ونبذات فلسفية

ويتضمن المذهب الانتخائي استخلاص أصدق الآراء من
مختلف المذاهب وتكوين مجموعة منها تكون أتم مظهر للحقيقة
فلو اتبع كوزين هذا المذهب بحكمة وروية مسترشداً بالمبادئ
القوية التي تميز حقيقة بين الصواب والخطأ لسانمت من كل نقد
يبد ان هذه الطريقة كانت سبباً في الوقوع في اغلاط كثيرة
فكوزين زعم مع المدرسة الاسكتلندية ان الحس والوجدان
لا يدركان الا الظواهر

أما معاني الجوهر والعالمة والمطلق واللا نهائي فهو يخصصها بادراك
العقل بدون دخل للتجربة . كذلك الحال في معني الحق والجميل
والخير فثالها الاعلى يختص بنوع من العقل اللاشخصي اذا تصورته
المخيلة بدون حقيقة واقعية . فكان كوزين بذلك يجدد المذهب
المثالي idealisme ونظرية « كانت » في جوهر الاشياء

Noumene

وعبثاً حاول كوزين التمسك بالوحي الباطني أو شبه الايجاء
ليبر قيمة هذه المعارف الاساسية فانه لم يخل من متناقضات
مذهب الظواهر العرضية ومذهب المثاليين

ولكنه بالرغم من هذا العيب المنطقي فهو يشغل درجة
راقية بين الفلاسفة الروحانيين بالنظر لدفاعه عن نظريات افلاطون

وديكارت في علم النفس والاخلاق وما بعد الطبيعة

تيودور جوفروا (١٧٩٦ — ١٨٤٢) T. Jouffroy

اشتهر ككاتب وخطيب وفيلسوف

كان يلقي دروسه في منزله من سنة ١٨٢٢ الى سنة ١٨٢٨
ثم في كلية الآداب قني مدرسة المعلمين وأخيراً في كلية فرنسا
وإهم فلسفته المذكورة في نظريته النفسية عن معلومات
الوجدان .

وهو يتعارض مع الحسين والقائلين بالظواهر ويخص الوجدان
بالادراك المباشر للآنية النفسية التي هي بمثابة جوهر وكوضوع
مماثل للظواهر المتغيرة وكسبب حر في اختياره

مين دي بيران (١٧٦٦ — ١٨٢٣) Main de Biran

تقلب في عدة وظائف حكومية رئيسية واشتهر بجملة مؤلفات
وقال عنه فكتور كوزين « انه اكبر فيلسوف نظري تشرفت
به فرنسا بعد ملبرانش » وقال عنه روييه كولار « انه استاذنا
جميعاً »

وكانت أخص أبحاثه في النفس بواسطة التأمل Reflection
وفي مختلف قواها

وكانت « الارادة » أهم ما لفت نظره . والاجتهاد في نظره
هو المظهر الاساسي للحياة العقلية والبشرية ففيه تتلخص معاني
السببية والآنية . وهذا الاجتهاد هو الذي يرشدنا الى الانية
الايجابية وما يعارضها سلباً

جرنييه (١٨٦٤ — ١٨١١) Garnier

مؤلف كتاب قيم في قوى النفس وهو أهم المؤلفات عن علم
النفس في عصرنا الحاضر
وينتمي الى المذهب الروحاني كثيرون من علماء هذا العصر
أمثال جول سيهون . وبول جانيه وفوييه وغيرهم مما لا يسعنا
ذكر جهودهم وتحليل مؤلفاتهم الفلسفية في هذا الموجز

المذاهب الاجتماعية

Sociologisme

نستعير هذا التعبير عن «اوجست كونت» للدلالة على عدة مذاهب فلسفية أهم اغراضها اصلاح الهيئة الاجتماعية فالاقتصاديون (جان باتست ساي، تاملين آدم سميت، وبستيات، وبلانكي وغيرهم) يأملون ترقى الهيئة الاجتماعية بترك المصالح المادية تنتشر وتنمو بكل حرية إخالية من كل قيد وبعض الاشتراكيين وعلى رأسهم سان سيمون (١٧٦٠ — ١٨٢٥) يتمنون ان يسود الاخاء العام على العالم ويرغبون في تفكك اواصر الاسرة بتحرير المرأة من كل قيد وكل رابطة زوجية، ويطلبون توزيع ثمرات العمل على كل واحد بحسب قدرته وأهليته، وعلى كل أهلية بحسب عملها، وكل ذلك يحصل بسلطة الأب السامي

ومن رأي سان سيمون ان الانسان خلق للسعادة في هذا العالم، والسعادة تكون في نوال الشهوات وابطال حق الملكية الشخصية.

وتوجد فئة أخرى اشتراكية يتولى زمامتها فورييه

(١٧٧٢ - ١٨٣٧) توهم ان في الامكان تشارك الناس في جمعية عامة بواسطة الاجتذاب الجنسي الذي يهيمن على العالم الادبي كما يهيمن الجذب الطبيعي على العالم المادي

ويتم ذلك بانشاء « بلوكات Phalanstere » وهي مساكن تخصص للناس الذين تؤلف بينهم اميال او مهنات متجانسة وكل بلوك ينقسم الى فئات . وكل فئة تحتوى على مجموعات . وكل مجموعة تضم عدة اشخاص يحترفون حرفة واحدة وتوزيع نتاج العمل يحصل بنسبة رأس المال والعمل والكفاءة مجتمعين

وهناك طائفة أخرى (بيير لير و ١٧٩٨ - ١٨٧١) وجان رينو (١٨٠٦ - ١٧٦٣) تطلب الاخاء العام مثل الشيعة المنتمية الى سان سيمون . غير انها تشير « بالتضامن » للوصول الى غرضها

وهذا التضامن هو الذي يصيغ الاثرة والايثار في مبدأ واحد . والعائق الوحيد الذي يحول دون تحقيق هذا الغرض هو الاستبداد الذي تغلغل في العائلة باستعباد المرأة . وفي الحكومة بتمييز فئة عن أخرى وشخص على غيره . وفي الملكية باحتكارها تحت أيدي بضعة انفار قلائل . فيجب القضاء على ذلك الاستبداد

وشرح « لير و » في كتابه : الانسانية ومبادئها ومستقبلها

كيف ان الانسان صائر الى الكمال بدون حد وان رقيه يتم في
 هذا العالم الارضي في حياة متعاقبة
 واستوفى (رينو) شرح هذا المذهب في كتابه (الارض
 والسما))

اما بطرس يوسف برودون (١٨٠٩ - ١٧٦٥) Proudon

فله مركز خاص بين الاشتراكيين لانه يريد تطبيق مذهب
 هيغل على الانظمة الاقتصادية والاجتماعية
 وهو وان كانت له آراء ثورية والحادية كقوله (ان الملكية
 هي لصومية وان الله هو الشر) فله أيضاً أفكار سامية عن
 الكرامة البشرية وجهال العدالة وكل ذلك ليس لله فيه يد
 انه لا يلغي حق الملك على الاطلاق بل يقول بالحياة الدائمة
 ولكنه يؤكد ان العمل وحده هو الذي يبرر حق الامتلاك
 وقد قاوم بشدة المذهب الشيوعي ومهد طريق الاشتراكية
 الحديثة . وطلب الغاء الفائدة عن الاقتراض وجعل ضريبة مال
 واحدة توضع على العقار ليس الا

بيد ان لويس بلانك « الابيض » واتين كابت . تجاوزا
 جميع الاشتراكيين بارائهما المتطرفة فهما يريدان المساواة المطلقة
 بين جميع الافراد وتقسيم الارزاق بين الجميع

ولتحقيق هذا الغرض يودان الغاء التجنيد والقضاء على الجيش . وترتيب العمل . وفرض الضرائب على الايراد

—

٨٢

المذهب الوضعي

Positivisme

قال العلامة فوييه : ان مذهب سان سيمون الاشتراكي مضافاً اليه مذهب كبانيه بروسكس المادي تولد عنها مذهب اوجست كونت الوضعي

ولد اوجست كونت (١٧٩٨ — ١٨٥٧) Auguste Comte في مدينة مونبلييه ودخل في سنة ١٨١٤ في مدرسة الهندسة ثم اضطر للخروج منها لمخالفته النظام . وفي ذلك الوقت تعارف على سان سيمون زمناً قصيراً . وفي سنة ١٨٢٤ تولى زعامة المدرسة الوضعية ومبداؤها رفض كل ما لا يتحقق بالاختبار

والمباديء العامة في هذه الفلسفة تنحصر في ثلاث مسائل :

الاولى — قانون التطور الفكري في ظرف ثلاثة ازمنة

الثانية — ماهية المعرفة

الثالثة — ترتيب العلوم المختلفة

(١) فقانون الازمنة الثلاثة هو أهم تلك المسائل
في نظر الفلاسفة الوضعيين . او كما يقول ستوارت ميل « انه
السلسلة الشوكية لتلك الفلسفة »

ويتلخص هذا القانون فيما يأتي :

كان الناس في بدء امرهم ينسبون الظاهرات التي يشاهدونها
الى قوات غير منظورة يدعونها آلهة ، وهذا هو العصر اللاهوتي
مع مختلف عقائده من حيث التوحيد والتعدد
ولكنهم لما رأوا ان الظاهرات تحدث على وتيرة واحدة
لا تتغير ، وهذا لا يتفق مع الارادة المتغيرة ، اعتقدوا بوجود
صفات خفية أو خواص او سوائل جاذبة

وهذا هو العصر النظري

وأخيراً أخذ التأمل يبذل تلك الخطرات الفكرية المضطربة
التي لا ترتكز على أساس . وبحث الفكر في اسباب تلك الظاهرات
التي تسبق او تلازم حدوثها

وهذا هو عصر العلم الوضعي الذي نعيش فيه الآن

(٢) الشيء الواقعي هو وحده موضوع العلم لانه وحده
الذي يمكن تحقيقه بالاختبار وربط اسبابه بمسبباته
فالحوادث التي يمكن ملاحظتها هي الحوادث الظاهرة . اما
الحوادث الباطنة فلا يمكن معرفتها

والعلم الخاص بالانسان هو علم هذا الوجود

والعلاقات التي يمكننا معرفتها هي التي نستطيع ادراكها
بالحواس اي علاقات المشاهدة بالتوارث
اما البحث عن العلل الفاعلة والغائية فبحث مناه للعلم .
وجميع معارفنا نسبية بالاضافة الى شيء آخر اذ لا يوجد
شيء مطلق

ولا يفهم من ذلك ان العلم يؤدي الى القول بالمادية وبالاحاد
كلا لانه لا ينكر النفس ولا الله انما يجهلها
(٣) يرتب كونت العلوم كالاتي :

الرياضيات . فالفلك . . فالطبيعة والكيمياء . فعلم وظائف
الاعضاء . فعلم الاجتماع

وهذا الترتيب يتناسب مع تكوين العالم : فالحياة الادبية
قوامها الحياة العضوية . وهذه قوامها الكيمياء . وقوام الكيمياء
الطبيعة . وهذه قوامها الفلك . وقوام هذه العلوم الرياضيات
امافي علم الاجتماع . فقد فسرا ولا ما يدعوه بالاعتدال والحركة
بنوع من الميل الذي تنجذب به الاجرام بعضها الى بعض بدون
حرية او اختبار بل بناموس آلي تام كما يحصل في الاجرام السماوية
ولكنه حاد وابدل هذه الحركة الآلية بقانون الايثار الذي بمقتضاه
يفضل الانسان غيره على نفسه

ثم أدى به القول أخيراً الى الاعتقاد بدين عام للانسانية

اميل لتريه (١٨٠١ - ١٨٨١) Emile Littré

كتب نبذتين عضد فيها المذهب الوضعي وهو يسلم بان
الظواهر الحسية هي وحدها موضوع العلم ولا ينكر كل بحث
نظري انما يقول بانه غير مدرك . اما في علم النفس فانه يرجعه الى
ظواهر مخية

—٢٤٤٣٤٣٢—

هيبوليت تين (١٨٢٨ - ١٨٩٣) Hyppolyte Taine

انضم الى المذهب الوضعي وكان اول كتاب فلسفي له هو
« الفلاسفة الفرنسيين في القرن التاسع عشر » وهو رسالة تهجو
ضد المدرسة الرومانية

اما مذهبه فمشرح في كتابه « الفهم » وفيه يقول ان العلم
لا يتناول الا الشيء المحسوس ، والاحساس والفكر متماثلان وما
الفكر الا احساس ضعيف . والادراك وهم حقيقي
ومجمل مذهبه يؤول الى مذهب كندلياك الحسي بدون ان
يلتفت الى الفكر او الحكم او التعليل

مدرسة النقد الحديث

شارل رينوفيه (١٨١٥ - ١٩٠٣) Ch. Renouvier

حاول هذا الفيلسوف بعد كانت ان يحل مذهباً جديداً للنقد النسبي محل الفلسفة التجريبية والظاهرية كما فهمتها جميع المدارس الفرنسية الفلسفية

فامتحانات النقد العمومي وعددها خمسة تتضمن فحص قوانا الخاصة بالمعرفة وبموضوع معارفنا ودرجات اليقين

وهو يسلم مثل كانت اننا لا نعرف سوى ظواهر الاشياء أي العامل المتمثل في ادراكاتنا واننا نفرض الكليات الباطنية لقوانا على الظواهر وهذا هو العامل المتمثل

غير ان رينوفيه يخالف كانت في مسألة ذوات الاشياء

noumenes

فعلى زعم رينوفيه يكفي قانون الظاهرات ويقوم مقام الجوهر وبذلك تكون موضوعات المعرفة هي من اعمال الوجدان والاعمال الخارجية وعلاقات تلك الافعال ببعضها ببعض

ويقول ان علاقات الظاهرات وقوانينها تثبت بفعل

الارادة الحرة

ويحتم نظريته بان العلم نسبي أو بالحري لا يوجد علم
بالمعنى الصحيح

—٤٥٤٣٥١٧—

٨٠

المدرسة التقليدية

Traditionalisme

تنقسم المدرسة التقليدية الى قسمين (احدهما) معتدل وهو
الذي يقلل من قوى العقل الطبيعية ومن فلاسفة هذا الفريق
(١) الكونت جوزيف دي ماستر (١٧٥٤ — ١٨٢١)
J. de Maistre ولد في شمبراي حيث كان والده رئيس برلمان
سافوا . واشهر مؤلفاته كتاب ليالى « بتروغراد » .

وقد اظهر في هذا الكتاب ان الله يهيمن على العالم وقال في
موضع آخر ان الانسان يتألم لانه مجرم . وكل مرض جسماني
متسبب عن ألم أدبي . والتفكير هو اهتمام كافة الشعوب وهو
أيضاً غرض الحكم الالهي . وعن ذلك نشأت الحروب والابوثة

(٢) الفيكونت لويس دي بونلد (١٧٥٤ — ١٨٤٠)

L. de Bonald أعظم مدافع عن الملكية بعد الثورة الفرنسية

وهو مؤلف كتاب « مباحث فلسفية عن الموضوعات الاولى
للمعارف البشرية والتشريع الاصلي

ومن رأيه ان اللغة أوحى بها الخالق الى الانسان لان هذا

لا يستطيع بقوته الطبيعية وحدها ان يبتدع النطق

وان الانسان لا يعرف فكره الا بواسطة الكلمات فينتج

عن ذلك ان الافكار التي علمها الله للانسان هي الهية بمصدرها

كالنطق ولذلك لا تكون عرضة للشك فيجب اذن التسليم بان

الحقيقة المؤكدة مؤسسة على الوحي أو الانكشاف الالهي الاصلي

ورثناه نحن بالتقليد والتسليم عن السلف

وثاني القسمين تقليد مطلق وهو القائل بان العقل الفردي

لا يستطيع قطعياً الوصول الى المعرفة المؤكدة

. واشهر القائلين بذلك هما : لامنيه والاب بوتين

لامنيه (١٧٨٢ — ١٨٥٤) F. de Lamennais له كتابان

جعلاه في مصاف الفلاسفة وهما « مبحث في عدم الاعتداد بالدين

ونبذة فلسفية

اما باقي مؤلفاته : كلمات مؤمن ، وكتاب الشعب ، والرق

الحديث فكلمها جدلية ضد الكنيسة والحكومة الفرنسية

قال لامنيه : ان جميع وسائل المعرفة التي يستطيعها الانسان

لا تثبت لها وهي مع ذلك خادعة لان الحواس تمثل لنا العالم في

صورة خيالية . والشعور الوجداني لا يرشدنا عن حقيقة انفسنا

والعقل التابع للتجربة ليس له الا مقدمات مكدوبة . فاذن لا
توجد حقيقة يقينية الا بارشاد الهى وبالتسليم التقليدي

اما الاب بوتين (١٧٩٦ — ١٨٦٧) Abbé Bautain

فلا يعترف في كتابه « فلسفة المسيحية » بصدور الحقيقة
الا من الانكشاف الالهى ، وكل معرفة هي الاعتقاد بكلمة الله



الفلسفة في ألمانيا

ظلت فلسفة « كانت » السائدة على العقول في ألمانيا حتى سنة ١٨٣٠ بفضل خلفائه فخت وهيغل وشيلنغ — ولكنها انقلبت بعد ذلك الى « وضعية او تجريدية » مع لوتز ، وهامولتز . وويبر وفينر .

والى « مادية » مع موخت . وبختر . وفوجت . وهيكل
والى « تشاؤمية » مع شوبنهاور . وهرتمان . ونتشه

هرمان لوتز (١٨١٧ — ١٨٨١) H. Lotze

المولود في بوتزن كان اكثر الناس علماً بذهب هيغل ولكنه مع ذلك كان اكثرهم كراهة لذلك المذهب فاخذ في معارضته وتقدمه وقد حاول ان يجعل للادراك مواضع في النفس وهو يعتبر أول من مزج علم النفس بعلم وظائف الاعضاء

اما هامولتز (١٧٢١ — ١٨٩٤) Helmholtz

المولود في مدينة بوتسدام . فانه اضاف الى طريقة لوتز حساباً دقيقاً يختص بسرعه السيل العصبي

بفترة الزمن بين الظواهر الطبيعية العضوية وبين الإدراك المدرك
ولهذا الفيلسوف مؤلفات مهمة في العدسات والصوت
والكهرباء .

اما فيبر Weiber

فقد بين دوائر الاحساسات والفرق بينها وبين دوائر
الاجسام المنحنية

اما جستاف فيودور فيختر (١٨٠١ — ١٨٨٧) Fechner

المولود في جروسن سرخن . فانه نشر سنة ١٨٨٠ بحائه
في أصغر قوة لكل حاسة من الحواس . وفي الفوارق الموجودة
بين الاحساسات المتشابهة . وهو الواضع للقانون الخاص بعلاقة
التهييج بالقوة الاحساسية
ويتلخص هذا القانون في « أن الاحساس ينمو بدرجة
اللوغاريتمية للتهييج »

—————

نادى بالمذهب المادي في المانيا في هذا الزمن الفيلسوف الطبيعي

مواخوت (١٨٢٢ — ١٨٩٣) Moleschott

المولود في « بوا — لي — دوك » وقد دافع عن هذا

المذهب دفاعاً شديداً في كتابه «الدورة الحيوية» وكتاب
«وظائف التغذية»

كذلك بـ *Buchner* (١٨٢٤ — ١٨٩٩)

مؤلف كتاب «القوة والمادة»

ولد ومات هذا الطبيب الفيلسوف في مدينة درمستاد .
واشتهر أيضاً بفلسفته المادية كارل فوجت (١٨١٧ — ١٨٩٨)
المولود في مدينة جيسين . بدفاعه الحاد عن إنظرية «التطور»
في كتابه «دروس في الانسان» وهو القائل ان المخ يفرز الفكر
كما تفرز الكبد الصفراء . وكما تفرز الكلى البول !

Hæckel وهيكل

الطبيعي المولود في بوتسدام سنة ١٨٣٤ ذهب بنظرية «التطور»
الى ابعاد غاياتها واقصى مدلولاتها . فانه ارجع كل شيء الى ذرة
واحدة حية *monere* اشتقت منها كل الكائنات بنوع التطور
التدرجي السائر في سبيل الترقى





امان تور شو بنهور (١٧٨٨ - ١٨٦٠)

Schopenhauer

ولد في مدينة دنترج وكان والده أحد أغنياء التجار
ذكرت فلسفته في كتابيه «الجذور الاربعة لمبدأ السبب الكافي»
«والعالم ارادة وتمثيل»

فرايه ان جميع الظواهر الاختيارية واحكامنا واشكال
الزمان والمكان . وفعل الفاعل ونتيجة فعله . كل ذلك مرجعه
ومصدره «الارادة» دون غيرها وهي العلة الكافية لتغليب
كل شيء

«فالعالم هو ما أمثله» او هو نتاج الفهم

وشهرة شو بنهور في (تشاؤمه)

قال : اثبت العلم ان الانسان يشعر بالالم وبشدته كلما زاد رقيه
وكما تقدم في العمر، والنوابغ اكثر الناس تألماً . وان الحب سبب
اكبر المصائب واكثرها التي حدثت في العالم . فهو منشأ البغض
والحروب والفيرة والخيانة والحجل والجنون

أن (المطلق) الذي ابداع كل شيء بدون غاية وبلا سبب أوجد في كل الكائنات الرغبة في الحياة ولكن الحياة جهاد . والجهاد تألم . ودواء ذلك ملاحظة « الرغبة في الحياة ولا يكون ذلك بالانتحار * بل بان يدمج الانسان ذاته في مشاهدة هذا الكون العظيم طبقاً للمذهب البوذي

وهو يرى ان العالم الحاضر اقبح الموالم التي يمكن وجودها

ولكن ادورد دي هرتمان (1842 - 1906) Hartmann

خفف من شدة تشاؤم شو بنهور بأن سلم عبداًين احدهما الخير والثاني الشر . فوضع بجانب الارادة عنصراً آخر لا يدرك ذاته فيرتب المواد المرتبة التي تتوارد على الارادة

فالعالم اذن ليس رديئاً بجوهرة . انما هو اضر من العدم ولكي يقارن هرتمان بين الخيرات والشرور شرح ثلاث حالات للحياة البشرية وشبهها باحلام ثلاثة للحصول على السعادة بدون سعادة حقيقية :

(الحلم الاول) تكون السعادة في هذا العالم بتنمية وتقوية قواها - وهذا هو ضلال الوثنيين : لان حب الوطن . والتضحية والمجد . والحب - كل ذلك وهم وحنون وألم

(الحلم الثاني) سعادة الانسان في العالم الآخر • أي في فردوس النعيم • وهذا هو التعليم الالهي
غير ان هرتمان لا يعتقد بوجود آخرة فالحلم اذن — على زعمه — لا وجود له

(الحلم الثالث) السعادة التي لا حد لها ودأماً في ازدياد وهي
امال البشرية المستقبلية ولاجلها يضحى الفرد سعادته الحالية وهذا
الحلم هو تعليمٌ لبعض المفكرين الاحرار ولكن الترقى يكتسب
بترقى الفكر • ولما ترقى الفكر الى الكمال كلما ازداد الانسان
تعاسة وألماً • لانه يزداد فيها فيكثر شعوره بالالم
والنتيجة : يجب ان يجتهد الانسان في تقصير حياته فلا يسعى
للحصول على مسرات الحياة إلى ان يأتي يوم يلتجر فيه
العالم بالتلاشي

اما نتشه (١٨٤٤ — ١٩٠٠) Nietzsche

فانه حاول في جملة مؤلفات تأسيس مذهب خلقي مبني على
الاثرة والاثانية . ومن مبدائه نمو القوة الحيوية نمواً زائداً •
والغاية من ذلك ايجاد نوع جديد من بني الانسان هو
«الانسان السامي»

فقد « نتشه » صوابه وجن سنة ١٨٨٩
وقال العلامة فوييه الفرنسي « ان مذهب نتشه التمس،
يؤدي الى مستشفى المجاذيب ونظريته بدلا من ان تخلق
« الانسان السامي » فانها أوجدت الانسان السافل



الفلسفة الانكليزية

المذهب الحسي هو السائد على عقول الفلاسفة الانكليز في هذا العصر . وأشهر ممثليه هم ستوارت ميل — ودارون — وهربرت سبنسر — واسكندر بين

نظرية التشارك Associa ionisme

جون ستوارت ميل J. S. Mill

ولد في مدينة لندن في ٢٠ مايو سنة ١٨٠٦ وتوفي في سنة ١٨٧٣

أعجب بفلسفة « أوجست كونت » وادعى التلمذة له ولو انه لم يسلم بكامل نظرياته

وأهم كتبه هي : بحث في فلسفة هملتون . ومبادئ الاقتصاد السياسي . وكتاب المنطق

اما مذهبه في علم النفس فتجريبي صرف . اذ يقول ان جميع افكارنا واحساساتنا قابلة للتشارك اذا كانت من نوع واحد فقانون التشارك أو تداعي المعاني . هو اساس الظواهر

الباطنية . اذ اننا عند ما نعتاد على جمع معنيين ببعضها البعض
فاذا خطر أحدهما على الفكر في وقت ما ننتظر ان يخطر الثاني
فهذا الانتظار هو اساس الاستقرار .

فنظرية « التعود » لا تفسر معنى « الآنية » ولا معنى
« المطلق » ولكن ستوارت ميل اجتهد ان يفسر (الآنية)
بواسطة الاحتمالات المستمرة غير ان تفسيره غامض
وقد قبل معنى (المطلق) بدون بحث كعامل جوهري
لوجودان والفكر

(فالمطلق) حسب رأيه غير قابل للتعريف ولكنه يدرك
ادراكاً فحسب

(مذهبه الخلقى) اُضيف ستوارت ميل على الحساب الخلقى
الذي ذهب اليه بنتام — عاملاً آخر وهو « الصفة » اذ يقول :
ان الافضل ان يكون الانسان سقراطاً متكدرأً عن يكون خنوصاً
متلذذاً

ولكنه لا يسلم بالالتزام الادبي ويرى استبداله بقوة جاذبية
« التعود » الذي نشأ عليه الانسان من صغره فاشرك الفائدة
العامة بالفائدة الخاصة

فعلم الاخلاق وعلم الاجتماع يكونان علماً واحداً لا فارق بينهما
كما انه يؤسس حق الملكية على « العمل » ويجذب كثيراً الحرية
ورأيه السياسي ان تبني الديمقراطية على حق التصويت العام
والنسبي الذي تكون الاقلية ممثلة فيه



دارون (١٨٨٢ - ١٨٩)

Darwin

ولد شارل روبرت دارون في شروسبري في الثاني عشر من شهر فبراير سنة ١٨٠٩ وتوفي في داون يوم ١٩ ابريل سنة ١٨٨٢

بدأ حياته المدرسية في شروسبري ولكنه لم يكن يهتم الا بالصيد والكلاب حتى قال له والده يوماً « انك ستكون عاراً على مائتتك وعلى نفسك »

وفي سنة ١٨٢٥ أرسله أبوه الى ادنبورغ ليتعلم فيها الطب . فلم يكن يعبأ بالدرس لانه لاحظ ان والده سيترك له ثروة كافية ليعيش بها بدون احتياج لممارسة مهنة الطب

وكانت المحاضرات تضايقه كثيراً وتردده على المستشفى يلقي الرعب في قواده . وقد حضر عمليتين خطرتين احدهما عملت في طفل فارتاع منها وهرب من المستشفى ولم يعد يضع قدمه فيه مرة أخرى .

وانتقل بعد سنتين الى كبردج . وكان يمضي اكثر اوقاته في جمع الحشرات المختلفة وتعرف اثناء ذلك بالعالم النباتي هنسلو .

وفي ديسمبر سنة ١٨٣١ سافر مع بعثة في « أرض النار »
ومكث فيها حتى سنة ١٨٣٦ وهذه المرة كان لها أعظم تأثير
في حياته

ثم تزوج في سنة ١٨٤٩ ابنة عمه أيعا ورجور واقام ثلاث
سنوات ونصف في لندن ثم اشترى ملكاً في مدينة داون التي
تبعد عن لندن مسافة ساعة في السكة الحديد فقضى باقي ايام
حياته في وسط سكون الطبيعة واخضرارها

مؤلفاته : أصل الانواع ، تسلسل الانسان ، مظهر التأثيرات
في الانسان والحيوان

فلسفته : — تدور حول مذهب التطور **Transformisme**
وقد استعار بعضه عن فيلسوف طبيعي فرنساوي « لامارك »
الذي سبق الكلام عنه

وتتلخص نظريته فيما يأتي :

جميع الانواع الحيوانية والنباتية الماضية والحالية متسلسلة
بطريق التطور والتعاقب من ثلاثة أو اربعة أصول ، وربما كانت
من أصل واحد . اذ يقول : « ان المقارنة تذهب بي الى ابعده
من ذلك أي الى الاعتقاد بان جميع الحيوانات وجميع النباتات
تسلسلت من نوع واحد »

ولكي يفسر دارون هذا التطور استند على جملة قوانين
فالكائنات الحية ، بدافع ناموس الارتقاء ، تميل الى التكاثف

« بنسبة متجاوزة الحد . فتنقاد الى التزاحم الحيوي » أو النضال
من أجل الحياة »

و نتيجة هذا النضال قتل جميع الافراد السفلى باي صفة كانت
لحفظ الاحسن وبقاء الاصلح وهذا هو « الانتخاب الطبيعي
وفي كل مرة يحصل هذا الانتخاب يرتقي العضو في طريق
مهياة له من قبل ولا يمكنه ان يجيد عنها ، خاضعاً في ذلك لقانون
اختلاف الصفات . ثم عند ما تحين الفرص تتطبع أعضاء كل
« ذات » بعوامل الوسط الذي وجدت فيه . ومن ذلك تنشأ أنواع
جديدة مختلفة

وكل نوع قائم بذاته يجب ان يعتبر انه نوع وشيك يأخذ
في الترقى تدريجياً

فالنوع الانساني لم يسلم ، بحسب هذه النظرية ، من قانون
التطور . فهو متسلسل من قرد و صار في سبيل الارتقاء الى ان
صار كما هو الآن

بيد ان دارون قرر انه لا يبحث عن مصدر القوى العقلية





هربرت سبنسر

H. Spencer

حياته — ولد هربرت سبنسر في مدينة دربي في ٢٧ أبريل
سنة ١٨٢٠

كان والده مدرساً وعمه قسيساً ومذهبياً في السياسة (راديكالي)
ولما كانت هربرت الحرية التعليمية اهتم منذ صغره بالعلوم
الطبيعية والمسائل السياسية مفضلاً إياها على دراسة اللغات البائدة
ورفض الدخول في المدارس الجامعة

ولما كان عمره سبعة عشر عاماً استخدم مهندساً في سكة حديد
لوندري وبرمنجهام ، وترك وظيفته وهو في السادسة والعشرين
من عمره . ومن سنة ١٨٤٨ إلى ١٨٥٣ كان سكرتيراً لإدارة تحرير
جريدة « الاقتصادي » The Economist

مؤلفاته : — الاصول الاولى : مبادئ واصول علم النفس
واصول علم الاجتماع واصول علم الاخلاق
فلسفته تدور حول نظرية النشوء والارتقاء Evolutionisme
فلكي يفسر هربرت سبنسر قوانين العقل البشري اضافة
الي نظرية (ميل) في العادة ، نظرية الوراثة ومضمونها: ان كل عادة

حتى تقوت تصبح طبيعية اعني انها تتغلغل في تكوين الانسان
وتصير آلية تتحرك من تلقاء ذاتها

وهذه الاستعدادات العضوية تنتقل بالوراثة، بمعنى اننا حال
ولادتنا توجد فينا اختبارات الاجيال التي سبقتنا

فالوراثة في نظر سبنسر هي أصل المعارف العامة الضرورية
فهي عامة لان الانسان لا يمكنه ان يفلت من ان يرث بنى
نوعه . وهي ضرورية لان الميراث محتم على الفرد كشيء واقع
وترتكز النظرية المذكورة على مبدأ قدم المادة وعدم فناؤها
(أي ازلية وابدية) اضافة الى ذلك قانوني (ذوام القوات) و (ارتداد
الحركات المسببة عن الحوائل)

يوجد ارتداد اساسي ترجع اليه جميع الارتدادات ذلك
هو الارتقاء والتفكك

« جميع الاشياء تنمو وتتلاشى ، تكثر المادة او تستهلكها
هذا هو تاريخ كل تكوين عضوي وهو أيضاً تاريخ كل
ترقي وتقدم

فتكوين الارض ونمو الحياة على سطح البسيطة ثم نمو الهيئة
البشرية . والحكومة والصناعة والتجارة . واللغة . وادابها .
والعلم والفن . كلها تفترض وجود قانون النمو والتفكك

وعلى زعم سبنسر ، بخلاف ما رأى ستوات ميل . ليس العالم
 احتمال مستمر . بل هو شيء واقعي تشكل بصورة أخرى
 فالظواهر الطبيعية والنفسية تتوازي على الدوام وهي
 مثال حقيقة ذات مظهرين . غير أن تلك الحقيقة ظلت مجهولة



فلسفة ايطاليا واسبانيا

تأثرت الفلسفة الايطالية بمذاهب المدارس الاجنبية أثناء
الجيلين الاخيرين . فبعد ان كانت « حسية » في الجيل الثامن
عشر . صارت في القرن التاسع عشر « عقلية » مع جالوبي .
« وتصورية » مع روسميني وجوبرتي

بِسْكَوَالِي جَالُوبِي (١٧٧٠ — ١٨٤٦) P. Galluppi

ولد في مدينة ترويا (بايطاليا) كان منتعياً الى المذهب
الروحاني المسيحي وخصاً لدوداً للمذهب الحسي . تعين مدرساً في
مدينة نابولي وبقى في تدريس مذهبه حتى توفي في تلك المدينة

انطونيو روسميني (١٧٩٧ — ١٨٥٥) A. Rosmini

ولد في مدينة روفردو بالقرب من ترانتا واندمج في سلك
الكهنوت وامن معهد الاحسان الذي كان اشبه بجمعية تضم
العدد الوفير من القساوسة والعلمانيين النابيين . ثم تعين وزيراً
للمعارف على عهد بيوس التاسع تحت رئاسة روسي

كان عدواً لجوهرتي واللامنية • اراد اخضاع الفلسفة للدين
فتجاوزت نظرياته الحد وادت به النتيجة الى ان قال بالمشهد
التصوري أي المثالي

ورأيه ان الكليات التي قال بها الفيلسوف « كانت » ترجع
جميعها الى كلية واحدة وهي الكائن أو معنى الوجود

فلسفة وجوهرتي (١٨٥٢ — ١٨٠١) V. Gioberti

ولد في تورينو وحاز درجة دكتور في اللاهوت سنة ١٨٢٥
وكان منفيًا سنة ١٨٢٣ لاشتراكه في مؤامرة سياسية . ثم انتخب
مندوباً . وتعين وزيراً للخارجية سنة ١٨٤٨ فسفيراً في باريس
كتب كثيراً من المؤلفات السياسية والفلسفية والثورية
وكان مناجزاً للامنية وروسميني . بيد انه اتخذ نظرية هذا
الاخير في « الكائن » وعد لها على طريقة مبرانش بان قال ان
« الكائن » موجود كامل وغير متناه . ويعرف باستطلاع باطني
مباشرة . سواء كان في ذاته او في المخلوقات التي هي مظهر له

اما اشهر فلاسفة اسبانيا فائنان :

جاك بلميس (١٨١٠ — ١٨٤٨) Balmes

ولد في فيش بكتالونيا

كتب جملة مؤلفات مهمة منها : كتاب « كيفية الوصول الى الحقيقة » وكتاب « الفلسفة الاساسية » والمقارنة بين البروتستانتية والكاثوليكية في علاقتها بالمدنية الاوروبية
كانت فلسفته مزيج من نظريات ديكارت ولبنز . والمدرسة الاسكتلندية .

دونوزو كورتيز (١٨٠٩ — ١٨٥٣) D. Cortes

ولد في الفال . كان خطيباً بليغاً يستحق ان يذكر في تاريخ الفلسفة لكتاباتة عن الحرية والاشتراكية التي لا تخلو من النظر الصحيح والفكر الثاقب

كلمة ختامية

لقد وصلنا بتاريخ الفلسفة الى عتبة القرن العشرين . بعد ان ذكرنا المذاهب الفلسفية ومدارسها وادوارها في دائرة الایجاز الغير مغل ولم تتعرض الى ذكر اسماء الفلاسفة العصريين امثال بول جانيه (١٨٢٣ - ١٨٩٩) ورافيسون (٢٨١٣ - ١٩١٠) والفريد فوييه (١٨٣٨ - ١٩١٢) ووليم جيمس (١٨٤٢ - ١٩١٠) وغيرهم ممن لا يزالون في عالم الوجود من مشاهير المفكرين الغربيين فابحاثهم كثيرة كما ان مذاهبهم متشعبة أيضاً مما لا نستطيع ان نلم بها في هذا الموجز

وقد يقل هذا الشعب لو فهمت ماهية الفلسفة على حقيقتها

اذ يتوقف عليها اعظم مظهر للحياة واحسن نظام للجمعيات وياحبذوا لوعني مفكرو الشرق والناطقون بالضاد بالمباحث الفلسفية فاننا لا نكاد نعرف اكثر من بضعة افراد يهتمون بهذه المباحث اهتماماً هو دون القليل اصلح الله الاحوال

رسالة الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري

حضرة حنا افندي أسعد فهمي

تصفحت كتابك تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها فأيتك
في ريعان الشباب تحذو حذو اكابر العلماء ، واعاظم الحكماء ،
وأفاضل الكبراء . وما احوج أمتك الي كثير من أمثالك ذوي
الجد والاقدام

لقد نبذت في غضون الشباب عوائده وربأت بنفسك ان
تختم الي العجز في مثل تلك الروايات انحرافية والاحاديث الهزلية
التي عكف عليها الجاهلون والشبان العاطلون ، وعلوت بعقلك الي
مستوى تقطع دونه الاعناق كما تبين في مؤلفك (القوة الفكرية
في المغنطيسية الحيوية) اذ نهجت فيه منهجاً يرفع العزائم ويقوي
ارادة النفوس ويخرج بها الي الملاء الأعلى والمقام الرفيع . واني
يستوي الفتيان : فتي يغوص في بحار العلم فيحظى بدررها من
الايقان والايمان . وآخر ضل سواء السبيل فخلع العذار وهو
يدعى انه بالفلسفة موصوف وبالعرفان معروف : — الاساء مثل
القوم الجاهلون !

اما كتابك هذا تاريخ الفلسفة فما اجدره بالشيخوخ المجرين
والعلماء المفكرين وأهل الرأي والعقول السليمة والنفوس
الكبيرة . فله درك من شاب نابغة ومصري باقعة

قدمت لاولى الالباب هدية ناعمة . وذكرى جامعة . وجوهرة
 لامعة . ومصر اليوم يعوزها العقلاء المفكرون والمضلاء
 المذكورون ليتدبروا كتابك وليعلموا ما فيه من العبر وما تضمن
 من المبتدأ والخبر

ان العقول الانسانية قد تجلت في هذا الكتاب اشبه بما على
 الارض من جبالها واحجارها ورياضها ومزارعها وجناتها . فله
 نبت فيها الحب والعنب والقضب . والزيتون والنخل والحدايق
 الغلب . والفاكهة والاب . ومنها يكون السم والترياق والداء
 والدواء والمر والحلو

مذاهب الفلاسفة متفاوتة تماوت ما على الارض من مزارع
 واشجار وجبال وليس يتندر على السير فيها وجني ثمارها والمشى
 في مناكبها وعقباتها الا القادرون الصابرون فاما من عداهم فانهم
 لا يفرقون بين الغث واللين ويهلكون في عقباتها ويترضون بما
 يتناولون من ثمراتها

هذا وان الله قد جعلك ايها الشاب حجة على بعض من
 يدعون الفلسفة في ديارنا ممن طاشت احلامهم وخف مرتزقهم
 وقرأوا قليلا من العلم وضاق بهم ما كانوا به يستهزئون
 الا فليقرأ كتابك العلماء وأولوا الالباب أولئك هم

المفلسون

فهرست

صحيفة

١	تاريخ الفلسفة
٢	فوائده — المدارس الفلسفية
٣	المذاهب الفلسفية واقسامها
٥	طريقة واقسام هذا التاريخ
فلسفة العصور القديمة	
٨	الفلسفة المصرية — الهندية
١٢	» الفارسية
١٤	» الصينية
١٦	» اليونانية واقسامها ومدد
٢٠	المدة الاولى — قبل سقراط
٢٢	المدرسة الايونية وفلاسفتها
٢٣	طالبس المليطي
٢٤	انكسيمندر
٢٧	هرقليطس
٢٨	انكسغوراس
٣٠	المدرسة الاليائية : كزينوفان
٣٥	» الفيثاغورية

- ٣٩ اميندوكل
 ٤٢ مدرسة الذرات : لوسيب وديموقريطس
 ٤٥ السفسطائيون : بروثغوراس — جورجياس

المدة الثانية — العصر السقراطي

- ٥٥ سقراط : حياته ومذاهبه
 ٥٦ افلاطون : حياته . مؤلفاته — مذاهبه
 ٦٧ ارسطو : حياته . مؤلفاته — مذاهبه
 ٧٦ المقارنة بين افلاطون وارسطو
 السقراطيون الاصاغر :
 ٨٠ المدرسة الميغارية (اقليدس)
 ٨١ المدرسة القورينائية (ارسطيس)
 ٨٢ « الكلبية (انتستينوس)

المدة الثالثة — بعد ارسطو

- ٨٦ المدرسة الارتياية « بيرون »
 ٩٠ « الايقورية وفلسفتها
 ٩٦ « الرواقية « زينون »
 ١٠٦ الفلسفة اليونانية الرومانية

المدة الرابعة — الافلاطونية الحديثة

- ١٢١ فلسفة آباء الكنيسة

١٢٣	الفنوتسية «الأدرية»
١٢٥	مدرسة اسكندرية المسيحية
١٣٠	الآباء اللاتين

فلسفتا العصور الوسطى

١٣٣	مقدمة — دور الانتقال
١٤٠	المدة الأولى — تكوين الفلسفة المدرسية
١٤٥	الاسميون والواقعيون
١٥٤	فلسفتا العرب
١٥٥	يعقوب الكندي — الفارابي
١٥٦	ابن سينا
١٦٠	الغزالي
١٦٣	ابن باجه
١٦٤	ابن طفيل
١٦٦	ابن رشد
١٦٩	الفلسفة اليهودية
١٧٢	المدة الثانية: العصر المدرسي الذهبي
١٧٦	البيروني

١٧٨	القديس توما الأكويني
١٨٣	الصوفيون « بوناونتورا »
١٨٦	المنشقون « روجيه باكرن »
١٩٣	المدة الثالثة : انحطاط الفلسفة المدرسية
١٩٧	المدة الرابعة : النهضة
٢٠٠	الاحرار والشكك
٢٠٣	فلسفة العصور الحديثة
٢٠٥	المدرسة التجريبية — يكون
٢١٢	هوبس
٢١٥	جاسندي
٢١٩	لوك
	المدرسة العقلية
٢٢٣	ديكارت
٢٣٥	خلفاء ديكارت
٢٣٨	ميرانش
٢٤٥	سبينوزا
٢٥٤	المدرسة الانتحائية لبيتر
	المدة الثانية — الفلسفة في فرنسا
٢٦٧	المذهب الحسي « كندلياك »

المذهب المادي «هافتيوس»	٢٧٥
«العقلي (فولتير)	٢٧١
«الاقتصادي :	٢٧٢
مونتسكيو	٢٧٣
روسو	٢٧٤
كناي - ترجو	٢٧٥
كوندرسيه	٢٧٦

الفلسفة في انجلترا

المذهب التصوري (بركلي	٢٧٧
«الارتيابي (هيوم)	٢٧٩
«الوجداني (سميث)	٢٨٢
مذهب المنفعة (بنام)	٢٨٤
المدرسة الاسكتلندية	
توماس ريد	٢٨٠

الفلسفة في المانيا

يمانويل كانت	٢٨٩
فلسفة الخاول	٣٠٢
فخته	٣٠٤
هيجل	٣٠٦
شيلنغ	٣٠٩

المادة الثالثة

الجيل التاسع عشر
فرنسا

الماديون ٣١٥

المذهب الروحاني (كوزين) ٣٢١

المذاهب الاجتماعية ٣١٩

المذهب الوضعي (كونت) ٣٢٢

مدرسة النقد الحديث ٣٢٦

المدرسة التقليدية ٣٢٧

الفلسفة في ألمانيا

٣٣٠ لوتز — بختر هيكل — مونخوت

٣٣٣ شوبنهاور

٣٣٤ هيرمان

٣٣٥ نتشه

الفلسفة الإنجليزية

٣٣٧ ستوارت ميل

٣٣٩ دارون

٣٤٢ سبينسر

٣٤٥ فلسفة إيطاليا وإسبانيا

٣٤٨ كلمة ختامية

Bibliotheca Alexandrina



0609517